رواية

أولاد لوسيفر

الجزء الأول

تأليف:

رانيا رمضان (بنت البروفيسور)

رواية أولاد لوسيفير تنقسم لعدة أجزاء تدور أحداثها

حول صراع بين الإنس والجن خلال مغامرات وأزمنة مختلفة

فهل يا ترى من سينتصر . . . !

خليفة الله أم خليفة لوسيفير . . . ؟ !

أنت لي أنا وحدي وإن قررت ان تكون لغيري؛ حياتك ستصبح جحيم .

***

أرجوكِ لا تتركيني، أنا تركت العالم أجمع وهربت إليكِ يا مصدر الأمان بالنسبة لي .

***

لقد تخلى العالم كله عنك، ولكن لن اتخلى عنك أبدًا يا فارس .

***

أحبك يا صديقي ويا أخي الذي لم تنجبه أمي . . أصدقاء وأخوة إلى الابد . .

***

الفصل الاول

الهروب

في فجر اليوم العاشر من شهر نوفمبر عام ٢٠١٩ في الاسكندرية يهرول شاب أسمر طويل ذا ملامح حادة تدل على قسوة الحياة التي مر بها ، ذا جسد رياضي مما يدل على قوته، ذا عيون واسعة مكحلة ذات رموش سوداء كثيفة، وشعر أسود طويل ناعم منسدل على كتفيه .

ها هو يجري بسرعة ويده ملطخة بالدم، يهرول باكيًا بطريقة لا تتناسب مع هيبة هيئته، يبكي بطريقة توحي بأنه له قلب حاني برغم قسوة الدنيا .

ها هو يبحث عن أول مصدر للماء كي يغسل يده، وها قد وجد صنبور في إحدى الشوارع المظلمة الهادئة التي لا يوجد بها إلا القليل من الشباب في الزاوية وغير واعيين بما حولهم، لأنهم يتعاطوا مخدرات .

ها هو يغسل يده وهو مستمر في البكاء، ويضرب الماء على وجهه بقوة أملًا أن يكون كل ما يمر به حلم لا حقيقة.

ولكن لا يوجد أي تأثير مزال على نفس الحال مما يؤكد له أن ما حدث واقع لا مفر منه.

صار يبكي أكثر وأكثر لأنه لم يكن يتوقع أبدًا أن يصل إلى هذه الحالة في يوم من الأيام.

وضع رأسه تحت الصنبور عسى أن يفيق من ذلك الكابوس.

رفع رأسه من تحت الصنبور والماء يقطر من شعره الطويل الناعم على ملابسه مما أبرز عضلات صدره أكثر، عندما وجد ألا مفر من ذلك الواقع، استمر بالهرولة إلى أن وصل كورنيش البحر ووقف أمامه باكيًا مفكرًا في الانتحار، ها هو يمسك بسور الكورنيش وها هو يهم بالانتحار، ولكنه توقف للحظة وهو ينظر لماء البحر من علٍ يتذكر حياته للوهلة الأخيرة، تذكر حياته القاسية من ظلمة البحر، تردد لوهلة كيف له أن ينهي حياته بالانتحار . . . ! يعني انه لم يهنأ في حياته وفي النهاية يقرر أن يخسر آخرته بيده، ترك السور وعدل من وقفته ولكن قد ماه لم تعد قادرة على حمله فخر واقعًا على ركبتيه وصار يبكي بحرقة رافعًا رأسه للسماء وصرخ قائلًا:

-ياااااارب . . . .ساعدني . . . .أنا لا استحق ما أنا به الآن يا الله .

ومن ثم شعر بضعفه أكثر فخر برأسه على الأرض باكيًا . . . . ولكن قبل أن تلمس رأسه الأرض سمع صوت الأذان:

-الله أكبر . . . الله أكبر .

هنا شعر بيد الله الحانية . . . شعر أن الله معه يشعر به وبضعفه وانكساره، وكلمة الله أكبر جعلته يشعر أن ليس عليه أن ينكسر مادام معه الكبير الذي بيده وحده أن ينتشله مما وقع فيه .

فجأة شعر أن الله القوي مده ببعض القوة، ها هو يجمع شتاته من جديد ولم يجد أحد يهرب له في ذلك الوقت سوى الله .

تنفس الصعداء ومسح دمعه وهم ماشيًا بمنتهى الوهن إلى الجبار كي يجبر قلبه مما لحق به .

وبمجرد أن وضع قدمه على عتبة المسجد شعر بأن الحمل قد زال عن ظهره، لا يدري كيف ولكن يشعر أن هناك طاقة روحية تحيط به كالهالة رافعةً إياه، إلى أن

صار جسده طافيًا من شدة خلاء روحه من كل الطاقة السلبية، ولكن سرعان ما فاق من شروده بمجرد أن وضع قدمه الأخرى داخل المسجد ، رأى أمامه لفظ الجلالة الله بشكل ضخم ومبهر، لم يستطع أن يتحمل عظمة وهيبة ذلك الاسم وهو الاسم الأعظم للرب، خر ساجدًا باكيًا لله طالبًا منه العون، بكى بحرقة إلى أن تقرب منه رجل مسن ذا جلباب أبيض وابتسامة صافية، حاول أن يلمس كتفه بلمسة خفيفة، رفع فارس رأسه وعينه صارت حمراء من شدة البكاء ، ظل الرجل واضعًا يده على كتفه مهونًا عليه قائلًا :

-هون عليك يا ولدي، سامحني لأني قطعت دعائك مع الله، ولكن ماذا بك . . . ؟

الرجل يتكلم بتأثر ولكن فارس ينظر له فاقد تركيزه يفكر في الله هل سينجده من الكارثة التي هو بها أم لا ؟

حاول الرجل أن يرفع فارس من على الأرض وقال له:

-قم يا بني هيا وتوضأ الصلاة سوف تقام، قم يا ولدي ولا تقلق من شيء ما دام لجئت لله وحده فلن يخزيك الله أبدًا .

وقف فارس ورفع رأسه فرأى اسماء الله الحسنى المزخرف بها المسجد فطلب المدد بكل اسم تراه عيناه، ومن ثم عندما هم واقفًا رأى اسم الرسول محمد صل الله عليه وسلم فطلب منه المدد والعون، ترجى الله أن ينجده بحبه لحبيبه محمد ، ومن ثم توضأ وأثناء وضوئه طلب من الله أن يغسله من كل ذنب اذنبه سواء كان يعلمه أو لا يعلمه .

ها هي الصلاة قد أوشكت على البدء والناس بدأوا في أن يصطفوا حينها طلب من الله وهو يبكي بصمت رافعًا رأسه:

-يا رب ليس لي سواك، يا رب سخر لي من ينجدني مما أنا به، أرجوك يا الله اعطي لي سبيل للنجاة، يا منجي نجيني .

ومن ثم بدأت الصلاة، ومع كل آية يسمعها يبكي، وكالعادة عندما تضيق بنا الحياة نشعر أن ليس لدينا سوى الله، مع كل آية من كتابه العزيز نشعر برسالته لنا ، وكأنه أثناء رخائنا عقلنا لا يستوعب رسائل الله لأن العقل مشغول بالنعم عن المنعم، بينما

عندما تظلم الحياة وتغلق الدنيا كل أبوابها في وجهنا لا نجد سواه الواحد الباقي حينها لا نجد أحد قابل أن يسمعنا أو يكلمنا سواه .

فارس أول ما سمع آية (إياك نعبد واياك نستعين) ظل يكررها وأجهش بالبكاء إلى أن سمعه من حوله، استمر على هذا الحال في ركوعه وفي سجوده الذي لم يكن يرغب في أن يرفع رأسه من السجود لانه يعلم أن العبد يكون قريب لله أثناء سجوده، لذا كان يريد أن يكون قريب من الله كي يستجيب له .

انتهت الصلاة فأخذه الرجل السمح الملامح والروح وجعله يسند على أحدى أعمدة المسجد ، وقام من مكانه وجلب له ماء بارد ، وعندما رجع وجد فارس اجهش ثانية في البكاء ، فربت على كتفه وقال له بلين ورفق:

–هون، هون عليك يا ولدي، أنا مثل أبيك وأنت مثل ابني ومنذ أن رأيتك شعرت بطاقتك أنت شاب صالح، صدقني لن يخزيك الله، حياتنا مثل محطة القطار ، عندما نولد لا نكون نحن من اختار القطار الخاص بنا ولسنا نحن من نختار وجهتنا ، ولكن بمجرد أن نشب بأمكاننا في حالة إن لم يعجبنا وجهة قطار حياتنا أن ننزل منه وأن

نستقل قطار اخر ينتقل للوجهة التي نريدها ، ولكن الغباء هو أن ننزل من القطار الذي لا يعجبنا وجهته ونظل هكذا في المحطة واقفين محلنا لا نفعل شيء سوى أننا ننظر للناس الذين يتعايشون في حياتهم سواء الراضيين عن وجهتهم ومن هم غير راضيين ولكنهم مكملين، في النهاية سوف ترى أن الكل وصل للنهاية منهم من وصل لهدفه ومبتغاه ومنهم من ضيع مجهوده في طريق لا يحبه ولكنه تعايش مع ظروف ومواقف ليست على هواه، ولكنه سيظل أفضل ممن هو نزل من قطاره وظل محله سر لا يحرك ساكنًا .

مسح فارس دمعه وهو ينظر للرجل السمح وقال له متسائلًا :

-أتظن أن الله سوف يخرجني مما أنا به .

-كل ما عليك أن تغير وجهتك وكفى يا بني، غير وجهتك وهناك سوف تجد يد الله وعونه .

ظل فارس ينظر له يحاول أن يفهم، ينظر له بنظرة من يريد أن يطمئن بأي كلمة تعيد له الأمل من جديد :

-ولكن كيف ؟ قل لي كيف . . . ؟أرجوك .

-لا استطيع أن أقول لك كيف . . . كيف هذه عند الله وحده، اتركها على الله، هو وحده مدبر لك أمرك للنهاية، هيا قم معي وقرر من الآن من سوف تكون . . ؟

ها هو فارس يهم واقفًا مع الرجل السمح طيب القلب، ومن ثم نظر له الرجل وابتسم وقال:

-أنا واثق بك يا بني، وأنت كل ما عليك أن تثق في الله وحده .

من ثم تركه وهم خارجًا من المسجد ، وفارس لا يدري ماذا عليه أن يفعل، ومن ثم التفت له الرجل عندما كان يرتدي حذائه ومن ثم اشر على أذنه لفارس وابتسم ورحل .

***

خرج فارس من المسجد ولكنه لا يدري إلى أين ستأخذه قدماه، ها هو النهار قد بزغ، فجأة وهو يمشي سمع صوت قطار، تذكر الرجل الكبير وكلامه عن الحياة وتغيير وجهة حياته، تذكر إشارته الأخيرة له، قال فارس في قرارة نفسه:

-يمكن الله ارسل لي هذا الرجل كي يدلني على سبيل النجاة .

دخل فارس محطة القطار ولكنه لم يكن يدري ماذا يفعل، ولكن كل ما يريده أن يبعد وكفى، فجأة رأى أن القطار الذي أوشك على الرحيل هو القطار الذاهب إلى القاهرة، ولكنه شرد لوهلة وقال في قرارة نفسه:

-ولكن ماذا سأفعل في القاهرة ليس لي أحد بها . . .

ومن ثم تنهد بحسرة وأردف متألمًا :

-ليس لي أحد في أي مكان لا القاهرة فقط . . .أنا خلقت وحيد وسأظل وحيد . . يبدو أن الوحدة مكتوبة عليَّ للأبد .

ومن ثم هم بشراء تذكرة وركب القطار غير مفكرًا كثيرًا مما سوف يجده في القاهرة قرر أن يتركها على الله كما قال له الرجل الكبير .

ولكن بمجرد أن ركب القطار شعر أن التعب سيطر على كل اعضاء جسده، سرح قليلًا في مستقبله، فكر قليلًا وسأل نفسه ترى ما يخبئه له القدر . . . !

ولكن سرعان ما غلبه النعاس وراح في سبات عميق، ولكنه استيقظ بعد مرور بعض الوقت عندما مر مسؤول التذاكر مرة أخرى كي يسأله عن تذكرته، تعجب فارس بأنه كيف نام من دون أن يشعر، ومن ثم عدل من جلسته ونظر لمسؤول التذاكر بإستغراب وقال له وهي يفرك عينه كي يفيق:

-ولكنك قد رأيتها أول ما ركبت القطار .

كرر الرجل كلامه بصرامة تليق بضخامته وشاربه الكث:

-قلت لك أريد أن أرى التذكرة لا تكثر في الكلام .

هم فارس بإخراج محفظته ولكنه لم يجدها ، هم واقفاً كي يتأكد من وجودها ، بحث جيدًا في كل الجيوب من دون أي فائدة، لم يجد شيء ، توتر فارس، لقد سرقت محفظته بكل ما لديه من مال وهويته الشخصية .

نظر فارس لمسؤول التذاكر وقال له بدهشة يتخللها التوتر:

-لقد سُرقت، أنا أعلم أنك متأكد بأني كان معي محفظة وتذكرة أنت شاهد على امتلاكي لمحفظة وعليك الآن أن تساعدني في إيجادها .

نظر له مسؤول التذاكر باستحقار وقال له بقسوة وهو يمسكه من ذراعه:

-هذا المشهد أراه يوميًا ، لو تركت كل من يقول لي ذلك سوف تصير غابة، أنا التزم بالقانون والشروط وكفى .

أمسك فارس بقبضته القوية يد الرجل الممسكة به ودفعه بقوة وصرخ قائلًا :

-لا تتجرأ على لمسي، أنا لست بكاذب بل أنا من تمت سرقتي .

ومن ثم نظر فارس لمن يجلس بجواره وقال بإندهاش بسبب عدم دفاعه عنه:

-قل شيء أنا كنت بجوارك ولقد رأيتني وانا أعطيه التذكرة .

تظاهر الرجل بعدم الإنتباه ولم يرد .

زاد غضب فارس وهم ممسكًا بالرجل وقال له:

-لِمَ لا تتكلم . . . ! قل ما رأيته وكفى .

نظر له الرجل وهو يحاول أن يفك قبضة فارس وقال ببرود :

-لم تعطه شيء أنت كنت نائم .

صرخ فارس به وقال وهو ينظر حوله للناس وقال:

-كاذبان، كاذبان أنا أعلم جيدًا أنكما متفقان سويًا، على الأقل دعوني أفتش ذلك الرجل أكيد هو من سرق المحفظة.

سحبه مسؤول التذاكر من ياقته بقوة وقال له بقسوة:

-هيا انزل في هذه المحطة لن تكمل إلى القاهرة.

هنا لم يتمالك فارس نفسه وأمسك بمسؤول التذاكر ودفعه بقوة ومن قوة الدفعة ارتطم رأس مسؤول التذاكر في أحدى أعمدة القطار مما أدى إلى أن نزف رأس مسؤول التذاكر.

هنا عندما وضع المسؤول يده ع رأسه ورأى دمه صرخ قائلًا وهو يأشر بيده ناحية فارس:

-امسكوا هذا الكلب، يجب أن يلقى القبض عليه الآن.

نظر فارس مصدومًا مما حدث يود أن يدافع عن نفسه ويقول إنه لم يقصد بل إنه هو من تمت سرقته. . . ولكن في نفس اللحظة فاق من شروده وأطلق قدمه للريح ودفع من هم أمامه وقفز من القطار، يهرول بسرعة وصار لا يدري يهرب من ماذا أو ماذا ؟

خرج من المحطة، واختبئ وراء إحدى الأشجار يسند بيده على جزع الشجرة ويحاول أن يلتقط أنفاسه وهو منحني، ولكن سرعان ما خر على ركبتيه وسند رأسه على جزع الشجرة وهو يقول متحسرًا:

-لَمَ يحدث معي ذلك يا رب. . . ! لَمَ عندما أهرب من مصيبة أقع في مصيبة أخرى، لَمَ يا رب. . . ! أرجوك ساعدني، أنا تعبت.

ها هو ينظر حوله لا يدري أين هو بالضبط، قام من مكانه وعدل من ملابسه وسأل أحد المارة:

-لو سمحت ما اسم المنطقة التي أنا بها . . . . ؟

نظر له الرجل مستغربًا:

-نحن في دمنهور . . .

نظر له فارس مستغربًا وقال:

-دمنهور . . . !

تركه الرجل ولم يعره انتباه.

ولكن فارس الآن يشعر أنه ضائع لا يدري أي شيء في هذا المكان وكل المال الذي كان معه ضاع منه لا يدري أين سينام وكيف سيعيش . . . !

الآن فارس لا يملك سوى هاتفه والساعة التي يرتديها .

قرر أن يبحث عن عمل ولكنه ظل طوال يومه ولم يجد أي فرصة له في أي مجال .

كان كلما تعب من كثرة المشي يذهب للمسجد لتأدية الصلاة الحالية، منها كي يرتاح من المعاناة التي يمر بها وكي يطلب العون من المعين .

ولكن في المساء بدأ الجوع يقرص معدته، لذا قرر أن يبيع ساعته كي يستطيع أن يشتري طعام .

ابتاع شطيرتين أحدهما كبدة والأخرى سجق وأردف قائلًا والدمع ينهمر من عينيه ولكنه رسم ابتسامه منبعثة من الحنين والاشتياق:

-سأكل السجق من أجلك يا صديقي، أعلم أنك تحبه .

ولكن سرعان ما اختفت البسمة عن وجهه وصار يبكي بجنون وقال باكيًا وهو يزيل طرف الشطيرة عن فمه:

– اطلب منك أن تسامحني يا صديقي، لم أكن أقصد، صدقني.

ومن ثم بعد أن هدأ من بكائه حاول أن يأكل ليس لأنه يشتهي الأكل ولكن لكي تسكت معدته التي تقرصه من شدة الجوع.

بعد أن انتهى من الأكل شعر أن النعاس كاد أن يغلبه والجوقد ازداد برودة فقرر أن يبحث عن مأوى له، ها هو يبحث بعينه يمينًا ويسارًا إلى أن وجد بيت قديم تعرض للاحتراق الكامل. . . ولم يرى أي ضوء ينبعث من داخله. . . لذا قرر أن يتسلل بخفه من جوار محل البقالة المجاور للبيت المهجور، ومن ثم تمكن من التسلل وها هو دخل من البوابة الحديد الصغيرة الصدئة، الباب كان مواربًا قليلًا وأصدر القليل من الصرير عندما حاول فتحه فأكتفى بفتح القليل منه وانسدل للداخل،ومن ثم صعد درجات السلم، كانت أغلب الدرجات متآكلة، والجدران ملطخة بدخان أسود ومليئة بالشروخ، ها هو وصل أمام باب أول شقة، الباب كان على الأرض والشقة كانت مفتوحة، وكل الأبواب في الشقة متفحمة وساقطة أرضًا حتى النوافذ الخشبية انتهى بها الحال بنفس الوضع، وبمجرد أن وضع رجله على أرضية الشقة بعدما

تجاوز الباب الذي عندما مر عليه أصدر صوت حشرجة وكأنه مر فوق صدر رجل ينازع الموت، التفت حوله ولكنه لم يجد أحد ، فعلم أنه مجرد صوت عادي صادر من حركته، ومن ثم عندما وطأت قدماه أرضية الشقة سمع صوت تكسير زجاج، فنظر أسفله فلم يرى بوضوح لأن الضوء في الشقة مجرد ضوء قليل منبعث من اضاءة الشارع، اضطر أن يقوم بتشغيل مصباح هاتفه ولكن بطارية هاتفه قد أوشكت على النفاد ولكنه قرر أن يلقي الضوء قليلًا ومن ثم يغلقه، فوجد اسفله أرضية الشقة كلها فتات زجاج قد غطاه الرماد الأسود ، والأثاث متآكل ومتفحم تمامًا ، بدأت القشعريرة تسري في جسده، شعر أن عامود الفقري قد تجمد لأنه شعر بحركة وراء ظهره مع فحيح، ولكنه التفت سريعًا وصوب ضوء هاتفه مباشرة لمصدر الحركة والصوت، ولكنه لم يجد شيء فتنفس الصعداء وحاول أن يلتقط أنفاسه وتذكر أنه في شهر نوفمبر وأن الجو شديد البرودة والرياح هي سبب الحركة والصوت أكيد .

ومن ثم سمع صوت فهم فزعًا ، ولكنه سرعان ما تدارك أن هاتفه يصدر صوت تحذير أن بطاريته سوف تنفد ، لذا قرر أن يبحث عن مكان ينام به ولا يراه أحد من الجيران

داخل الشقة، صوب ضوء هاتفه إلى داخل الغرف، كل الغرف تعرضت للأحتراق التام وتهشم كل ما بها ، ومن ثم قرر أن ينام في غرفة في آخر الشقة لأنها الوحيدة التي لم تنزع نافذتها الخشبية فحاول مواربة النافذة ومن ثم نام أسفل تلك النافذة وحاول أن يستأنس بالقليل من الضوء المنبعث من خلالها لأنه اغلق هاتفه تمامًا .

حاول أن ينكمش في ذاته كي يشعر بالقليل من الدفء ولكن استمر جسده في الارتجاف، لا يدري أهو يرتجف من الخوف أو من الصقيع، ومن ثم وهو يتنفس دخل لأنفه بعض من الرماد والتراب الذي على الأرض فبدأ في السعال ولكنه حاول مسرعًا أن يكتم سعاله كي لا يدري عنه أحد ولكن بمجرد مرور دقيقة أخرى على سعاله سمع صوت خطوات قادم من الردهة في الخارج، ومن ثم وقع الخطوات تقترب منه ببطيء وصوت تهشيم فتات الزجاج يفتت قلبه من شدة الخوف، لا يدري ماذا عليه أن يفعل، هل يهرب قافزًا من النافذة أم يواجه، ولكن في النهاية قرر أن يواجه . . .

وبسرعة هم بضم النافذة فحل الظلام في الغرفة، وبذلك يمكنه أن يرى القادم من الخارج على أثر الضوء الخافت ولكن لن يراه من هو قادم إلا بالتدقيق لأنه منزوي في ركن الغرفة وسوف يستغل تلك الثوان للأنقضاض مسرعًا ومن ثم الهرب .

ولكنه انتظر لأكثر من دقيقة وهو كاتم أنفاسه متأهب للهجوم ولكنه لم يعد يسمع أي خطوات، فقرر أن يخرج لكي يتأكد بنفسه مع أخذ الحيطة والاستعداد للهجوم . . .

ولكنه بحث في الشقة كلها ولم يجد أحد ، حينها ارتاح قليلًا وقرر أن يعود مرة أخرى إلى تلك الغرفة كي ينام، ها هو يتحسس على أثر الضوء الخافت القادم من الخارج كي يفتح النافذة قليلًا ولكن قبل أن يهم بفتح النافذة سمع صوت وقع الخطوات ولكن هذه المرة لا يرى شيء ، يحاول أن يتفحص المكان حوله جيدًا ولكنه لا يرى من صاحب صوت تلك الخطوات ولكن بمجرد أن وقعت عينه على تلك المرآة المكسورة وجد بها انعكاس لعيون . . عيون صفراء مضيئة للغاية . . . عيون اشبه بعيون ال . . .

ولم يكمل تخمينه أو تفكيره وهو يهم بفتح النافذة كي يرى جيدًا إلا ووجد ذلك الجسم انقض عليه بقوة فسقط أرضًا فأرتطم رأسه بقوة ومن ثم . . .

الفصل الثاني

الخسران

يد شاب تحمل سكين وها هي اليد تقترب من فتاة لا نرى من ملامحها شيئًا ، لا نرى سوى ظهرها وشعرها الأسود الطويل، وها هي اليد تقترب أكثر وأكثر، إلى أن التفتت الفتاة مسرعةً عندما شعرت بأنفاس أحد خلفها ، ملامح الذعر رسمت على وجهها ، ومن ثم اليد تنقض كي تطعنها ولكن فجأة . . .

يقطع الكابوس صوت رنين الهاتف . . .

في اليوم الثالث عشر من شهر مارس عام ٢٠٣٧ لندن–انجلترا . . .

صوت نغمة رنين لهاتف ولكن أين الهاتف أنا لا أراه . . ! ومن ثم ها هي شابة مراهقة١٦عامًا جميلة سمراء ذات شعر أسود فاحم موج يخفي القليل من ملامحها التي بدأت ترسم عليها ملامح الازعاج من صوت الرنين، ومن ثم أخرجت يدها من تحت الغطاء البرتقالي .

ان غرفتها يغلب عليها اللون البني الفاتح والبرتقالي مما يدل على أنها شخصية تحب الطبيعة وشخصية مندفعة بعض الشيء ، ها هي تلمس خاتمها ذا الحجر الزمردي الأخضر القاتم، فانبعثت في الهواء شاشة، تلك الشاشة من الخلف محتواها مبهم ولكن من الأمام كانت تحمل اسم ليندا هي من تتصل، قامت بلمس تلك الشاشة المنبثقة في الهواء وأغلقت المكالمة كي تكمل نومها وقامت بوضع الغطاء البرتقالي على رأسها كي تحجب ضوء النهار عن عينها الذي تشعر أنه مثل اللص الذي يريد أن يسرق النوم من عينها ، فاختبأت تحت غطائها هاربة منه قبل أن يلاحظها ويسرق منها أعز ما تملك ألا وهي راحة ولذة النوم، ولكن راحتها لم تدم دقيقة إلا وسمعت صوت إشعار رسالة ما ، قامت برفع ذلك الغطاء في عصبية ولمست حجر خاتمها مرة أخرى فأنبعثت تلك الشاشة برسالة من ليندا تخبرها أن عليها أن تتأهب لرحلة تخييم في أحدى الغابات ومن ثم في اليوم التالي سيذهبون لتسلق الجبال .

تحمست فريدة كثيرًا لتلك الرحلة وطلبت من ليندا أن تأتي لبيتها بعد ساعة وستكون جاهزة للسفر .

همت جالسة على السرير وهي تلعب في شعرها كي تفق قليلاً ، ها هي تمسح وجهها بيدها كي تبعد عنها النوم المتمسك بها ، ومن ثم لمست خاتمها وقالت له اتصل بأمي، ردت عليها أمها فطلبت منها أن تحضر لها الفطور قبل أن تتأهب للذهاب .

وفي عشر دقائق قد جهزت وخرجت من دورة المياة مرتدية سروال يحمل نقشة الجيش المموهة ومن فوق ترتدي كت أسود ، وها هي أمها تطرق عليها باب الغرفة فأذنت لها بالدخول بصوت مكتوم لأنها كانت تضع مساكة شعرها في فمها وهي تحاول أن ترفع شعرها الأسود الطويل تسريحة ذيل حصان، ومن ثم دخلت أمها ونظرت لها مستغربة وقالت لها متسألة:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة . . . ؟

ردت عليها فريدة وهي مازالت تنظر لنفسها في المرآة ولا تضع من مساحيق التجميل شيئًا سوى الكحل الذي يبرز جمال عينيها العربيتين ومن ثم قامت بإنزال غرة على جانبي وجهها العريض، فريدة طويلة جدًا وعريضة بعض الشيء ولكنها ذات جسد

رياضي بالفعل، فريدة جميلة جدًا كأنثى ولكن أحيانًا تشعر بسبب تصرفاتها أنها للرجال أقرب، ومن ثم قالت لأمها:

-سوف اسافر يا وتين، ها أنا سوف اجهز حقيبة الظهر الخاصة بالسفر، مجرد رحلة لبضع أيام وسوف أعود مرة أخرى. . .

قطبت أمها حاجبيها وأعلنت رفضها وقالت:

-لا. . . لن تسافري مرة أخرى ألا تتذكرين آخر مرة سافرتي بها جئتِ وساقك مكسور. . . ألا تحرمين. . !

-وتين، أرجوكِ ارحميني من نبرك وفألك السيء ذا، أنتِ تعلمي أني سافرت عدة مرات ولم يصبني شيء، فأرجوكِ قدمي الخير كي أجده. . .

أصرت الأم وقالت بجزم:

-ولكن هذه المرة لا يوجد سفر، أنا رأيت رؤيا سيئة تخصك يا بنيتي، ان أصدقائك لا يحبونك، وخاصة توماس ذلك الشاب أنا غير مرتاحة له بتاتًا انه سوف يؤذ. . .

قالت فريدة وهي تضع ملابسها في الحقيبة الجيشية الكبيرة بسرعة بطريقة تفتقر للأنوثة بعض الشيء:

-وتين توقفي عن الثرثرة ها، أنا لست صغيرة، وأنا أخبرك لكي تعلمي أني ذاهبة، لا من أجل أن أخذ الاذن، أنا كبيرة الآن وصاحبة قرار ومسؤولة عن صحيفة حياتي فدعيني أزينها أو ألوثها كما أشاء، وهيا اجمعي لي كل ما لديك في الصينية على هيئة شطائر ليس لدي وقت.

همت أمها بالخروج من الغرفة وهي تتمتم:

-اصنعي شطائرك بنفسك يا حضرة الناضجة...

نظرت لها فريدة بإستغراب وأردفت:

-كان بإمكاني أن أطلب من الروبوت تحضير الفطور ولكن ليس لدي وقت للإنتظار...ولكن شكرا يا وتين..

وقبل أن تخرج من الغرفة تمامًا وقفت عند باب الغرفة وهي تنظر بتحد لفريدة التي تنظر لها بلا مبالاة:

–اه ها أنا سوف أنزل حالًا وسوف أقول لوالدكِ، تصرفي أنتِ معه . . . لا أدري لمَ أنتِ متهورة هكذا لقد أخذتِ من طباع صديقتي كثيرًا . . . لا داعٍ لذكرها . . . ولكن عنادكِ لن ينفعكِ يا فريدة وأباكِ سيكون في صفي اليوم .

ومن ثم همت أمها بالنزول على السلم ولم تكترث لبنتها ، فقالت فريدة بصوت عال:

–حسنًا سوف اتصرف واقنعه، اخرجي أنتِ منها ولا تزيدي الشرارة بنزين يا زوجة أبي .

نزلت فريدة الدرج ومن ثم توجهت إلى حديقة بيتها ، ها هي تتسحب بخفة الفراشة التي تتناسب مع رشاقة جسمها ، ومن ثم تطوق أبيها الجالس على كرسيه متطلع إلى كتاب في يديه، فقبلته من رقبته وهي تقول له في حماسة وهي تلتف لكي تجلس على الكرسي الذي أمامه:

–صباح الخير على أحلى مراد في الكون .

فترك والدها الكتاب بجانب فنجان قهوة الذي انتهى من احتسائه ومن ثم نزع نظارته وهو يبتسم لها قائلًا وهو يهم بإمساك كلا يديها :

-اهلا بوردتي الفريدة .

في نفس اللحظة ابتسمت فريدة لوالدها ومن ثم نظرت إلى أمها وهي تخرج لها لسانها متحدية إياها وهي تقول لأبيها :

-مراد ، أريدك أن تصارحني بشيء ، هل حقًا هذه الساحرة الشريرة التي تقف عقبة في طريقي دائمًا هي أمي . . . ؟

دافعت أمها عن نفسها وهي تنظر لزوجها وقالت:

-اقسم لك يا مراد هي من تطلع عيني ، لقد غُلبت منها حقًا .

حاول مراد أن يهدأ الوضع بينما المبتلى بهما وقال:

-ريدا حبيبتي أن أمك لا يوجد أحن من قلبها ولم ترفض لكِ طلب قط ، كل ما في الأمر أنها تخاف عليكِ بعض الشيء .

همت فريدة واقفة وهي تنظر لأبيها بعد ما سمعت صوت بوق سيارة صديقتها ليندا ، وقالت لأبيها وهي تطبع قبلة على خده:

-مراد حبيبي أنا مضطرة أن أخرج في رحلة مع أصدقائي . . .

ومن ثم حملت حقيبتها على ظهرها وأكملت كلامها في نفس الوقت:

-سوف اطمئنك عليَّ من حين لأخر لا تقلق . . .

ها هي صوتها ترفعه أكثر وأكثر إلى أن وصلت إلى بوابة البيت وهي تقول بلهفة مؤشرة لكلا والديها :

-إلى اللقاء يا مراد ، إلى اللقاء يا زوجة أبي ولن اطمئنك عليَّ سوف أدع النار تأكل قلبك . . .

ومن ثم ابتسمت وقالت لهما ضاحكةً وهي تبعث لهما قبلةً في الهواء :

-أحبكما كثيرًا . . .

ومن ثم اغلقت الباب وراءها ، ها هي وتين تنظر لمراد متعجبة وهي تقول لمراد الذي لم يتوقف عن الابتسام وهو يتذكر وحيدته:

-مراد أن تلك البنت لا أدري لمَ تعاندني، أحيانًا لا أشعر أنها ابنتي بل ضرتي أقسم لك .

قهقهة مراد قائلًا وهو يمسك يدها :

-أنها وحيدتنا ودلوعتنا فلتفعل ما تشاء . . .

ومن ثم ملامح الخوف بدأت ترسم على وجهها وهي تقول:

-ولكن لَمْ تمنعها من الذهاب يا مراد أنا قلقة عليها كثيرًا، وأنا لا أثق أبدًا في ذاك الشاب توماس .

رسمت ملامح جادة على وجه مراد وهو يقول لزوجته وهو يربت على كلتا يديها برفق:

-أنتِ لا تثقي في توماس ولكني أثق تمام الثقة في فريدة . . . وهيا بنا ندخل للبيت أشعر أني متعب قليلًا أريد أن أرتاح بعض الشيء قبل الذهاب للعمل في الجامعة .

***

ركبت فريدة سيارة الدفع الرباعي مع صديقتها ليندا وها هما في طريقهما لأخذ كل من إيما وتوماس .

وبمجرد أن وصلوا الغابة قرروا أن يجتمعوا أمام البحيرة للصيد .

أخرجت فريدة عدة الصيد من سيارة ليندا . . . فريدة عاشقة للصيد مثل أبيها مراد ، وفي تلك اللحظة تذكرت فريدة والدها وهي تهم بفتح باب حقيبة السيارة ورسم على ثغرها شبح ابتسامة، ولكن فجأة شعرت أن هناك من يقترب منها ، تسمع أنفاس وتشعر بها تلمس رقبتها ، فتصلبت مكانها تفكر لثوان، ومن ثم شعرت بشيء يلمس كتفها ، فبحركة لا ارادية متأهبة للدفاع عن ذاتها التفتت مسرعة، ولكنها وجدت توماس الذي بدأ يضحك على ردة فعلها المبالغ به، حاولات أن تلتقط أنفاسها بعدما لكمته بقوة على كتفه، ومن ثم ساعدها على حمل معدات الصيد وهو يحاول أن يلطف الأجواء لأن فريدة شعرت بالضيق من مزحته:

-ديدا ، أنا أسف، كنت أمزح معك، أرجوكِ لا تجعلي الوضع هكذا ونحن ما زلنا في بداية الرحلة .

لم تنظر له فريدة وأخذت تمشي وهي متجهة للبحيرة وقالت بلا مبالاة بنظرة كلها كبرياء :

-لم يحدث شيء ، ولكنك تعلم جيدًا أنا لا أحب المزاح .

وضع توماس أدوات الصيد بجانب الكراسي الموجودة أمام البحيرة، ومن ثم ذهب وترك فريدة تتأمل في البحيرة في هدوء كي تسترخى قليلًا . . . ومن ثم رأت يد تمتد لها بزجاجة بيرة من توماس، فنظرت له بحدة:

-قلت لك أنا لا أشرب هذه الأشياء . . .

من ثم هم توماس بجرع القليل من زجاجته وغمغم:

-لا تكوني هكذا يا فريدة نحن في رحلة، ونحن لا نشرب دائمًا ، نحن نادرًا ما نفعل ذلك، اليوم يمكننا أن نشرب بينما في الغد لن نشرب لأننا سنقوم برحلة التسلق .

ردت عليه فريدة في حزم:

-قلت لك لن أشرب لا اليوم ولا أي يوم . . .

ومن ثم همت واقفة وتركته خلفها وهي تنادي على ليندا بصوت عالي وتؤشر لها بيدها قائلة:

-اخرجي لي زجاجة عصير برتقال و . . .

ولم تكمل كلامها إلا ووجدت إيما قادمة تجاهها وهي تنظر لها في حقد ولكن فريدة لم تقابل نظرتها إلا بلا مبالاة، ولكن إيما استمرت بالتقرب منها إلى أن وقفت بجوار توماس وتأبطت ذراعه وهي تنظر لها ، لم تكترث لها فريدة وتركت لها المكان واتجهت للجلوس مع ليندا .

جلست مع ليندا بجوار النار وها هي ليندا تهمز لها وتقول لها بهمس:

-انظري إلى إيما كيف تنظر إليكِ، هي تقف مع توماس ولكن عيونها عليكِ، إنها تغار منكِ حقًا .

القت فريدة نظرة سريعة ومن ثم نظرت لليندا بلا اكتراث وقالت وهي تشرب عصير البرتقال بطريقة رجولية بعض الشيء:

-دعكِ منها ، أنا لا أشغل بالي بحماقة البنات والغيرة وما إلى ذلك، كل ذلك مجرد تفاهات .

بينما على البحيرة ها هو صوت إيما بدأ يعلو بعض الشيء وهي تتشاجر مع توماس وتقول له:

-لِمَ لا تتوقف عن ملاحقة تلك الفتاة، قل لي ما بها يعجبك، إنها أشبه بالرجال يا أحمق . . .

اشتدت غضب توماس وقال لها وهو يضغط على اسنانه:

-لا تتفوهي بوصف مشين لفريدة، وتوقفي عن غيرتك تلك، انها مجرد صديقة ولا أرغب أن تكون بمفردها لذا كنت أرغب بمشاركتها اللحظة لا أكثر .

وتبقى المرأة امرأة في شدة غيرتها حتى ولو كانت اجنبية، ففكرة أن يجن جنون المرأة بسبب الغيرة لا ينبع بسبب إذا كانت الفتاة قليلة الجمال فقد تكون فتاة جميلة جدًا والغيرة تهزها بسهولة فسبب الغيرة الأول هو الثقة بالنفس المهزوزة .

فإذا كانت المرأة أو حتى الرجل يثق بنفسه جيدًا لن يفتعلوا المشاكل بسبب الغيرة .

ها هي إيما تقترب من توماس وتلمس وجهه الأملس برفق وهي تنظر له بحنو قائلة:

-أنا اسفة يا توماس، ولكن لا أريدك أن تهتم بغيري قط، أريدك لي أنا فقط .

ومن ثم همت لمعانقته ولكنه دفعها برفق وهو يقول لها وهو يتجه تجاه ليندا وفريدة:

-ولكن بغيرتك تلك تدمرين ما بيننا ، لأنك لا تثقي بي . . .

ومن ثم تحرك، وها هي تمشي خلفه تحاول أن تمسك ذراعه، ولكنه يمسك يدها مع ملامح خالية من أي مشاعر على وجهه وقال:

-أرجوكِ انهي الحديث عند هذا الحد، نحن هنا في رحلة ليس لمناقشة أمور في علاقتنا، دعينا نستمتع وكفى.

بمجرد أن اقتربا، همت فريدة بالنهوض وهي تقوم بإزالة ما علق في ملابسها ومن ثم امسك توماس بيدها وسألها بلهفة:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة اجلسي اكملي مشروبك...

ولكنه لم يكمل حديثه لأن فريدة نظرت له نظرة بسبب انه ممسك بذراعها، تلك النظرة كانت كفيلة أن تحرجه وألا يكمل كلامه، ولكنها بمجرد أن رأت ملامح الاحراج رسمت على وجهه تمالكت الموقف وقالت وهي تهم بالحراك:

-الغروب قد أوشك وأنا أحب الصيد في ذلك الوقت، أريد سمك على العشاء، هذا كل ما في الأمر.

نظر توماس لليندا وهو يهم بإخذ كرسي اضافي لكي يذهبوا جميعًا للبحيرة للتأمل وللصيد في هدوء . . .

كان توماس يختلس النظر من حين لآخر لفريدة وإيما لاحظت هذا والغيرة صارت مثل النار التي تلتهم قلبها ، ها هي إيما تفكر في قرارة نفسها :

–ما يعجبه في تلك السمراء العربية، أنا أجمل منها اني بيضاء ووجنتي قد صبغت بالحمرة وشعري ناعم وأشقر، لا أدري لمَ توماس ذوقه سيء إلى هذا الحد ، كيف ينجذب لفتاة تفتقر للأنوثة، ولم يعد منجذب لي أنا .

ولكن فجأة انقطع شرودها عندما سمعت صوت توماس يضحك مهللًا لأنه أمسك بسمكة، وها هو وقف كي يقوم بسحبها وهو يتفاخر بذاته، السمكة كانت كبيرة حقًا . . .

مر الوقت وها هي فريدة صنارتها تغمز بإن هناك سمكة قد امسكت بالطعم، فسحبت الصنارة في اتزان كما علمها أبيها ، ولكن السمكة كانت متوسطة الحجم . . .

وها هي الشمس بدأت في الغروب، كم تعشق فريدة ذلك المشهد ، ولكنها تنفر بشدة من الليل الذي يقوم بإنهاء هذا العرض المسرحي الرائع بإسدال تلك الستارة الكالحة معلنًا نهاية الاستمتاع والانسجام وبدء الكأبة والظلمة والخوف والرهبة بعد الراحة و الاسترخاء .

اه من هذه الدنيا لمَ جمالها لا يدوم . . . ! أعلم أن قبح الدنيا سيء للغاية ويرهب قلوبنا أو يؤلمها ، ولكن لولا وجود ظلمة الليل لما عشقنا راحة النهار ، لولا خوفنا من الليل لما انتظرنا النهار لكي نشعر بأمانه . . . اه كفى ثرثرة هيا سوف أكمل لكم ما حدث .

ها هما ليندا وتوماس همّا بأخذ أدوات الصيد وجمعها من جديد ووضعها في السيارة وفريدة أخذت السمكتين وبدأت باعدادهما للشوي على النار ، وإيما لا تفعل شيء سوى أنها تحملق بها لا أكثر ولا أقل إلى أن جاءا ليندا وتوماس ومن ثم تناولوا السمك واستمتعوا ببرودة الجو ودفيء النار ، انه مزيج متناقض ولكنه جميل ، ما أروع تناقض الطبيعة ، فسبحانه ربي .

ومن ثم اقترح عليهم توماس أن يجلب لهم المرتبات من داخل الخيمتين كي يناموا في العراء تحت النجوم، النجوم حينها كانت متلألأة والقمر كان مكتمل، لذا وافقوا . . .

ولكنه وهو بداخل خيمته فتح حقيبته وأخرج كيس وأخذه في جيبه ومن ثم خرج لهم وكل منهم أخذ مرتبته منه وقام بفرشها أرضاً . . .

كانوا يتحدثون سويًا ويضحكون ولكن من حين لأخر يرون خاتم فريدة يومض بشعاعه الزمردي ويقوم بالاهتزاز معلنًا أن هناك اتصال قادم، كانت أمها قلقة عليها كالعادة ومن ثم قالت لها ليندا:

-ردي على أمك يا فريدة . . .

ردت فريدة في ضجر:

-لا لن أرد، إذا قمت بالرد سوف تسأل الكثير من الأسئلة وتوترني من كثرة قلقها عليَّ . . .

ومن ثم قال توماس:

-لِمَ لا تقومي بغلق امكانية الاتصال وتريحي عقلك . . .

-لا استطيع أن أفعل ذلك، إذا فعلت ذلك سيزيد قلقها عليّ أكثر و . . .

من ثم قاطعتها إيما بتهكم:

-أمك ما زالت تعتبركِ طفلة و . . .

قاطعها توماس بجدة:

-توقفي يا إيما عن طريقتك تلك . . .

حاولت ليندا أن تغير مجرى الحديث ومن ثم قالت لهم بلهفة وهي ممددة ومؤشرة للسماء بلهفة:

-انظروا يا رفاق، انه شهاب، فليتمن كل منا أمنية . . .

قالت إيما بصوت حان وهي تمسك بيد توماس:

-اتمنى أن أكون مع توماس لآخر يوم في حياتي .

ومن ثم هم توماس وجلس معتدلاً بعد ما هم من رقدته وقال:

-اتمنى نظل أصدقاء إلى الأبد يا رفاق . . .

ومن ثم نظر إلى ليندا وقال لها بحماسة:

-وما هي أمنيتك يا ليندا . . . ؟

-أنا لدي الكثير من الأماني ولن أفصح عنها لأني أرغب في تحقيقها . . . ألم تسمع أنك إذا قلت ما تنوي فعله أو ما تتمناه لأحد لا يحدث ولا يتم أبدًا . . .

-آه ان أفكارك صارت تشبه تفكير فريدة إلى حد كبير . . .

ومن ثم نقل مجرى الحديث إلى فريدة وسألها نفس السؤال، ولكن فريدة كانت شاردة الذهن، فاقت على وكزة ليندا وهي تقول لها بدهشة:

-ما بكِ اليوم يا فريدة، انكِ شاردة طوال اليوم، ما الذي يشغل بالكِ، أنتِ لستِ معنا بتاتًا .

تنفست فريدة الصعداء وقالت بهدوء تام:

-لا أدري يا ليندا، ولكن راودني كابوس هذا الصباح و . . .

قاطعتها ليندا وقالت لها:

-دعكِ منه، أنتِ قلتِ ما هو إلا مجرد كابوس، هيا قولي ما أمنيتك . . . ؟

ردت فريدة بلا اكتراث:

-أنتِ تعلمي يا ليندا أنا لا أحب التمني ولا أن أطلب شيء، أنا أحقق وأنفذ ما أريد وما استطيع فعله . . . لا أحب أن أنظر لما لا استطيع الحصول عليه .

استمر الحديث يدور بينهم واحد تلو الآخر . . .

ولكن فجأة هم توماس وهو يتحدث معهم قام بإخراج ذلك الكيس الذي كان يحتوي على سجائر ولكنها لم تكن سجائر عادية بل بها مخدرات .

قام بإشعال سيجارة ومن ثم رأته إيما فابتسمت قائلة:

-ها هي رحلتنا قد بدأت التو . .

نظرت ليندا متعجبة متسائلة:

-منذ متى وأنت تتعاطى مخدرات، أنا أعلم أنك صرت مدخن فقط لم أدرى أن الوضع ازداد معك إلى هذا الحد . . .

رد عليها بعدما نفث دخان السيجارة:

-لا اتعاطى مخدرات، أنا أشرب من حين لآخر سجائر الماريجوانا ، لا تكبرين الموضوع يا ليندا ولا تصيري مثل فريدة . . .

من ثم همت إيما بأخذ السيجارة من يده وبدأت في سحب أنفاس منها في انتشاء . . .

ومن ثم قام بإشعال سيجارة أخرى وسحب نفس منها في انتشاء فقامت ليندا من رقدتها واعتدلت وهي تنظر له بحماس معلنة الرغبة في أن تجرب فقط . . . ومدت يدها لأخذ السيجارة من توماس ولكن فجأة منعتها فريدة وهي تمسكها من يدها وتقول لها في حدة:

-ليندا . . . توقفي، لا تفعلي ذلك . . .

ترددت ليندا وقالت لتوماس:

-لا، لا أريد أن أجرب أعلم أن شرب الماريجوانا يشتت التركيز . . .

قال لها توماس كي يقنعها:

-كفي عن هذه الترهات، أنتِ لن تقومي بتدخين الكثير أنكِ فقط سوف تجربين . . .

ها هي ليندا تحمست للفكرة ولم تنظر لفريدة ومن ثم سحبت أول نفس، ولكنها لم تتوقف عن السعال، أن هذه هي أول مرة تقوم بها بالتدخين .

عندما رأت فريدة أن ليندا غير مهتمة لما قالته، قررت أن تهم بالنهوض، حينها قالت لها ليندا في لهفة وهي ممسكة بالسيجارة:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة. . . ؟

قالت لها فريدة ببال شارد وهي تعطيها ظهرها متجهة للبحيرة:

-سوف أذهب لكي أمشي قليلًا احتاج أن أكون بمفردي.

ومن ثم نادت ليندا عليها وهي تهم بالنهوض:

-انتظري يا فريدة أنا قادمة معكِ. . .

ولكن توماس قاطعها وقال لها وهو يتبع طيف فريدة الذي ذاب في ظلام الليل:

-دعيها على راحتها يا ليندا، فريدة ليست على ما يرام اليوم. . .

حينها شعرت إيما بضيق بسبب انه تمسك بليندا، انها كانت ترغب بشدة أن يكونا بمفردهما، ومن ثم شعرت ليندا بالحزن وقالت له:

-خذ هذه السيجارة أنا لا أحب التدخين.

قال لها وهو لا يبالي:

-كما تريدين .

ومن ثم قالت ليندا وهو ترتعش بعض الشيء :

-سوف أخذ مرتبتي وادخل خيمتي يا رفاق، ان الجو يزداد برودة، أريد أن أرتاح، لا تسهرا كثيرًا سوف نبدأ رحلتنا في الغد مع شروق الشمس . . . تصبحا على خير .

حينها ارتاحت إيما وقالت بابتسامة صفراء مصطنعة وهي تلتف لليندا التي أوشكت على دخول خيمتها :

-تصبحين على خير يا ليندا .

قامت ليندا بإغلاق خيمتها عليها جيدًا كي تقي نفسها برودة الجو . . .

إيما تتأفت ومن ثم نظرت لتوماس:

-أوف، انها ثقيلة الدم مثلها مثل صديقتها فريدة، لا أدري لِمَ تخرج معهما . . . !

نظر لها توماس في ضجر:

-توقفي عن نقد صديقاتي، يجب أن تحترمي وتحبي من أحبهم و . . .

ولكن قاطعت إيما كلامه وغضبه وهي تحاول الاقتراب منه بلين معلنة إنهاء هذا الغضب بقبلة دافئة في هذا الجو الذي ازداد برودة، ولكن فجأة قطع هذا الصمت صوت . . .

صوت ليندا وهي تنادي عليهما بصوت عال:

-هاااي يا رفاق . . .

حينها ابتعد توماس عن إيما والتفت لليندا مُنتبه لها التي اكملت قائلة:

-لا تنسا وضع المزيد من الحطب، آه، توماس أرجو منك أن تضع أربع شعلات من النار، شعلة في كل اتجاه، نحن لا ندري ما يوجد بتلك الغابة . . .

قال لها توماس بحماسة:

-لا تقلقي المكان أمان هنا . . .

قالت ليندا وهي تهم بغلق سحاب الخيمة:

-الاحتياط واجب . . . تصبح على خير.

ها هي ايما تنظر له ولكنه كان شارد الذهن بعدما قام بإشعال سيجارة أخرى من الماريجوانا ولا يعيرها انتباه، والصمت طال بينهما ومن ثم قررت الكلام:

-فيما تفكر يا توماس . . . ؟

استمر توماس في شروده وقال وهو يهز رأسه بلا مبالاة:

-لا أفكر في شيء .

قالت له وهي تمسك يده:

-ألن نخلد للنوم . . . ؟

قال لها وهو ينفث دخان السيجارة تجاه السماء :

-اخلدي أنتِ إلى النوم وأنا سوف ألحق بكِ . . .

يأست إيما من محاولاتها في التقرب من توماس الذي صار باله مشغول عنها لا بها . . . فقررت أن تنتظره قليلًا في الخيمة وإذا لم يأتِ سوف تخرج كي تطمئن عليه، ولكن تدخينها لتلك السيجارة وشربها لزجاجة البيرة جعلا رأسها ثقيل جدًا فنامت بدون أن تشعر . . .

أكمل توماس سيجارته وصار شارد الذهن، وبدأ الحزن يخيم على عقله، شعور مؤلم عندما يشعر المرء أنه في حياة لا يرغب بها أو أن يكمل مع شريك غير مرتاح معه، عندما تستمر في علاقة صارت بها مشاعرك فاترة تشعر مع كل كلمة من شريك حياتك بأنها يقيدك يقيد كل أنحاء جسدك إلى أن يصل القيد إلى رقبتك، فحبه صار يخنقك، الحب الغير متبادل أشبه بلعنة أو عذاب شديد عليك أن تهرب منه قبل أن ينهي عليك .

ها هو هم كي يفتح صندوق المشروبات وأخذ منه زجاجة بيرة، وبدأ يشرب كي يتوقف عقله قليلًا عن التفكير في فريدة، ولكن أحيانًا عندما نرغب في نسيان شيء نتذكره بشدة، وعندما نهرب من شيء نجده يلهث كي يلحق بنا ، سحقًا للدنيا دائمًا ما تعطينا عكس ما نرغب به .

من ثم أخذته قدمه كي يمشي على شاطئ البحيرة، إلى أن وصل للمكان الذي به فريدة، كانت جالسة أسفل شجرة كبيرة أمام البحيرة في مكان بعيد عن موقع التخييم .

ولكن بمجرد أن صارت أمامه، لم يتمالك نفسه واقترب منها وجلس بجوارها أسفل الشجرة وقال لها هامسًا:

-لِمَ تهربين مني يا فريدة. . . ؟

ردت عليه فريدة وهو تمسك بحجر وتهم برميه في البحيرة في تململ:

-لا تكبر الموضوع يا توماس، أنا لا أهرب منك ولا أهرب من شيء، لم اتعلم الهرب، لقد نشأت على المواجهة فقط لا غير.

نظر لها توماس وهو يضع يده على وجهها موجهًا اياه صوبه كي تواجه عينه عينها وسألها وعيناه تترقرق بالدمع:

-ما بي لا يعجبك يا فريدة وأنا مستعد أن أتغير من أجلك. . .

ابعدت فريدة يده برفق وهمت واقفة كي لا تتأثر بنظرته وقالت:

-كل ما في الأمر أنك غير مناسب لي يا توماس. . .

هم توماس واقفًا كذلك وسألها وهو يسمك بذراعها وبدأت عيونه تذرف الدمع:

-لما لا اناسبك يا فريدة . . . ؟ أنا وأنت نشبه بعض في أشياء كثيرة نفس الميول حتى . . . كنتِ في بداية الأمر منجذبة لي . . . لمَ الآن صرت أشعر أنك تكرهيني . . . ! ؟

-لم أنجذب إليك قط . . . أنت مجرد صديق لا أكثر ولا أقل . . .

قوى قبضته على ذراعها وقال لها بحدة اختلطت مع ألم قلبه ودموعه:

-أنتِ تكذبين يا فريدة، تكذبين، أنا رأيت حبك لي في عينك . . .

-توقف عن وهم نفسك، واتركني أرحل .

-لا لن اتركك . . . لن اتركك تضيعي من يدي، سوف تكوني لي بالرضا أو بالغصب .

-اتركني وشأني أنت مرتبط الآن و . . .

-لم أحبها قط . . . أنا قررت أن أفعل ذلك كي أشعل غيرتك لا أكثر ولا أقل، لذا قررت أن أتقرب من أكثر شخصية تريد أن ترتبط بي، قررت أن أخذ حبها لصالحي كي تكوني لي . .

-لا يهمني هذه الترهات، وباعترافك ذا سقطت من نظري أكثر، هذا يعني أنك شخص كاذب لأنك خدعت إيما، أعلم أنها شخصية خبيثة ولكن لا تستحق أن تلعب بمشاعرها هكذا .

-أرجوكِ، دعكِ من إيما، أرجوكِ لا تبعدي عني و . . .

وها هو يهم بالتقرب من فريدة ولكنها دفعته وهي تقول له بحدة:

-ابتعد عني، أنا لم أفكر بك قط لأنك على غير ديني، والآن أنت زدت الأمور سوءًا بكونك مدمن على شرب الخمر والتدخين، ابتعد عني، أنت صرت شخصية سيئة ومخادع . . . من يخدع فتاة أخرى من أجلي، سوف يأتي وقت ويخدعني أنا كذلك . . . لا أمان لك يا توماس .

من ثم همت بالرحيل، ولكنه لحق بخطوتها السريعة وقال لها :

-أنتِ السبب في تغيري للأسوأ يا فريدة، أنتِ من جعلتني أهرب من واقعي الذي لا أحبه بالإدمان، صرت أرغب في هروبي من واقعي الذي لا أحب بذاهبي إلى عوالم أخرى في خيالي .

نظرت له بغضب وقالت له مهددة إياه بسبابتها :

-أقسم لك يا توماس إن لم تتركني أرحل الآن سوف أنهي صداقتنا إلى الأبد . . .

ومن ثم همت بالرحيل عندما رأت أن توماس قد تصلب مكانة بعد سماع تهديدها ،

ومن ثم تحولت عيناه إلى بركتي مياه وقد أوشكت على أن تفيضا من كثرة مياهها ،

قررت ألا تنظر لعينيه الرماديتين كي لا تتأثر بنظرته المتخاذلة، من ثم رحلت ولم

تكترث لما جرى، كل ما تعلمه ان عليها أن تفعل الصح وكفى، ولكن فجأة سمعت

صوت أوراق الشجر يأتي من خلفها أي أن هناك أحد يتبعها وبمجرد أن التفتت

وجدت زجاجة كسرت على رأسها ، كانت الزجاجة زجاجها سميك جداً مما

سببت الضربة في فقدانها الوعي، ومن ثم . . .

فاقت ولكن لا تدري كم مر من الوقت على فقدانها الوعي، رأسها مازال يدور

ولكن فجأة صرخت بشدة عندما أدركت ما لحق بها ومازال يحدث . . .

ها هو توماس مثل الحيوان يفترسها ، مستغلاً فقدانها للوعي، ها هي تدفع هذا

الحيوان عنها ، ولكن قواه كانت تفوق قواها ، تحاول دفعه ولكنه لم يتوقف قط عما

يفعله، ولم تجد ما تدافع به عن نفسها سوى حفنة من التراب القتها في عينه، زلزلت اتزانه فقامت برميه من فوقها وهمت بأخذ ملابسها ، كان هو قد هم واقفًا ويحاول جاهدًا أن يفتح عينه، في تلك اللحظة تمكنت من أخذ حجر، ها هي تهدده ان اقترب منها سوف تقوم بضربه . . . ولكنه لم يكترث لتهديدها ، ان المخدرات أثرت على تفكيره، ولكن فريدة لم تتردد وقامت بضربه فسقط أرضًا ، ارتدت ملابسها وهي تجهش بالبكاء بعدما نظرت لفخديها الذان تلوثا بدم شرفها . . . تبكي بسبب ضعفها ، تبكي لأنها كانت تظن نفسها قوية، كانت تظن نفسها قوية مثل الرجال ولكنها أنثى، مهما كان أنها أنثى، وستظل ضعيفة مهما يكن . . . ستظل مطمع مهما حاولت من صنع هالة القوة والرجولة حولها .

هرعت بعدما ارتدت ملابسها باكية صوب خيمتها ، ولكن بمجرد ما أن اقتربت لمكان التخييم، رأت ليندا تلهث اتجاهها .

نظرت لها ليندا في دهشة وذعر وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها :

-ما بكِ يا فريدة لمَ تبكين . . . ؟

تعجبت ليندا لأن فريدة لا تبكي أبدًا وترفض الضعف . . . ولكن فريدة لم ترد عليها وهي تشيح بنظرها بعيد عنها وتمسح دمعها وهي تهم بالذهاب تجاه خيمتها . . .

ولكن سرعان ما قطعت ليندا تفكير نفسها بما جرى لفريدة وقالت لها بأسى:

-فريدة، أنا كنت نائمة ولكن فجأة شعرت أن خاتمي يهتز معلنًا أن هناك من يتصل، وكما تعلمي أنا أرد على أي اتصال يرد لهاتفي . . . كان الرقم غريب فقمت بالرد وأنا ناعسة ولكن الصوت الذي سمعته والخبر الذي نزل على مسامعي كان مثل الصاعقة . . .

لم تكن فريدة ترد على ليندا، هي تسمع لها ولكن عينيها ممتلئتان بالدمع ولكنها بسبب كبريائها تكبل دمعها بالقيود كي لا يفروا منها أمام ليندا وتعلن عن ضعفها . . . ولكن ليندا اكملت لها بحزن:

-إن الاتصال كان من أمكِ يا فريدة، انها تريدك ضروري . . .

كل هذا يسقط على مسامع فريدة ولا تحرك ساكنًا، ومن ثم أردفت ليندا بعدما حاولت أن تستجمع قواها مع التقاط أنفاسها:

-إن أباكِ في وضع حرج في مستشفى ال . . .

لم تكمل ليندا كلام إلا ونظرت فريدة لها بصدمة ومن ثم هرعت وهي تبكي مثل الطفلة الذي تريد أن تهرب من الكون كله الظالم أهله إلى مصدر الأمان لها وملاذها ، ألا وهو أبيها .

ها هي تهم مسرعة بدخول خيمتها وتأخذ مفتاح سيارة ليندا وتهم بالرحيل، هرعت ليندا خلفها وقالت لها وهي تشاركها البكاء، كانت ليندا حساسة جدًا وما يسعد فريدة يسعدها وما يحزن قلب فريدة يؤلم قلبها أضعاف مضاعفة، كانت ليندا أختً لها لا مجرد صديقة فقط:

-سوف أتي معك يا فريدة، لن أتركك وحدك . . .

وتجهش بالبكاء وهي تتبع خطى فريدة تجاه السيارة، كانت فريدة لا تسمع ولا ترى أحد أمامها وهمت بفتح باب السيارة كي تقودها ولكن ليندا منعتها وسحبتها من يدها ، ولكن فريدة لا تستجيب لصوتها وتبكي في هستيريا وهي تحاول أن تدخل

السيارة، ولكن ليندا سحبتها بقوة وضربتها كف على وجهها كي تسمع لها فنظرت لها فريدة بشرود وقد احمرت عينها بشدة وسمعت ما قالته لها ليندا:

-لن أدعكِ تعودي بمفردك أنا سوف أقود السيارة، إذا قمتِ بالقيادة لسوف تقومين بحادث أنتِ غير واعية يا فريدة. . .

بعد الكف صارت فريدة في حالة شرود عيناها تستمر في الانهمار بالكثير من الدموع معلنة بدأ العاصفة. . .

صار جسدها مرخي وها هي ليندا تجلسها على المقعد الأخر وبدأت القيادة تجاه المستشفى، وطوال الطريق فريدة لا تحرك ساكنًا ولكنها لا تتوقف عن البكاء. . .

لم تختر ليندا وضع القيادة الذاتي في السيارة لأنه يتحكم في مستوى السرعة الذي يشكل الأمان بينما هي اعتمدت على القيادة بأعلى سرعة كي يصلا إلى المستشفى.

ها هما قد وصلتا المستشفى وبمجرد أن وصلت فريدة المستشفى استعادت رشدها وسألت على اسم أبيها، من ثم هرعت تبحث بين الغرف على رقم غرفة

أبيها . . . إلى أن وصلت إلى غرفة أبيها ، وقامت بفتح الباب بسرعة، ولكنها ترى الممرضات يقمن بفصل الأجهزة عنه، تنظر إليهن متسائلة رافضة الواقع:

-انتن تقمن بإزالة الاجهزة لأن أبي صار بخير أليس كذلك . . . ؟

ولكن الممرضات لم يقمن بالرد عليها وأكملن عملهن، فنظرت لأمها الباكية وسألتها بهدوء:

-وتين، توقفي عن البكاء، مراد بخير . . .

اقتربت من الطبيب وقالت له والدموع تنهمر من عينها :

-قل لها يا طبيب ان أبي بخير، قل لها أن تتوقف عن البكاء .

نظر لها الطبيب وقال لها بأسى وهو ينظر أرضاً :

-إن أباكِ قد توفي و . . .

امسكت به فريدة من معطفه بقوة وقالت له بغضب صارخة:

-لا تقل ذلك، أنت طبيب لا تفهم، ولا تعلم كيف تقوم بعملك على أكمل وجه، أنا والدي طبيب ولدي خلفية طبية سأريك ما سأفعل له . . .

تكمل كلامها وهي تقترب من أبيها وهي تبكي في هيستريا :

-هيا يا أبي افتح عينك، هيا يا مراد أرجوك لا تتركني .

ها هي تقوم بالضغط بكلتا يديها على قلب أبيها وتقول له صارخة:

-لا استطيع أن أعيش في هذا العالم من دونك يا مراد، أرجوك أفق . . .

الممرضات يحاولن سحبها وابعادها ، ولكنها صارت تدفعهن صارخة وتقول:

-أيها الأغبياء قوموا بتشغيل جهاز صدمات القلب، هيا اعيدوا أبي للحياة حالًا . . .

دفعت الممرضات عنها ومن ثم خرت قواها وفقدت الوعي .

استيقظت فوجدت نفسها معلق لها محاليل بمجرد أن فاقت حاولت أن تفهم لِمَ هي في المستشفى، ومن ثم بدأت تتذكر ما حدث، ولكنها كانت تقول في قرارة نفسها :

-اتمنى أن يكون كل ما مررت به طوال هذا اليوم أن يكون كابوس، يا رب يكون كابوس .

دخلت أمها الغرفة عليها وامسكت يدها وهي تبكي وتمسح بيدها على شعرها ، ولكن فريدة كانت تشيح بنظرها عن عيني أمها .

كانت أمها تبكي لفراق زوجها ، ولكن كانت تبكي أكثر على ابنتها المتعلقة بشدة بأبيها .

ها هي وتين ترتب اجراءات نقل الجثمان إلى مصر ، واستعدتا للسفر لمصر ، كانت هذه المرة تزور فيها فريدة مصر ، ولكن جسدها فقط هو الذي سافر ولكن عقلها ظل في لندن يجوب أرجاء البيت مع ذكرياتها هي ووالدها . . .

***

مرت الشهور وفريدة في غرفتها في فيلتهم في مصر ، لا تتحدث مع أحد ، ولم تعد للندن لكي تكمل عامها الدراسي .

قدرت أمها سوء حالتها ، وخسرانها لمن كان لها كل شيء .

ولكن في شهر اغسطس من عام ٢٠٣٨ أي بعد مرور عام وخمس أشهر على تلك الصدمة الكبرى بفقدها أبيها ، وتلك الصدمة الأخرى بفقدها شرفها واثبات ضعفها .

حاولت خلال تلك الفترة أن تتعافى من كلتا الصدمتين ولكن أثرهما كان عميق جدًا ، قررت الانتحار ولكنها خافت من عقاب الرب .

صارت أمها تشعر بوحدة حياتها ، صارت فجأة شاحبة بغياب حبيبها وشريك حياتها مراد وبفقدها شغف وسعادة بنتها . . . كم كانت تحب نقاشها هي وبنتها وتشاجرهما سويًا . . . يقولون أن الشخص الذي تحب أن تشاجر معه كثيرًا هذا يعني أنك تحبه بشدة . . .

***

يد شاب تحمل سكين وها هي اليد تقترب من فتاة لا نرى من ملامحها شيئًا ، لا نرى سوى ظهرها وشعرها الأسود متوسط الطول، وها هي اليد تقترب أكثر وأكثر، إلى

أن التفتت الفتاة مسرعةً ولكن شعرها يخفي ملامحها التفتت عندما شعرت بأنفاس أحد خلفها ومن ثم طعنتها اليد في ظهرها وسقطت أرضًا غارقة في دمها و . . .

-فريدة . . . استيقظي يا فريدة .

قامت فريدة فزعة من نومها . . . بدأت أمها تهدأ من روعها . . . وسألتها ما بها فقالت لها فريدة:

-كابوس يا وتين . . . كابوس يتكرر معي كثيرًا هو عبارة عن . . .

قاطعتها أمها وقالت لها وهي تمسح على شعرها لتهدئها :

-لا يا حبيبتي، لا تذكري الأحلام السيئة أو الكوابيس فقط اتفلي على يسارك ثلاث مرات واستعيذي من الشيطان ومن شر هذه الرؤيا . . .

ظلت فريدة شاردة بعض الشيء ومن ثم تغاضت عن التفكير .

بعد قليل من الوقت وقفت فريدة في شرفة غرفتها ، تحاول أن تتنسم الهواء كي يدخل ويزيل عن روحها غبار الحزن والكآبة .

قطعت أمها شرودها عندما دخلت واحضرت لها كوب من القهوة وكيك كي تتناوله.

جلستا سويًا تستمتعان بشمس مصر الدافئة التي تفتقر لها لندن الباردة الغائمة الكئيبة، ومن ثم قالت لها أمها وهي تنظر لها برفق:

-حبيبتي فريدة، ما رأيك في مصر...؟

تنهدت فريدة وهي شاردة الذهن في السماء الصافية وقالت وهي تتنفس بهدوء:

-انها جميلة حقًا بالرغم أني لم أرى شيء منها سوى هذا الطريق الذي أراه من شرفتي، ولكن جوها يبعث الدفيء داخل الروح...

-ما رأيك بالاستقرار هنا...؟

نظرت لها فريدة باستغراب وسألتها:

-هنا أين...؟

-في مصر يا فريدة، أنا كنت أرغب بشدة بالعودة والاستقرار في مصر ولكن مراد....

ومن ثم لم تكمل الكلام لأنها لا تريد أن تبعث الحزن بداخل فريدة بذكر أبيها . . .

نظرت لها فريدة وقالت لها :

-أكملي، ولكن أبي . . . ماذا . . . ؟

ابتلعت وتين ريقها وقالت لها بحزن لمجيء طيف ذكرى مراد في بالها :

-لأن مراد كان ينتظر أن تكملي دراستك الثانوية والجامعة وتصيري طبيبة مثله ومن ثم يأتي ويستقر هنا ، كما تعلمي أن المتغرب مصيره في يوم يعود لوطنه مهما طال غيابه .

-يعني هذا كان هدف مراد . . . !

اومأت أمها برأسها أي نعم فقالت لها فريدة وهي تحاول أن تتمالك أعصابها وألا تبكي، ومن ثم رسمت شبح ابتسامة لأمها وقالت:

-وأنا سوف أحقق مراد أبي، ولن أخذله أبدًا .

ابتسمت لها أمها ابتسامة تقاوم العبوس والبكاء ، ومن ثم قاطعتها فريدة وهي تهم بدغدغتها :

-توقفي عن البكاء أيتها البومة الكئيبة، لا أدري لِمَن بين الأمهات أنتِ أمي . . . ؟

حينها مسحت وتين دموعها وهي تبتسم وهي تهم بالوقوف وتقول:

-آه وأخيرًا قد عادت ابنتي المشاغبة من جديد .

أخذت فريدة فنجان القهوة وقطعة الكيك ووضعتهما على سور الشرفة وسألت

أمها وهي تهم بتناول الكيك:

-وتين، هل مراد كان يحب مصر . . . ؟

تنهدت أمها وهي تتقرب منها وسرحت في السماء وقالت بلهفة:

-ومن في الكون لا يعشق مصر . . . !

قاطعتها فريدة بعدما قامت ببلع الكيك بسرعة وقالت بعناد:

-لم أسألك على الكون كله، أنا اسألك على مراد لا أحب تغيير دفة الحديث ها . .

تنهدت وتين وهي تنظر بغضب يتخلله السعادة لأبنتها:

-آه يا ربي أنتِ خلقتي كي تعانديني وكفى، اسمعيني جيدًا يا ذات اللسان

الطويل . . . مراد كان يعشق مصر ويحب كل ما بها ولكن اضطر للسفر لكي يحقق

ذاته ليس هربًا منها أو كرهًا فيها كما يفعل قليلين الأصل . . . ولكن كان هناك دافع اخر للسفر هو أن ذاك البيت . . .

قاطعتها فريدة بصوت مكتوم وهي ترتشف من فنجان قهوتها وطلبت من أمها بلهفة:

-أريد أن أذهب للأماكن التي كان يحبها مراد قبل أن أسافر .

نظرت لها أمها بسعادة على تغير حال بنتها للأفضل وخروجها من قوقعة الحزن أخيرًا وأردفت لها بنظرة مليئة بحنو الأمومة:

-كان يحب القاهرة بكل ما فيها من مناطق أثرية أو متحضرة، وكان يحب سيناء بكل ما فيها بلا استثناء، والأقصر وأسوان .

نظرت لها فريدة ببلاها ومن ثم غمغمت:

-لا أدري شيئًا عن كل هذا دعينها نبدأ من أي مكان ولكن المهم أن نزورهم كلهم خلال هذا الشهر .

وبالفعل بدأت رحلاتهما . . . وبدأت فريدة تشعر بالقرب أكثر من أمها، كانت دائمًا لا تشعر بأنها بحاجة إلى حنان الأم، لأن حب الأب يكفيها، ولكن بعد فقدها لأبيها

ها هي تحتاج لحنو أمها الذي تبحث بين ثناياه على حب أبيها ، وقررت أن تحب أمها بشدة، يكفي أن أبيها كان يهيم بها حبًا وعشقًا .

مرت الأيام وقررت فريدة السفر إلى لندن والعودة إلى مصر في العطلات فقط، ولكن أثناء وجود فريدة مع أمها في المطار سألت أمها السؤال التي لم تتجرأ على معرفة اجابته كل هذه الفترة:

-أمي، لِمَ مات أبي . . . ؟

-مات أباكِ بسبب كثرة الاجهاد . . . لم يكن مراد يفكر في راحته . . . كان دائمًا يفكر في غيره ونفع غيره وكفى . . . كان يومها يشعر بالإجهاد، طلبت منه أن يرتاح ولكنه أصر أن يذهب لعمله في الجامعة .

ويبدوا أن الإجهاد قد ألم قلبه بشدة ووصل لحالة لم يتم اسعافها ورحل بسلام كما كان يعيش بسلام .

رسمت ملامح الأسى على وجه كلتيهما وهمهمتا :

-الله يرحمه .

من ثم جال في خاطر فريدة سؤال كي تغير مجرى الحديث كي لا تستسلما للحزن:

-أمي، لمَ تؤمنين بالأحلام . . . ؟ ولمَ تعيرنها انتباهك . . . ؟

-لأنها حق يا بنتي، وكل ما أحلم به يقع . . .

-ولكن في مرة قلتِ لي أن توماس سوف يؤذيني . . .

-نعم، أنا غير مرتاحة لهذا الشاب ابتعدي عنه عند رجوعكِ لندن .

-ولكن هذا الحلم كان منذ مدة طويلة لما أحذر منه . . . ؟

-ابتعدي عنه لأنه سوف يلحق بكِ أذى كبير . . . يعني إن لم يلحق بكِ أذى عندما حذرتك منه هذا ليس معناه أنه لن يؤذيكِ، ولكن موعد تحقيق الرؤيا لم يأتِ بعد، فانتبهي . . .

غمغمت فريدة في قرارة نفسها وقالت:

-لقد وقعت الرؤيا ولحق بي الأذى، وأنا كنت أظن أن الأحلام ما هي إلا تخاريف من العقل الباطن . . .

***

فتاة ترتدي عباءة سوداء على كتفها وشاح أصفر وشعرها أسود متوسط الطول

تقف شاردة، تقترب منها فريدة كي تفهم ما بها ، لمَ هي واقفة بمفردها . . ؟

ولكن سرعان ما بدأت بطنها بالنزف ومن ثم سقطت أرضاً فبرز السكين المطعونة

به في ظهرها . . .

صعقت فريدة من هول المشهد . . . حاولت أن تقترب من الفتاة كي تتأكد أنها ما

زالت على قيد الحياة أم لا قبل أن تطلب المساعدة . . .

ولكن سرعان ما تحولت نظرة الفتاة من ساكنة هادئة إلى نظرة كلها شر وتوعد وقالت

والدم يخرج من عينها ومن شدقيها :

-ابتعدي عن هنا . . . لا تعودي إلى مصر من جديد . . . ابتعدي.

***

فتحت فريدة عينها على صوت اسم الطائرة للرحلة القادمة .

كانت فريدة متعبة بعض الشيء فقررت أن تنام قليلاً قبل موعد طائرتها . . .

نظرت لها أمها وقالت لها بلهفة:

-كنت سوف أوقظك الآن . . .

لم تهتم لما تقوله أمها وهمت بمعانقتها وهي تشعر بأمان وراحة من بعد هذا الكابوس، ولكن سرعان ما بدأت تسمع همهمات أمها . . . فقالت لها فريدة:

-لا تقلقي عليَّ ان احتجتِ لي في أي وقت سوف تجديني بين يديكِ في خلال ساعة . . .

أوه الرحلة في عام ٢٠٣٧ تحتاج ساعة ونحن الآن نحتاج أكثر من خمس ساعات، بالفعل ان التقدم سوف يوفر لنا الكثير من الوقت، ولكن علينا أن نستغل هذا الوقت الذي قمنا بتوفيره لما هو مفيد وليس لاضاعته هباءً .

***

الفصل الثالث

الاختراع

عادت فريدة إلى لندن وكان رفيقيها توماس وليندا في انتظارها ، لم تكن تتوقع أن ترى توماس بعد فعلته تلك، لقد كانت على استعداد أن ترى ليندا التي اتصلت بها بعد غياب طويل وقالت لها على موعد وصولها .

عندما رأت توماس رسمت ملامح الغضب على وجه فريدة وقالت لليندا :

-لم أكن أظن انكِ ستفعلين ذلك، قلت لكِ لا تخبري أحدًا .

وهمت فريدة غاضبة وهرعت خلفها ليندا موضحة:

-توقفي عن عصبيتك تلك واسمعيني يا . . .

قاطعها توماس وقال لها دعيني أنا أوضح لها :

همت فريدة مسرعة وخرجت من المطار ، هرع خلفها توماس وقال لها وهو ممسك إياها وهو يلهث محاولًا التقاط أنفاسها :

-ممكن أن تعطيني من وقتك دقيقة، اقسم لكِ دقيقة واحدة فقط . . .

-ولا حتى ثانية، لا أريد أن أرى وجهك . . .

-صدقيني، دقيقة واحدة ولن تري وجهي مرة أخرى . . .

وافقت فريدة على مقابلته ولكنها كانت تقف بجانبها أي لا تريد عينها تقابل عينه أبدًا، لأنها عندما تنظر له تشعر بالبغض ورغبة في الانتقام على ما فعله، ولكن سرعان ما قطع توماس شرودها بالتفاته أمامها ونزوله على ركبتيه معتذرًا متأسفًا لها باكيًا:

-فريدة أرجوكِ اعطي لي فرصة أخرى اثبت لكِ صدق نيتي، أنا أحبك ولم أكن أقصد ـن أؤذيك، أقسم لكِ اني لم أكن بوعيّ .

ولكن فريدة لم تكن تنظر له وها هي الدموع بدأت تلتمع في عينيها ولكنها ترفع رأسها في كبرياء كي تمنع دموعها من النزول لأنها تشعر إذا نزلت دموعها حزنًا على ضعفها تشعر أن كرامتها سوف تنزل وتسقط .

وها هي لم تتمالك في سماع صوت توماس الباكي النادم وها هي تهم بسحب حقيبتها تاركةً إياه، ولكن توماس سرعان ما هم واقفًا ممسكًا بيدها ووقف أمامها وقال لها وهي يمسح دمعه محاولًا تمالك نفسه:

-فريدة أقسم لكِ أن تصدقي اني لم أكن مدركًا ما حدث، انا استيقظت في اليوم التالي بجوار البحيرة ومن ايقظتني كانت إيما جاءت لي وكانت مندهشة من وضعي هكذا عاري تمامًا، عندما فقت لم أكن أدري ما سبب وجودي هنا، ولكن سرعان ما بدأت اتذكر ما حدث في ذلك الوقت كانت إيما لا تتوقف عن التساؤل ولكني لم اكن أرد لأني صرت نادمًا على ما فعلته معكِ يا فريدة، وفي ذات اليوم قررت الانفصال عن إيما و. . .

قاطعته فريدة في عصبية وعيناها تترقرق بالدمع وقالت:

-مهما تقول لن أغفر لك أبدًا ما سببته لي من ألم خلال كل هذه الفترة، أرجوك لا تظهر أمامي مرة أخرى، أريد أن اتعافى مما حدث وألا أتذكره مرة أخرى.

صار توماس يتبعها ويقول لها معتذرًا:

–أنا اسف يا فريدة، كنت انتظر اليوم الذي أراكِ به كي اعتذر لكِ وكنت أتمنى أن تعطي لي فرصة أخرى كي أكون معكِ، لأنك لو قبلتِ اعتذاري هذا معناه أن لي فرصة أخرى للحياة، ولكن إن لم تقبلي اعتذاري فهذا معناه اني لن استطيع أن أعيش في عذاب نفسي أكثر من ذلك على ما فعلته بكِ وما سببته لكِ من ألم. . .

أرجوكِ لا تكرهيني . . . وتذكري لي أي ذكرى كانت جميلة بيننا في يوم. . . لا تهربي مني ثانية يا فريدة. . . لأني سوف أرحل.

ومن ثم ضغط على حذائه وطار عاليًا .

التفتت فريدة فرأت ليندا تقف بعيدًا تتأمل الموقف، ولكن بمجرد أن رأت فريدة لم تحرك ساكنًا، نظرت بحزن إلى فريدة وضغطت على حذائها وطارت كي تلحق بتوماس. . .

ها هو توماس يقف فوق مبني عالي جدًّا، ولكن ليندا تنظر له وتبكي كي تمنعه كي لا يترك جدار المبني ومن ثم أردفت:

-توماس، توقف أرجوك، لا تفعل ذلك، أنا أعلم أن فريدة سوف تسامحك، لا تصدق صلابتها، انها تحتاج إلى بعض الوقت، أرجوك لا تيأس وتستسلم مسرعًا هكذا أرجوك.

تمتم توماس وهو يجهش بالبكاء:

-أريد أن أموت، لأني لا أجد الراحة في حياتي، أنا شخص أحمق ولا أحد يحبني، ولا أحد يرغب في وجودي.

اقترب منه ليندا بحذر وقالت:

-من قال لك هذا يا توماس، كلنا نحبك، كلنا نرغب في وجودك معنا . . .

صرخ بها توماس وقال لها وهو يبكي:

-ابتعدي عني يا ليندا، لأنكِ إن حاولتِ منعي سوف تعجلي موتي قبل أن أطلب السماح من الرب.

-أرجوك توقف عن التفوه بهذا الكلام، ودع هذه الفكرة، وهيا عد معي . . .

-لن أعود لأن فريدة لم تسامحني، لا أريد أن أعود للدنيا المصرة على اعطائي أشياء وأشخاص لا أرغب بهم، ودائمًا ما تسلبني كل ما أريد .

وها هو نظر لليندا وقال لها باكيًا :

-ليندا سامحيني إن سببت لكِ أذى في يوم من الأيام .

قاطعته ليندا وقالت باكيةً:

-ولكنك لم تأذني أبدًا يا توماس، لطالما كنت المقرب لدي منذ الصغر وأنا أحبك جدًا .

ومن ثم رفع رأسه للسماء مجهش بالبكاء وهو يقول:

-يا رب سامحني على ما سوف اقدم عليه، ولكني اطلب منك مغفرتك و . . .

ومن ثم سمع صوت يأتي من أمامه ففتح عينه في دهشة:

-وأنا . . . ألا تريد أن تطلب الغفران مني مرة أخرى قبل الرحيل . . . !

دهش توماس عندما سمع ذلك الصوت، الذي كان صوت فريدة التي كانت محلقة أمامه في الهواء وتنظر له نظرتها المتفائلة التي طالما اعتاد عليها عندما تكون فريدة في

مزاج رائق، ها هو يفلت يد من اليد الممسكتين بالسور كي يمسح عينيه من الدمع، في تلك اللحظة فقد اتزانه واليد الأخرى فقدت تماسكها ولكن سرعان ما عانقتهه فريدة معيدة إياه، ومن ثم امسكت به ليندا واجلساه على سطح المبنى، ها هو يجلس في بينهما ، وينظر إلى فريدة في دهشة، ويقول بعينين مليئتين بالدمع:

-هل هذا حقيقي، هل سامحتني بالفعل يا فريدة ؟

نظرت له فريدة باستغراب مداعبة إياه:

-ما هذا السؤال الغبي . . . ! اقسم لك إن سألت مثل هذه الاسئلة مرة أخرى سوف ألقي بك من فوق هذا المبنى وقبل أن القي بك سوف أخلع حذائك ذا . . .

ابتسم لها توماس باكيًا وأردف:

-كم أحب عصبيتك يا فريدة .

همت فريدة واقفةً بهمة وقالت لهما :

-هيا يا رفاق أريد أن نخرج سويًا بمناسبة عودتي .

ومن ثم ضربت مقدمة رأسها بكف يدها متذكرة:

-اه . . . نسيت، لا مانع من قدوم إيما معنا . . .

نظر لها توماس باستغراب:

-ولكني قلت لكِ أننا انفصلنا . . .

-لا أريد أن تنفصل عنها بسببي هيا اتصل بها مرة أخرى و . . .

انفعل توماس قليلًا وأردف:

-أنا لم أنفصل عنها بسببكِ، أنا لم اتأقلم معها قط، وإيما مرتبطة حاليًا فلا داعٍ لذكر اسمها . . .

نظرت فريدة باستغراب وقالت لليندا التي لا تفعل شيء سوى النظر لكلاهما :

-يبدو أن هناك أمور كثيرة قد تغيرت هنا . . .

ابتسمت لها ليندا وأردفت وهيا تهم واقفة وتأبطت ذراع فريدة ضامة إياها :

-سأخبرك بكل شيء . . .

***

ها هي فريدة تعيد اخر عام لها في الثانوية من جديد وها هي تجد وتجتهد كي تلتحق بكلية الطب التي سبقاها إليها كل من توماس وليندا . . .

***

في السابع من شهر أكتوبر عام2028

–الو . . . .دكتور جون . . أين كنت ؟ لقد قلقت عليك كثيرًا .

–اسف يا عزيزتي . . . كنت مشغول حقًا من أجل أن أحضر لك مفاجأة عيد ميلادك . . . ولكني لم أوفق .

–مفاجأة ماذا . . ؟ أنت أكبر هدية لي في الحياة . . . أنت صرت لي أبي من بعد موت أبي مراد .

هذا أول عيد ميلاد أشعر فيه اني وحيدة بدون أبي الذي مات ومن دون أمي التي قررت أن تستقر في مصر بعد وفاة أبي، وها أنت قد أكملت تعاستي ليلة عيد ميلادي بعدم حضورك، بل واقلقتني عليك .

-سامحيني يا عزيزتي . . . لم أقصد أن أجعلك تعيسة ليلة عيد ميلادك . . بل إن المفاجأة التي كنت أود أن تكون جاهزة ليلة عيد ميلادك لم تجهز بعد .

-وما هي هذه المفاجأة . . ؟

-كيف تكون المفاجأة مفاجأة إذا علمتِ بها يا فريدة .

-حسنًا ، قل لي أين أنت الآن . . . ؟ أنا ذهبت إلى بيتك وسألت العمة كريستينا ولكنها اجابتني: أنها لا تعلم أين أنت .

-لقد خرجت مبكرًا ولم اخبرها إني سوف اذهب لمختبري .

-إذن أنت في المختبر الآن، سوف أتي إليك حالًا .

-فري . . . !

أغلقت الهاتف بمجرد أن عرفت أين دكتور جون .

بعد ساعة وصلت إلى مختبره، عندما قابلته عانقته بشدة، إنها تحبه جدًا .

دكتور جون بمجرد أن رآها أمامه فتح ذراعيه إليها مستقبلاً عناقها له ، وأردف:

-أوه يا عزيزتي، سامحيني عما صدر مني الليلة، ولكن الأمور لم تجري كما خططت لها .

-لا يهمك يا جون، أنت تعرف كم أحبك، أنا حزينة فقط لأني ظننت أن يمكن قد أصابك مكروه، حمدًا لله أنك بخير .

-لا تحزني يا صغيرتي فلقد أوصاني أباكِ عليكِ وأنا مسؤول عنكِ وعن سعادتك .

-لا تقل لي صغيرتي، لقد كبرت يا جون، الليلة عيد ميلادي الثامن عشر، صرت شابة ناضجة الآن .

-لا ستظلين صغيرتي إلى آخر يوم في حياتي .

-حسنًا، قل لي الآن ما هي المفاجأة التي جعلتك تتخلف عن ليلة عيد ميلادي . . ؟

-لقد أكملت الاختراع لتوي ولكني لم أجربه، يجب أن أجري بعض التجارب على أشخاص متطوعين كي اثبت صحة الاختراع .

-وما هذا الاختراع . . . ؟

-اختراع يجعلك تتحكمين بالزمن، ترجعين لأي تاريخ في الماضي، وتكتبي أي تاريخ في المستقبل.

-وكيف أفعل ذلك وما هو شكل هذا الاختراع؟

-أنه يتكون من خمس قطع يا عزيزتي.

عدسات لاصقة، لا تظني أنها للتجميل ولكني صممتها لكي تكون شاشات مصغرة لكي نرى من خلالها.

وسماعتان دقيقتان جداً نسمع من خلالهما ما سوف نمر به خلال تلك التجربة.

وخامس قطعة هو هذا الجهاز اللوحي أنه يشبه الهاتف أعلم ذلك، ولكنه مبرمج على كتابة التاريخ والسفر عبر الزمن.

-اووه، يعني سوف أختفي من هنا وأسافر عبر الزمن.

-لا يا عزيزتي، لن يحدث ذلك، جسدك سوف يظل هنا في المختبر.

-وكيف سوف أسافر عبر الزمن إن لم أسافر بجسدي.

-سوف تسافرين في رحلة العودة للماضي أو السفر للمستقبل من خلال عقلك فقط،

ومن خلال العدسات اللاصقة سوف ترين ذاك الواقع في الماضي أو المستقبل .

-ولكن كيف سوف أشعر بهم وكيف سوف يشعرون بي .

-إن العدسات التي ترتدينها تصدر إشعاعات تحيط بك تجعلك مرئية كما تظهر أي

شيء حولك، والسماعات التي ترتدينها تصدر ذبذبات تجعلك مسموعة وتمكنك

من سماع أي شيء حولك كذلك .

-ولكن كيف سوف أكون في الماضي والمستقبل بلا جسدي .

-سوف تسافرين للماضي والمستقبل من خلال روحك فقط، وتلك المعدات التي

معك تجعلكِ طيف شفاف أو شخص محسوس به تمامًا .

-لم أفهم يا جون . . . !

-إنها مغامرة تشبه الحلم إلى حد كبير، ولكنه حلم أنتِ من تختاري أحداثه،

والأشخاص التي تريدين أن ترينهم أثنائه .

يعني يمكنك أن تعودي لأي يوم في حياتك .

-صدقني يا جون إني أحاول أن أفهم، ولكن من دون أن أفهم أنا أود أن أجرب هذا الاختراع حالًا .

-أجننتِ يا فريدة، لا يمكنني أن أجرب الاختراع عليكِ، أن لهذه التجربة توقيت يجب أن تعودي قبل تمام ست ساعات في التجربة .

-يعني إذا استمريت أكثر من ست ساعات ماذا سيحدث يا جون . . ؟

-لن تعود روحك من جديد إلى جسدك .

الجهاز لن يتحمل أن تطول مدة التجربة أكثر من ست ساعات .

إذا انتهى شحن الجهاز للمدة المحددة لن يمكنك أن تشحنيه لا في الماضي ولا المستقبل، يجب أن تعودي إلى الواقع من جديد ، ونعيد شحن الجهاز لكي نكرر التجربة .

-حسنًا ، يا جون لقد فهمت كل شيء ، أن الأمر بسيط جدًّا .

إنها أفضل مفاجأة صارت لي في حياتي .

إذا كنت تحبني حقًا دعني أجرب هذا الجهاز .

-لا يمكنني، لا أدري ماذا سوف تكون النتائج يا عزيزتي .

-أرجوك، أريد أن أعود بالزمن لليوم الذي تركت فيه البيت لكي أسافر مع أصدقائي وتركت فيه أبي . . . ولم اسمع لتحذير أمي .

ولكني كنت أظن أنها خائفة عليَّ، كنت أظن أنها تظنني ما زلت تلك الفتاة الصغيرة المدللة، لذا تمردت وسافرت وتركتهما .

-اهدئي يا عزيزتي، إن اباكِ أوصاني عليكِ وقال لي أنه يحبك بشدة وأوصاني أن أحبك كما أحبك هو .

أنتِ ابنتي التي حرمت من إنجابها .

-إذن إذا كنت تريد أن تنفذ وصية أبي لك، دعني أقوم بهذه التجربة، أريد أن أرى أبي، أريد أن أعانقه، لقد اشت . . .ق . .ت إليه كثيرًا . . .

-تعالي في حضني يا حبيبتي، توقفي عن البكاء يا عزيزتي، دموعك غالية عندي يا بنيتي، توقفي يا فريدة أنتِ قوية، وهذا أمر الرب وعلينا أن نحمد الرب على قدره .

-أرجوك، دعني أذهب إليه .

-حسنًا يا فريدة، ولكن دعيني أصل الحاسوب الخاص بي بجهاز التحكم الخاص بكِ لأنك يمكن أن تنسي التحكم في الجهاز ويأخذك الوقت، فسوف أقوم أنا بإخراجك من التجربة .

وسوف يظهر لي وأسمع كل شيء أنتِ ترينه أو تسمعينه في الحاسوب الخاص بي .

فجأة تغيرت ملامح الحزن والبكاء إلى ملامح فرحة ومن ثم قالت لجون وهي تهم بمسح دموعها :

-ولِمَ كل ذلك يا جون، أنا سوف انتبه للوقت .

-على الأقل يا حبيبتي في أول مرة بعد ذلك إذا نجح الأمر سوف أتركك تفعلي ما تشائين .

-حسنًا ، ها أنا أنتظرك إلى أن تنتهي، ولكن لا أريدك أن تتعب معي أنت لم تنم بعد .

-لا يهمك يا عزيزتي، الليلة ليلة ميلادك وعليَّ أن أسعدك .

ومن ثم مر القليل من الوقت ومن ثم نظر لي دكتور جون نظرة تشجيعية وقال لي:

-أنتِ جاهزة يا عزيزتي !

-أنا جاهزة يا جون، بل أنا متحمسة، لم أكن أظن أن بأمكاني أن يعود بي الزمن وأعيش مع أبي آخر أيامه . . . ولكن هل يمكنني أن أسألك سؤال ؟

-أكيد يا فريدة .

-هل يمكنني أن أمنع أبي من الخروج ذلك اليوم كي لا يمر بتلك الأزمة وبذلك عندما أعود للحاضر أجد أبي لم يمت بعد .

-لا، لن يمكنك ذلك يا فريدة، إلا الموت لن يمكنك منعه أبدًا لأنه مكتوب علينا جميعًا في يوم محدد سوف نموت .

يعني إذا منعتيه أن يموت بتلك الطريقة سوف يموت بطريقة أخرى، لأن هذا يومه يا عزيزتي .

-ولكن . . .

-لا تفكري يا عزيزتي . . . كل ما عليكِ أن تعودي بالزمن وتقضي هذا اليوم مع والدك، وأهم شيء انك بالفعل غير موجودة في ذلك التاريخ لأنك مسافرة مع أصدقائك، فلن تكوني عائق لنفسك في ذلك الوقت .

–حسنًا يا جون، لقد فهمت كل شيء الآن .

إذن أنا مستعدة . . هيا بنا نبدأ .

جلست على الكرسي ومن ثم ارتدت العدسات ومن ثم ركبت السماعات الدقيقة في أذنها ومن ثم أعطاها دكتور جون جهاز التحكم، أمسكت به في يديها وكتبت التاريخ (١٣/٣/٢٠٣٧) وعنوان بيتها ومن ثم نظرت نظرة وداع إلى جون وعينيها تفيض من الدمع ومن ثم ضغطت على التأكيد .

أوه يا إلهي، في غمضة عين صارت أمام باب بيتها ، ها هي ترن جرس البيت، فظهرت أمها في الشاشة فقالت لها مندهشة:

–ها ، فريدة، عدتِ بسرعة . . ألم تقولي أنك سوف تسافري مع أصدقائك .

–لم استطع أن أرفض طلبكِ، ورغبت في أن اقضي معكما اليوم .

–ادخلي يا فريدة ، ولكن أين حقيبتك ؟

–أوه، لقد نسيتها ، ولكن لا يهم .

–كم أنتِ غريبة يا فريدة، ولكن لما لم تفتحي بالبطاقة الخاصة بكِ يا بنيتي ؟

-قلت لكِ نسيت حقيبتي يا وتين .

-ليس من طبعك النسيان يا فريدة ولكن لا يهم .

-قولي لي أين مراد ؟

في هذه اللحظة قد جاء أبي من الحديقة الخلفية عندما سمع صوتي .

قال لها أبيها عندما رأها :

-فريدة . . ! م . . .

لم تجعله يكمل سؤاله حتى لأنها هرولت مسرعةً معانقة إياه بشدة، وقالت له وهي تقبله بجنون:

-أبي، أبي حبيبي، لقد اشتقت إليك كثيرًا، آه يا أبي يا حبيبي آه لو تدري كم أحبك .

ومن ثم صارت تبكي بهستريا ، أخذ يربت عليها وهو يعانقها بشدة ويقول لها :

-يا حبيبتي و أنا أيضًا أحبك، ولكن لما تبكي يا حبيبتي اهدئي . . !

-أبكي لأني اشتقت إليك كثيرًا .

-لَكل هذا الاشتياق، كنا معًا منذ قليل يا فريدتي .

أردفت أمها متعجبة:

-إن فريدة غريبة جدًّا اليوم، تخيل يا مراد أنها قالت لي يا أمي، وهي لا تقل لي تلك الكلمة قط . . . وها هي تنعتك بأبي . . !

ضحك مراد وفريدة متمسكة به مثل الطفلة التي لا تريد أن تترك حضنه، بل صارت تقف بجانبه وهي تضمه، ومن ثم قال مراد لوتين وهو يمسح بيده على شعر فريدة:

-ما أجمل كلمة أبي من بنيتي، أن أي كلمة تكون جميلة من فريدة .

ولكن قولي لي يا صغيرتي ما سبب كل هذا الاشتياق، لِمَ لم تسافري مع أصدقائك ؟

لا أدري ولكني فكرت كثيرًا بأن تكون رحلتي معك ومع وتين، ها ما رأيك اليوم نخرج سويًا ، ونذهب للتنزه وللعب والذهاب للملاهي وللسينما وأكل المثلجات .

ضحك مراد ونظر لعينيها وأردف:

-كل هذا يا حبيبتي في يوم واحد ؟

نظرت إليه وهي تعانقه وتحاول أن تحبس دمع عينيها وأردفت:

-نعم كل هذا ، ولن ترفض لي طلبي .

-بالرغم أني متعب يا صغيرتي ولدي عمل مهم ولكن لا يوجد شيء مهم بالنسبة لي سواكِ، أنتِ تتدللين يا حبيبتي .

وبالفعل تنزهوا ولعبوا سويًا وضحكوا كثيرًا وأكلوا الوجبات التي يحبونها والمثلجات التي يعشقونها ، وشاهدوا فيلم في السينما للفنان المفضل لهم .

وها هو الوقت يمر وهي لا تترك حضن أبيها ، لم تفارقه أبدًا ، لم تكن ترفع عينيها عن عينيه، كانت تريد أن تجترع المزيد والمزيد من نظرات عينيه لكي تروي ظمأ اشتياقها إليه .

ومن ثم قرروا أن يجلسوا أمام البحر ويتكلموا ، ضحكوا كثيرًا ولم تترك فريدة يد أبيها لحظة، ولكن في لحظة وهو جالس على الكرسي، سرح قليلاً في البحر وفريدة تتحدث إليه ولا يرد ، نظر لها أبيها وهو يرسم على وجهه ابتسامة ولكن فريدة شعرت أن خلف هذه الابتسامة ألم بداخله، نظر إليها بعينيه السوداوين اللامعتين المتلألئتين بسبب الدمع النابع من الألم الذي يحاول ألا يظهره إليها ، ومن ثم قال لها وهو يبتسم:

-فريدة أنا أحبك .

ومن ثم حول نظره إلى وتين وقال لها :

-وتين أنا أحبك ولم أحب غيرك وسأظل أحبك إلى الأبد .

فريدة كوني فريدة يا فري . . .

وأثناء كلامه كانت فريدة وأمها تقولان:

-وأنا أيضاً أحبك . . .

وظلا يبكيان ولكنه لم يكن متجاوب معهما ، كأنه لا يسمعهما هو فقط يراهما ويقول هذا الكلام، ومن ثم أغمض عينيه .

صرخت فريدة ووتين وهما يحركانه كي يعود لوعيه . . .

أبي . . أرجوك افتح عينك . . .

***

–ها ، أين انا ؟

دكتور جون ؟

ماذا حدث ؟

رد عليها دكتور جون وهو يمسك بأذنها معاتبًا :

–آه منك يا فريدة، لم تفعلي شيء مما اتفقنا عليه، ها أنتِ عدتِ بالزمن وغيرتِ الأحداث ولم تتركي أباكِ يذهب و . . .

–لم أرغب أن تكون نهاية أبي وأنا بعيدة عنه و . . .

–ولكن حدث ما قلته لكِ . . . في الوقت المحدد لكل منا سوف نترك الحياة لا مجال للهرب من الموت .

صارت تبكي بجنون فضمها دكتور جون وقام بتهدئتها .

–آه يا جون ، أشكرك كثيرًا ، ذلك اليوم أفضل يوم في حياتي ، عشت سعادة لم اعشها قط في حياتي مع أبي .

-الحمد لله اني موجود وأخرجتك، لأن الوقت كان قد أوشك على الانتهاء وأنتِ دخلتِ في حالة هستيريا بسبب حزنك على أباكِ، كنتِ سوف تظلين هناك إلى الأبد .

-اسفة جدًا يا جون، يبدو أنك متعب، ست ساعات تتابعني ولم تنم قط .

-من قال إني تابعتك ست ساعات ؟

-ألم تقل لي أن التجربة ست ساعات !

-ست ساعات مدة التجربة في العالم الاخر، ولكن في الحقيقة أن التجربة مدتها ست ثوان فقط .

نظرت إليه بدهشة واستغراب متسائلة:

-ولكن كيف تابعت وشاهدت كل ما مريت به خلال ست ساعات في خلال ست ثوان .

-كل الذي رأيته لقطات سريعة، أنا عيني كانت على الوقت وأوقفته على خمس ثوان وخمسون جزء من الثانية .

-ولكن كيف حدث كل هذا ؟

-قلت لكِ أن تلك التجربة أشبه بالحلم، أي حلم نراه أثناء نومنا ومهما طالت مدته لا تتجاوز مدته في الواقع بضع ثوان، عالم الأرواح مختلف تمامًا يا عزيزتي .

عانقته بشدة وأردفت:

-أشكرك يا جون على تلك المفاجأة، لقد حققت وصية أبي لك وبالفعل أسعدتني، ولكن هل يمكن أن أطلب طلب !

-أكيد يا بنيتي .

-هل يمكن أن تعطي لي ذلك الفيديو المسجل لتلك التجربة .

-أكيد يا فريدة، ولكن دعيني أغير سرعته واجعله سرعة طبيعية لأن الأحداث مسجلة بسرعة فائقة جدًا .

قبلته وشكرته، ومن ثم أوصلها لبيتها ، وفي تلك الليلة قامت فريدة بتشغيل الفيديو وكررت لحظات السعادة من جديد ونامت وهي تبكي وتضحك في نفس الوقت .

في صباح اليوم التالي اتصلت بدكتور جون كي تشكره من جديد على تلك التجربة ومن ثم طلبت منه أن تقابله في المعمل الليلة من أجل أن تكرر الأمر من جديد .

رفض في بداية الأمر ولكن فريدة اصرت إلى أن وافق .

في المساء تقابلا ومن ثم شرح دكتور جون لها :

-يا فريدة يا حبيبتي لا أستطيع أن أجعلك تجربي الليلة أيضاً ، أنتِ بالأمس كدتِ ان تنسي الوقت، ماذا كنت سوف أفعل حينها إذا بقيتِ في العالم الآخر . . . ؟

-أنت رافض الآن لأنك تشعر بالقلق عليَّ، أعدك سوف انتبه الليلة . . . كل ما في الأمر أن الأمر كان جديد عليَّ فقط، لذا لم انتبه .

حك دكتور جون رأسه ذا الشعر الابيض الناعم الكثيف وأردف متنهدًا :

-حسنًا يا فريدة، ولكن دعيني اكمل الليلة التعديل التي أرغب به على الجهاز، أريد أن أعدل المدة الزمنية المحددة .

-حسنًا موافقة، ولكن يا جون أشعر بالعطش، هل يمكن أن تجلب لي شيء أشربه !

-لا بل سوف أجلب شيء نأكله أيضاً ، دقيقة وسوف أعود إليكِ يا صغيرتي .

بمجرد أن خرج دكتور جون من الغرفة شرعت بارتداء العدسات والسماعات وكتبت نفس التاريخ لكي تقابل أبيها مراد من جديد في نفس اليوم، ولكن في هذه المرة قررت أن تعيش معه تجربة مختلفة .

وبالفعل قضت اليوم مع أبيها من جديد في أماكن مختلفة، ولكن سعادتها ولهفتها كانت لا توصف .

في هذه المرة لم تبكي بل كانت تضحك والسعادة كانت تغمرها ، لأنها صارت تشعر بأنها لم تفقده، بل سوف تعود لأي يوم في أي وقت وسوف تقابله من جديد .

ومن ثم تركت الجهاز وآخر مرة نظرت له علمت انها تبقى لها نصف ساعة، وها هي في مغامرة مع أبيها يسبحان سويًا في البحر ، لذا قررت أن تترك الجهاز مع ملابسها على الشاطئ .

أبيها يشعر بسعادة عارمة، ومازال ينظر إليها كأنها طفلته الصغيرة .

ومن ثم فجأة توقف مراد عن الابتسام ومن رسمت ملامح الألم على وجهه ومن ثم ارتخى جسده على الماء، فقامت بسحبه باكية إلى الشاطئ، ومن ثم شرعت هي وأمها في البكاء، ولكن فجأة رأت فريدة شيء غريب . . . !

أمها تحولت إلى أفعى كبيرة جدًا وفتحت فاها صارخة قائلة:

-أنتِ من قتلتِه .

و من ثم شرعت بمهاجمة فريدة، ولكن فريدة هربت مسرعة وقررت أن تهرب للبحر وتعوم لأن الافعى لن تتمكن من العوم بالتأكيد .

ولكن فجأة بمجرد أن اقتربت الأفعى من الشاطئ تحولت إلى قرش كبير، قام بالعوم بسرعة تجاه فريدة، صارت تعوم مسرعة صارخة تشعر بالفزع بسبب فم القرش الذي يريد أن يلتهمها .

ومن ثم بمجرد أن رفعت نظرها عن القرش كي تنظر أمامها، رأت أبيها مراد يعوم وينظر لها فاتح ذراعيه ويقول لي:

-هيا يا صغيرتي، بإمكانك فعلها .

ولكنها صرخت وشعرت بالرعب والتفتت بنظرها للشاطئ فوجدت جثة أبيها هامدة وأمها على الشاطئ تنظر لها صارخة خائفة عليها وتقول لها :

-عودي يا فريدة .

ولكن القرش ها قد اقترب منها .

ومن أمامها أبيها يقول لها :

-هيا يا فريدة . . .

ومن ثم تحول أبيها إلى قرش والقرش الذي خلفها صار أبيها .

ومن ثم فتح القرش فاه والتهمها ، ولكن فجأة تغير كل شيء وصارت في حفرة عميقة وحولها غابة، ومن ثم جاءت إليها عاصفة قوية فرفعت جسدها في الهواء ، صارت تدور في الدوامة الهوائية ومن ثم القتها الدوامة على سحابة ضخمة، شعرت حينها بالأمان لأنها كانت تحملها ومن ثم رأت السحاب تشكل على هيئة درج لكي تتمكن من النزول، ومن ثم شرعت تنزل الدرجة الأولى والثانية والثالثة ولكن الرابعة لقد

جعلتها تهوى ساقطة وكانت الأرض تحتها كأنها وحش فاتح فاه بأسنانه الحادة ولكن فجأة.

سمعت صوت دكتور جون . . .

يقول لها معاتبًا :

-لِمَ فعلتِ ذلك يا فريدة لِمَ ؟

نظرت إليه باكية مرتجفة، وقالت له وهي تتلعثم في الكلام معانقة إياه:

-ج جون، ل قد انق ذتني، مررت بتجربة مرعبة . . .

ومن ثم وهي تعانقه نظرت لوقت التجربة كانت 6ثوان و 30جزء من ثانية.

سألته مستغربة وهي تمسح دمع عيني بيديها :

-أنا قد تجاوزت الوقت يا جون أنظر.

ولكن كيف . . . ؟

ربت على كتفها مهدئًا إياها ولكن نظرته لها كانت نظرة غضب بسبب فعلتها تلك لأنه خائف عليها كثيرًا ومن ثم أردف:

-لقد كذبت عليكِ يا فريدة وقلت لك فكرة أن الجهاز له مدة محددة ويفصل شحنه، وكذبت عليكِ بشأن أنك سوف تظلين حبيسة ذلك العالم.

-ولِمَ كذبت عليَّ . . ؟

-لأني لم أرغب أن تمري بما مررتِ به، أنا قلت إذا قلت لكِ تلك الفكرة سوف تخافين وسوف تلتزمين بالوقت المحدد، لأن بالفعل إذا تجاوزتِ الوقت لن يفصل الجهاز ولكنك سوف تدخلين في المرحلة الثانية من التجربة وهي مرحلة الهلوسة البصرية والسمعية، وتلك المرحلة سوف تؤثر على تفكيرك وسوف تنسين أمر الجهاز تمامًا وأمر الرجوع.

وسوف تظلين في مرحلة هلوسة مستمرة وعقلك لن يتحمل تلك الهلوسة كثيرًا و . . .

-حسنًا يا جون الآن فهمت كل شيء، الأمر يشبه فكرة الحلم مثل ما قلت لي.

-نعم يا عزيزتي، أنه حلم ولكن أنتِ المسؤولة عن تفاصيله.

-صحيح يا جون أنت تعرف جيدًا ان أمي تفهم في الأمور المتعلقة بالأحلام ولكني لم أرغب في يوم أن أتعلم منها هذا العلم .

ولكن في مرة سمعتها تقول لجارتنا التونسية أن ما رأته كان النصف الأول منه رؤيا ولها معني بينما الجزء الثاني هي عبارة عن هلوسة وليس لها تأويل، أحيانًا عندما يطول الحلم تبدأ في مرحلة الهلوسة كما قلت يا جون، الآن تذكرت ذلك اليوم بالفعل .

-كلامك صحيح يا فريدة، ولكني أشعر بالضيق مما فعلتِه الآن .

-سامحني يا جون، أول وآخر مرة اتجرأ وأفعل شيء من دون استئذان .

-أحمد الرب اني معكِ في نفس المكان وأخرجتك من ذلك المأزق .

-أنت منقذي يا جون، ولكن هل يمكن أن أكل تلك البيتزا الشهية، لقد جعت كثيرًا بسبب الفزع الذي شعرت به في تلك التجربة الرهيبة .

ابتسم جون وأردف:

-آه منكِ يا فريدة، لا تأخذين الأمور على محمل الجد أكثر من دقيقة .

-أي أمر في الحياة لا يستحق التفكير فيه كثيرًا، ما دام حدث يعني انتهى، فأهلاً بالجديد .

-حسنًا يا فيلسوفتي، فنانة في اللامبالاة أنتِ .

-وعاشقة للبيتزا لا تنسى مميزاتي .

-في يوم سوف تحققي وصية أباكِ وسوف تكوني فريدة يا فريدة .

-هذا الأمر سوف أفكر فيه فيما بعد ، دع الغد قليلاً ودعنا في الحاضر الذي سوف يبرد إذا نسيناه بسبب التفكير فيما سبق وفيما سوف يأتي .

-حسنًا هيا نأكل ومن ثم نعود للمنزل لكي نرتاح قليلاً .

***

وبالفعل بمجرد أن عادت للبيت وصارت تشاهد الفيديو المسجل لتلك التجربة تمتمت في قرارة نفسها :

-أنه لفيديو مشوق بالفعل، بل سيكون أفضل فيلم إثارة إذا تم تصويره .

لكن بعد أن شاهدت الفيديو لم تستطع أن تنم تلك الليلة بل صارت تفكر في أمها لذا قررت أن تتصل بها :

-أهلًا وتين، كيف حالك ؟

-أنا بخير يا فريدة، غريبة تتصلين بي !

-رغبت أن أطمئن عليكِ لأني رأيتك في حلم، ومراد قال لي رسالة .

-ومنذ متى تشغلين بالك بالأحلام . . . ! ؟

-من الآن يا أمي .

-يا أمي مرة واحدة ! من معي ؟ من يتحدث إليَّ . . . !

-وتين لا تجعليني أندم اني اتصلت بكِ .

-حسنًا يا فريدة قولي لي ماذا رأيتِ ؟

-أبي قال لك أنه يحبك جدًّا ولم يحب غيرك، وقال لي أني فريدة وسوف أكون فريدة .

-الكلام يا صغيرتي في بعض الأحيان يأول كما هو من دون تفسير .

-ولكني أريد أن أفهم أكثر عن الأحلام .

-انه لموضوع طويل يحتاج للكثير من الشرح .

-حسنًا يا وتين في أول فرصة اشرحي لي كيف أفهم الأحلام . . . ما رأيك أن تعودي إلى لندن مرة أخرى ؟

-لن أعود يا فريدة، إذا كنتِ ترغبين في تعلم تفسير الأحلام سوف أشرح لكِ كل ما ترغبين معرفته في زيارتك القادمة إلى مصر .

***

ولكن بمجرد أن أغلقت المكالمة مع أمها استمرت في التفكير أكثر، وبحثت عن المزيد من المعلومات بخصوص الأحلام ولم تفهم شيء .

قرأت عن العلماء الذين اشتهروا بتفسير الأحلام ولم تتوصل لشيء، قالت في قرارة نفسها :

-لكن كيف سوف أفهم وأمي ليست معي . . . ؟

أوه أنها التاسعة صباحًا ، أنا متعبة جدًا ، سوف أنام وغدًا سوف . . .

غدًا ماذا ! أقصد اليوم سوف أفكر .

استيقظت الساعة السابعة مساءً يبدو أن مغامرة الأمس اهلكتها وجعلتها تنام عشر ساعات وبالرغم من ذلك تشعر بالدوار .

بعد أن أكلت اتصلت بدكتور جون وسألته:

-لدي خبر يا جون .

-وما هو يا صغيرتي . . . ؟

-لم أعد صغيرة يا جون، أنا فكرت في ما مررت به في تجربتك والسفر عبر الزمن ومقابلتي لأبي وخاصة عندما قال لي (كوني فريدة يا فريدة) لذا قررت أن أفكر في حياتي بجدية وأن أبدأ في تحقيق أهدافي .

-وما هي أهدافك يا فريدة ؟

-بصراحة، بالأمس لم يكن لدي أهداف محددة ولكن صباح اليوم قبل أن أنام، قررت أن أتعلم تفسير الأحلام وأريد أن أستخدم ذلك الجهاز للسفر عبر الزمن أو السفر للكثير من الأماكن .

-وما دخل الجهاز لتعلم تفسير ما نراه أثناء نومنا ؟

-كما تعلم أن أمي تفهم تفسير الأحلام جيدًا وكان هدفها وأنا صغيرة أن تكتب كتاب عن تفسير الأحلام بأسلوبها المميز البسيط، ولكن كما تعلم الحياة ومشاغلها، أو بالأصح هي لم توفق في ترتيب أمور حياتها وتحقيق أهدافها في وقت واحد .

لقد تناست تحقيق هدفها بسبب التأجيل، فكرة أن يؤجل المرء هدفه إلى الغد فهذا معناه أنه لن يقوم بتحقيقه أبدًا .

-صحيح يا فريدة، من يريد أن يحقق أحلامه فليبدأ في نفس اللحظة التي راودته الفكرة بها ولا يؤجلها كي لا يتكاسل، ويوم يجر يوم ومن ثم أيام .

-كم أنت رائع يا جون، أنت من جعلتني أفكر من جديد في حياتي، وكما قلت لك أن أمي تفهم في تفسير الاحلام ولكنها في مصر و . . .

-سوف تسافرين إلى مصر لكي تكوني مع أمك و . . .

-لا لست بحاجة إلى ذلك، بإمكاني أن اتواصل معها، ولكني لا أريد أن أفعل ذلك .

-إذن ما هي خطتك يا فريدة ؟

-أريدك أن تعطي لي ذلك الجهاز وسوف استخدمه بحذر وحرص واتبع التعليمات .

-تعالي إلى المعمل حالاً وسوف نكمل حديثنا .

مسافة الطريق ومن ثم وصلت لدكتور جون ونظر لها مبتسمًا بفمه الصغير ابتسامته تلك كفيلة أن تغمر فريدة بالبهجة ومن ثم أردف:

-سعيد بك يا فريدة لأنك قررتِ أن تغيري من حياتك .

-الفضل لك يا جون، ها قل لي أين جهازي . . . ؟

-ألن تتوقفي عن تسرعك ذا، قبل أن تأخذي الجهاز دعيني اجربه عليكِ آخر مرة .

-لا يوجد عندي مانع يا جون ولكن لمَ . . . ! لقد جربناه سابقًا . . . ؟

-لأني قد أجريت عليه تعديل اليوم بعد ما حدث معكِ بالأمس .

-وما هو هذا التعديل ؟ لن أمر بكوابيس وهلوسة إذا زادت المدة ؟

-حاولت أن أفعل ذلك ولكني لم اوفق في زيادة مدة الرحلة أكثر من ست ثوان .

-ولكن ما هو التعديل . . . ؟

-التعديل أن الجهاز سوف يعيدك تلقائيًا إلى المكان الذي سجلتِ منه مكان رحلتك بمجرد أن تتم 6 ثوانٍ سوف تستيقظي وتعودي للواقع .

-شكرًا لك يا جون على ما تفعله من أجلي .

أنت أخذت كل الاحتياطات اللازمة، أحبك كثيرًا يا جون .

-وأنا أيضًا أحبك يا بنيتي، هيا بنا نجرب هل سوف ينجح المؤقت أم لا . . . !

وها أنا بجانبك في حالة عدم نجاح المؤقت سوف أعيدك أنا .

-حسنًا سوف أرجع بالزمن سوف استغل فرصة غيابي وأتقابل مع أبي وأمي .

-هيا نبدأ .

وبالفعل تمكنت من العودة بالزمن وجلست مع أبيها قليلًا الذي لم تعد تشعر أنه مات بل

ها هو معها تقابله متى تشاء .

ومن ثم وقفت مع أمها في المطبخ فاستغربت قليلاً من وجودها معها وأنها تركت

أصدقائها ولكن فريدة قطعت تساؤلاتها وقالت:

-أنا كبرت يا أمي وتغيرت طريقة تفكيري .

-هذا أمر يسعدني يا فريدة .

-أريدك أن تعلميني أو بمعني أصح تشرحي لي كل ما يخص الأحلام .

–حسنًا يا صغيرتي، نتناول الفطور سويًا ومن ثم نتكلم فيما تحبين ونحن نحتسي الشاي، ما رأيك يا ريدا ؟

–موافقة أكيد يا أحلى وتين في الكون، ها دعيني أساعدك في تجهيز المائدة .

–أووه ، لقد كبرت ابنتي بالفعل وها هي تساعدني وتشاركني نفس الميول، أنه ليوم سعدي .

–أوه يا أمي سوف تجعليني ارجع في كلامي بسبب مزحك ذا .

–آه من عصبيتك يا فريدة ولكن لن ألومك عليها فأنتِ تشبهيني بها .

بعدما انتهيا من تناول الفطور احتسيا الشاي سويًا وشاركهما مراد بالاستماع إليهما .

بدأت وتين بمقدمة في علم تفسير الأحلام والرؤى بالرد على أكثر الأسئلة شيوعًا حوله .

صارت فريدة تسأل وأمها تجيب و . . .

ولكن فجأة انتقلت فريدة إلى مختبر دكتور جون فنظر لها مبتسمًا مطمئنًا :

-الأن أنا مطمئن تمامًا عليكِ أثناء استخدام الجهاز، لقد تم تفعيل المؤقت وتمت عودتك من جديد عند انتهاء الوقت المناسب وقبل الدخول في مرحلة الهلوسة .

نظرت له فريدة وملامح السعادة قد رسمت على وجهها :

-هذا يعني يمكنني أن أخذ هديتي معي الآن واستخدم الجهاز كما أشاء ووقت ما أحب . . . !

-نعم يمكنك ذلك الآن، لأن الجهاز قد اكتمل بالفعل ولكن عليكِ ألا تستخدمي الجهاز سوى مرة واحدة في اليوم، لأن تلك التجربة إذا تكررت أكثر من مرة في ذات اليوم قد تسبب لك إجهاد ومن ثم اضرار لا داعٍ لذكرها و . . .

-لا داعٍ للتوضيح يا جون، من بعد ما حدث المرة الماضية لن أفعل شيء سوى ان ألتزم بكلامك . . .

***

الفصل الرابع

المغامرة

ها هي فريدة عاكفة على الدراسة في بيتها بمفردها، لا يوجد أحد معها، ومن يخدمها هو ذاك الروبوت الذي تعده بطيء مقارنة بسرعة أمها في تحضير ما ترغب به.

وبعد ما اجتهدت في الدراسة، ها هي تقوم بفك شعرها وتقوم بتدليكه وتفكر وهي تنظر للجهاز الموجود على مكتبها وهي تقول في حيرة:

-أرغب في مغامرة جديدة مع أبي، لا أريد أن أكرر ذات اليوم.

بل أريد أن أعيش أكثر من مغامرة في ذات المرة.

ومن ثم التمعت فكرة جعلتها تبتسم ومن ثم تمتمت:

-أووووه، يا لها من فكرة رائعة سوف ارجع بالزمن ليوم خطوبة مراد ووتين، أظن لا يوجد أحد حضر زفاف أو خطوبة أبيه وأمه، سأكون أول من جرب هذا الشعور.

كم أنتِ مجنونة يا فريدة . . . بل هذا ليس جنون بل مجرد تفريغ طاقة بعد إجهاد الدراسة .

هيا لأبدأ الآن سأعود ليوم الحادي عشر من شهر نوفمبر من عام2019 إلى دمنهور .

أنا أتذكر حكاية أبي وأمي عن هذا اليوم سوف أذهب لمسقط رأس كل من أبي وأمي، والاحتفال كان في بيت جدي محمد .

ضغطت فريدة على الموعد والمكان وها هي في لمح البصر صارت هناك .

-ان هذا الجهاز يترجم جيدًا ما رأيته في الصورة، أنا بالفعل أمام بيت كبير عليه الكثير من المصابيح الملونة المضيئة، ولكن كيف سأدخل الآن . . . ؟

لن اسأل كثيرًا لم اعتاد الخوف أبدًا، أنا تعلمت المواجهة والاقدام وكفى .

معروف أن المصريين أهل كرم وأنا شكلي غريبة أكيد سوف يكرموني ولن يتركوني .

كل ما احتاجه هي بضع لحظات لا أكثر ولا أقل . . .

بدأت الموسيقى تسيطر عليها وتجعلها متحمسة أكثر وأكثر، لم تكن تظن أن الموسيقى المصرية كفيلة بجعل المرء يطير من السعادة لا الاستمتاع فقط .

ها هو باب البيت مفتوح، والأطفال ينزلون من على الدرج بلهفة وسعادة عارمة، ها هي تنظر لكل شيء باستغراب، ان مصر لها جو وروح لا يمكن أن يجدها المرء سوى فيها ، انها حقًا أعظم بلد وأجمل بلد لعظمة تاريخها وطيبة شعبها .

دخلت الحفل والكل يرمقها ، ولكن لم يتشككوا كثيرًا لأنهم ظنوا أنها من المدعوين من طرف مراد الذي يدرس في بريطانيا .

ولكن فريدة لا تشغل بالها بتلك التفاصيل، كل ما لفت انتباهها وجعل عينيها تدمع مع ابتسامة من القلب، عندما رأت أبيها يرتدي بذلة بيضاء وأمها ترتدي فستان فضي، وبينهم مأذون، يبدو أن هذا حفل كتب الكتاب كذلك، وذلك لضيق وقت مراد .

سحرت فريدة بجمالهما ولم تتمالك نفسها بعدما اتما عقد القران، همت فريدة معانقة مراد، هنا شهق كل من في الحفل، وصدمت وتين مما جرى، ولكن فريدة لم تدعها تستمر بصدمتها إلا وعانقتها هي كذلك بشدة، ولكن سرعان ما أبعدتها وتين عنها بعصبيتها المعهودة التي ورثتها منها فريدة، وسألت مراد صارخة به:

-من هذه يا مراد . . . ؟

مراد لم يستطع الرد بعد هذا الموقف المحرج أمام الملأ ولكن سرعان ما تداركت فريدة الأمر وردت بإنجليزيتها :

-أنا جيني أخت جون زميل مراد ، جون لم يستطع الحضور لذلك الحفل ولكني كنت أرغب بشدة أن أزور مصر ، وشعرت أن هذه ستكون تجربة مميزة في زيارتي لمصر و . . .

لم تسمع فريدة أي رد من أي أحد إلى أن بدأت تشعر أنها غير مرحب بها . . .

إلا فجأة سمعت صوت جدتها أم أبيها تقول متسألة ابنها :

-قل لي يا مراد ، ماذا قالت لك . . . ؟

ابتسمت فريدة والتفتت لها وقالت بلهجة مصرية ركيكة ولكن سوف اكتب ما قالته باللغة العربية:

-قلت له اني أرغب في قضاء يوم معكم ، لأني أحب مصر وأهلها و . . .

اقتربت منها جدتها وعانقتها عناق قوي وقالت:

-وأنتِ تنورين وتأنسين .

ومن ثم امرت بتشغيل الموسيقى وعودة الفرح من جديد .

ورقصت فريدة مع مراد ووتين، مراد كان شاب في الثلاثين وسيم قمحي البشرة ذا شعر داكن اللون ممزوج بعض الشيء .

بينما وتين كانت آية في الجمال بيضاء رشيقة متوسطة الطول ذا شعر حريري أشقر اللون ولكن يبدو أنها من قامت بصبغه . . . هذا ليس موضوعنا . . .

كانت فريدة في سعادة عارمة وقد أخذها الوقت من التاسعة إلى أن صار الوقت الثانية عشر بعد منتصف الليل، وقد هدأ الجو . . .

وها هي تقف في شرفة الغرفة التي طلبت منها جدتها أن تنام بها من كرم الضيافة .

تقف فريدة في الشرفة وتشرب مشروب غازي وهي تشعر بجمال النسيم الذي يظنه المصريين برد ولكنها تشعر أنه مناخ يبعث في المرء الراحة، ولكن فجأة رأت شيء أخذ عقلها وجعلها تفكر . . . !

رأت أمامها بيت مهجور من طابقين شبه محترق، ظلت شاردة به إلى أن قطع شرودها صوت وتين التي أردفت بلا مبالاة:

-لا تفكري كثيرًا في هذا البيت، انه ليس بيت أشباح.

دهشت فريدة من وتين التي فهمت ما تفكر به، التفتت لها فريدة فاتحة فاها ومن ثم تمالكت دهشتها وسألتها:

-هل تعلمين قصة هذا البيت . . . ؟

أخذت منها وتين زجاجة المشروب الغازي وجرعت منها وقالت:

-لا أدري ما قصته بالضبط، لقد تعددت القصص بخصوصه، ولكن بمجرد أن أتينا إلى هنا عام 2007 بعد ما كنا نعيش في بيت العزبة كان هذا البيت على هذا الوضع . . .

-ولكن ما هو الحادث الذي أدى به للهجر هكذا . . . ؟

-يوجد من يقول منذ عشرون عام أو أكثر حدث حريق في البيت بسبب أحد المشاعل أثناء نوم أهل البيت.

-وهل نجى أحد . . . ؟

-يقولون أن الجيران حاولت أن تقتحم البيبان أثناء الحريق ولكنها كانت مقيدة تمامًا ولم يستطع أحد على كسرها ، حتى المطافئ لم تجد منفذ واحد كي تطفئ لهيب النيران، بالرغم أن النوافذ كانت مفتوحة والناس رأوا الحريق الذي يلتهم البيت، ولكن بمجرد أن حضرت المطافئ، اغلقت كل النوافذ و أي مصدر للدخول . . .

ولكن فجأة سمع الناس صوت انفجار داخل البيت، ومن ثم فتحت الأبواب والأغلب منها قد خلع من مكانها .

وعندما صعدوا الناس كي يأخذوا حتى جثث الناس الذين كانوا يصرخون لم يجدوا أي من الجثث .

قاطعتها فريدة متعجبة وقالت:

-ولكن أنا لا أصدق مثل هذه الأمور .

اكملت وتين اجتراعها ما تبقى من زجاجة المشروب الغازي وأردفت ببرود:

-يوجد فرق بين انك لا تصدقين هذه القصة وبين انكِ لا تصدقين مثل هذه الأمور، وعلى العموم لن تصدقي هذه الأمور إلا إذا مررت بموقف ما، يثبت لك أن هناك قوة من عالم اخر.

رسمت ملامح التعجب على فريدة وسألت وتين بلهفة:

-وهل مررتِ بمواقف تثبت لك هذا يا وتين...؟

تصنعت وتين التثائب ومن ثم تركت الزجاجة على السور وقالت بتململ لفريدة:

-ان هذا موضوع طويل، والوقت تأخر وأريد أن أخلد للنوم...

ولكن فريدة لاحظت أن الحزن قد خيم على ملامح وتين فسألتها برفق وهي تمسك بيدها كي تنظر لها:

-لَم يبدوا عليكِ العبوس يا وتين...؟

تصنعت وتين أن كل شيء على ما يرام وأردفت:

-لا يوجد شيء، كل ما في الأمر اني تذكرت...

من ثم لم تكمل كلامها وتنهدت بأسى، وقامت بتغيير وجهتها للداخل وأردفت:

-لا شيء يا فريدة أريد أن أنام.

قالت فريدة بإصرار:

-قولي لي، هل صدر مني شيء احزنك...

واجهتها وتين بنظرة حزينة لعينيها وقالت:

-كل ما في الأمر انكِ ذكرتيني بصديقتي في الجامعة..

نظرت لها فريدة بتعجب وتسألت:

-وما الذي يحزن في الأمر يا وتين...!

بدأ الدمع ينهمر من عيني وتين وقالت بحسرة:

-أنا حزينة لأنها ليست معي، لأنها ماتت...

من ثم همت بدخول الغرفة وهي تبكي...

تصلبت فريدة مكانها ولم تستطع أن تذهب وراءها، قررت أن تتركها تبكي على فراق صديقتها كي ترتاح، أحيانًا البكاء يكون مريح من كبت المشاعر...

ظلت فريدة واقفة في الشرفة شاردة الذهن وكانت لا تحيد نظرها عن ذاك البيت، ولكن فجأة رأت أحد يتسحب كي يدخل البيت من دون أن يراه أحد ، ظلت تفكر:

-كيف له الجرأة أن يدخل بيت مثل هذا بالرغم اني لم أعرف بقية قصصه ولكنه مقبض، ولكن ستكون تجربة جميلة حقًا إن أقدمت عليها .

ها هو البيت صار هادئ، الكل قد دخل غرفته، وفريدة تنظر للوقت، الساعة صارت الواحدة صباحًا مازال معها ساعتين . . .

ها هي تخطي خطوتها الأولى خارج البيت و قلبها يدق بقوة من الخوف ولكن حبها للمغامرة أقوى من خوفها ، بدأت تخطو خطوة تلو الأخرى إلى أن وصلت ذلك البيت .

بمجرد أن لمست باب البيت سرت قشعريرة في جسدها ولكنها لم تتراجع بل أقدمت أكثر وأكثر ولكن بمجرد أن وقفت أمام الشقة سمعت من يبكي متنهدًا . . .

قررت فريدة أن تغير من إعدادات الجهاز قبل أن تدخل وصارت طيف مرئي لا محسوس، خوفًا من أن تتعرض لأي هجوم . . .

ومن ثم دخلت الشقة والرهبة سيطرت عليها ، صارت تسمعه يقول:

-لم اقتله، أقسم اني لم اقتله . . .

وقفت فريدة أمامه وسألته برفق:

-لم تقتل من . . . ؟

رفع رأسه لمصدر الصوت بعد ما كان منكسها أرضاً من الحزن، بمجرد أن تأمل الملامح جيداً فزع وهم من مكانه مبتعداً . . .

استغربت فريدة كيف لشاب بطوله وعرضه وعضلاته أن يخاف منها هي . . . ؟

ومن ثم بدأ يقترب منها أكثر ويسألها بلهفة والدموع تنهمر من عينيه:

-هل أنتِ على قيد الحياة . . . ؟ ظننت أنك متِ . . .

فريدة تنظر له لا تحرك ساكناً لا تدري شيء ، ومستغربة أكثر من دموعه ورقة قلبه وضعفه الغير مناسب مع شكله . . .

هم بالاقتراب منها ومن ثم عندما حاول معانقتها ، اخترقها ، رجع للخلف خائفاً مما جرى متسائلاً :

-أنتِ لست حقيقة، أنا أتوهم . . .

ومن ثم شرع في البكاء، ولكن فريدة أردفت متعجبة:

-عمن تتحدث . . . ؟ من هي التي تتوهمها . . . ؟

-أنتِ يا ياسمين . . .

-ياسمين . . . ! ولكني لست ياسمين . . . أنا فريدة .

-كيف . . . ؟ كيف لا تكوني ياسمين . . . ؟ أدري أن هناك تغير طفيف ولكن هذا لا يمنع أن تكوني هي .

-أنا فريدة، ولست ياسمين . . . وأنا لست من هذا الزمن، لقد أتيت من المستقبل .

جلس فارس أرضًا وأمسك رأسه وقال صارخًا متعبًا:

-كل هذا وهم، ان هذا البيت ملعون يظهر لي كل من ماتوا، بالأمس ظهر لي جواد والليلة ياسمين .

-صدقني أنا لست ياسمين، ولكن يمكنني أن أساعدك . . .

نظر لها نظرة حزن وأسى:

-كيف لا تكوني ياسمين، وهذا هو ما فعلته معي بالفعل عندما رأتني أول مرة بالإسكندرية . . .

-أنا لا أعرف ياسمين، ولا حتى زرت الاسكندرية .

-أنا لا أدري لِمَ صرتِ تتحدثين هكذا يا ياسمين . . . !

-لأني لست ياسمين، أنما صرية ولكن مقيمة في بريطانيا فكلامي باللغة العربية صعب بعض الشيء .

-بريطانيا . . . ! ما هذا الذي أمر به . . . ! لم أعد أفهم أي شيء في هذه الحياة .

فاق من توتره وسأل:

-إن لم تكوني ياسمين هل أنتِ حقيقة . . . ؟

-نعم حقيقة ولكن كوني حقيقة في زمن اخر . . . إنما في هذا الزمن أنا لم أولد بعد .

-لا أفهم شيء، أنتِ شبح ياسمين أنا أعلم .

-لا أحب أن أشرح الأمر أكثر من مرة، إذا أردت أن تظن انني ياسمين إذن فأنا ياسمين .

-لا، لا أقصد أن تنفعلي هكذا، إن ياسمين لم تكن سريعة العصبية هكذا .

حسنًا لن أقول لك فريدة، بل أنا أشعر بعد الذي سمعته منك وقد ومك من زمن اخر أنك عجيبة، لذا سأقول لكِ يا عجيبة .

نظرت له فريدة متعجبة من الاسم، ومن ثم رسمت على وجهها ابتسامة وأردفت:

-عجيبة، اعجبني الاسم ولِمَ لا .

ها قل لي لِمَ كنت تبكي . . . ؟ يمكنني أن أساعدك .

-أنا أقول لكِ ياسمين ليس للشبه فقط في الملامح ولكنكِ تذكريني بالفعل بأول لقاء لي بياسمين منذ عام .

جلست فريدة بجانبه وقالت له:

-احكي لي ماذا جرى في أول لقاء وأنا كلي اذان صاغية .

***

الفصل الخامس

الفارس

يحكيه فارس

بدأ الأمر في شهر أكتوبر من عام 2018 أنا وجواد كنا في الإسكندرية للعمل في أحد المطاعم، أثناء فترة عملي في المطعم رأيت فتاة جميلة طويلة عريضة ذات شعر بني كستنائي طويل ترتدي قميص كحلي اللون وبنطال جينز، ملابسها تدل على قوة شخصيتها ولكنها كانت تضع مساحيق تجميل على وجهها مما يدل على اعتزازها بأنوثتها وجمالها، كانت تقف أمام لائحة اختيار الوجبات في خارج المطعم، في تلك الأثناء اقترب شاب أسمر نحيل منها، وسحب حقيبتها وهو راكب على دراجته النارية، همت الفتاة بالنهوض من على الارض والناس حولها ينظرون باستغراب لهول الموقف، ولم يستطع أحد اللحاق بالسارق، فهمت من مكانها فوجدت على الرصيف الموازي لها يقف رجل شرطة، لجأت إليه لاهثة وأردفت:

-أريد أن تجلب لي حقي من ذاك السارق .

رد عليها الضابط ببرود وفتور:

-اذهبي للقسم وقدمي بلاغ . . .

انفعلت خاصة عندما رأت أن يدها تنزف من اثر السقطة وقالت:

-وما هو دورك أنت . . . ؟ إن لم تلحق بالسارق لحظة وقوع الجريمة . . . !

نفث الضابط سيجارته في وجهها وأردف:

-كل ما عليكِ أن تعرفي رقم الدراجة النارية وقدمي بلاغ في القسم، وهيا أغربي عن وجهي ليس لدي وقت لكِ .

قالت له وهي تنظر له نظرة احتقار:

-ليس لديك وقت لكي تلحق بالمجرم، ولا إلى أن تسمع شكوتي، ولمن لديك وقت . . . ؟ لديك وقت فقط للتصفح في الهاتف وحرق السجائر، حقاً لن تتقدم هذه البلد أبدًا ما دام أمثالكم لا يقومون بدورهم .

انفعل الضابط وهم بصفع فريدة وسحبها من شعرها أمام الناس وقال لها ساًبا اياها بأهلها :

-وهل أنتِ من سوف تعلميني عملي يا بنت ال . . .

هنا قد خرج جواد من المطعم فور وصوله، ولكنه لم يتحمل قط ما يجري أمامه فهم بسحب الشابة من يد الضابط وقال له بانفعال:

-ليست رجولة أن تضرب بنت مهما كان، عيب على شاربك الذي على وجهك . . .

احمر وجه الضابط من شدة الغضب وأردف:

-وهل أنت من سوف تعلمني الرجولة يا روح أمك تعالى هنا يا ابن ال . . .

وسبه بأمه وهو يضربه برأسه مما جعل رأس جواد ينزف . . .

لمس جواد رأسه ورأى الدم ولكنه لم يكترث للدم الذي ينزفه ولكن تلك السبة التي قالها له اشعلت غضبه فأنهال على الضابط وانقض عليه مثل الأسد فأسقطه أرضاً ومن ثم هم بضربه وسبه بدون انقطاع . . .

وها هي تلك الشابة تبكي خائفة لم تمادى إليه الأمر وتحاول أن تسحب جواد من فوق الضابط كي يتوقف ولكن لا جدوى، حاولت أن أدخل في الحشد وأمنع جواد ولكن ما ساعدني في اقناعه في التوقف عن الضرب هو سماع صوت سيارة الشرطة قادمة، فهم جواد وقال لي:

-خذها يا فارس وأنا سوف اتصرف . . .

بالفعل اخذتها وهرولنا إلى داخل حواري منطقة المنشية، وآخر لحظة نظرت لجواد قبل أن يسلك طريق اخر فأشر لي بيده ألا أقلق عليه . . .

قررت أنا وهي أن ندخل حواري ضيقة كي نضيع الشرطة إلى أن وصلنا إلى الطريق المواجه للبحر، فرأينا اتوبيس نقل عام مزدحم قلت لها بلهفة:

-اركبي . . .

قالت لي بلهفة:

- ولكن . . .

-ليس وقت للكن . . .

وقمت بدفعها لداخل الحافلة وهي تتحرك وتداخلنا في الزحام . . .

ومن ثم بدأنا في التقاط انفاسنا ومن ثم نظرت لي وارتسم على وجهها ابتسامه

وقالت:

-أنت شجاع جدًا يا . . .

شعرت بالخجل من مدحها لي وقلت لها :

-أنا فارس . . . ولم أفعل شيء ، الذي دافع عنكِ كان . . .

ولكن لم أكمل كلامي لأنها قامت بنزع ايشارب صغير منقوش واضعة إياه في منتصف

شعرها ، قامت بفكه وبدأت بمسح وجهي، تعجبت مما تفعله فقمت بأخذ

الايشارب منها وأردفت:

-أشكرك ولكن لا داعِ لذلك، يمكن من كثرة الجري تعرق وجهي كثيرًا و . . .

قاطعته وقالت:

-ولكن هذا دم يا فارس . . .

حينها دهشت ونظرت للإيشارب بالفعل كان ملطخ بالدم تعجبت وقلت لها :

-لا أدري كيف جاء الدم، أو كيف أصيب رأسي، يمكن أثناء جرينا بسرعة لم ألاحظ وصدمت بشيء ما من دون أن أشعر . . .

-لا بل كان الضابط هو من فعل ذلك . . .

-ولكن أنا لم اقترب من الضابط يا . . .

-ياسمين . . . . اسمي ياسمين يا أيها الفارس الشجاع . . .ولكن كيف تقول . . .

سرعان ما قاطع كلامنا مسؤول التذاكر في الاتوبيس وقال لنا :

-ها ألن تدفعان . . . ؟

مسكت الايشارب مضمدًا به جرح رأسي وباليد الأخرى اخرجت ثمن تذكرتين . . . وبعد قليل خلى مكان فقررت أن تجلس ياسمين فظللت واقفًا بجوارها ممسكًا بيدي أحدى الاعمدة العلوية في الحافلة مما برز من عضلات يدي . . .

نظرت لي ياسمين بأعجاب فابتسمت لها ومن ثم قالت:

-أين تسكن يا فارس . . . ؟

-أنا اسكن بجوار المطعم الذي حدث أمامه ما جرى اليوم .

-وهل ستعود إلى هناك . . . ؟

-لا أدري سوف انتظر صديقي يتصل بي ويقل لي ما عليَّ أن أفعل هل أعود أم لا . . . !

-يمكنك أن تعود . . . لا توجد مشكلة .

-كيف أعود بعد ما حدث اليوم .

-أفهم يا فارس هذا الضابط لا يمكنه فعل شيء ، لأنه إن قرر أن يأخذ حقه سوف يمرغ سمعة الشرطة في الوحل بعد اعتدائه على شابة وشاب بالضرب في عز النهار أثناء تكاسله عن تأدية عمله .

-ياسمين أنتِ طيبة، نحن هنا في مصر ، يعني لا يوجد أحد يأخذ حقه إلا من هم من الجيش والشرطة .

-لا أنا لست منحازة إلى أي فئة من فئات الوطن، ولكن أنا ضد كل متكاسل عن تأدية دوره في هذا المجتمع سواء معلم مستغل ومتكاسل أو ضابط متقاعس متعجرف بمنصبه . . .

إذا لم يقم كل منا بدوره الصحيح وبأكثر جهد ممكن فلنقل على بلادنا يلا السلام .

-حقاً لن تتغير بلادنا إن لم نتغير نحن في البداية .

-صحيح يا فارس، يعني على سبيل المثال بسبب ذاك الضابط المتقاعس بسببه تكثر الجريمة لأن السارق يدري أن ليس هناك رقيب أو حسيب، ومثلا المعلم المستغل العاشق للمال وكفى يعلم الاطفال من الصغر على الجشع وعشق المال وفي النهاية يعطيهم الامتحان ويعلمهم الاستسهال والغش وإن لفعلته هذه لأثر وخيم في المستقبل .

-بالفعل، كلنا لنا أثر في هذه الدنيا ، وبيدنا أن يكون أثرنا خير أم شر في حياة من حولنا .

نظرت لي ياسمين وعلى وجهها رسمت ابتسامة رقيقة وأردفت:

-بما أنك تقول اننا يجب أن نكون ذا أثر جميل في حياة من حولنا ، فكما أنت ساعدتني أريد أن أساعدك .

-لا يا ياسمين، لو كل منا يفعل المعروف لأنه يرغب من الأخرين رده له لن يكون معروف، عندما نقوم بعمل الخير ليس من أجل انتظار الشكر أو رده بالمثل ولكن لأخذ الأجر من الرب.

-أوه اخجلتني بكلامك يا فارس ولكن قل لي إلى أين ستذهب . . . ؟

-لا أدري، سأذهب لأي مكان، هذا ليس غريب عليَّ من صغري وأنا هكذا . . .

رفعت ياسمين حاجبيها وأردفت:

-يبدو أن ورائك حكايات كثيرة يا سي فارس.

-يمكنك قول ذلك.

همت ياسمين من مكانها وقالت لي:

-هيا سوف أنزل هنا ولن أدعك بمفردك.

-ولِمَ سوف تنزلين هنا . . . ؟

ضربت رأسها بكف يدها ومن ثم قامت بسحبي وأردفت وهي تتحرك وتحركني معها:

-لأني اسكن هنا يا فارس هيا معي .

نزلنا سويًا وبدأنا نمشي في شارع اسكندر ابراهيم وتتنسم هواء اسكندرية العليل في عز اكتوبر .

إلى أن وصلنا لعمارتها فتوقفت وسحبت يدي وقالت لي:

-هيا معي . . .

نظرت لها باستغراب وقلت لها وأنا أسحب يدي من يدها :

-هيا إلى أين . . . ؟

سحبتني مرة أخرى بلهفة طفولية وأردفت:

-كي أعرفك على أبي وأمي وأخي مصطفى الصغير، متأكدة سوف يحبك كثيرًا .

تعرق وجهي من القلق وقلت لها :

-لا لا يصح أن أفعل ذلك .

-هيا لا تكن سخيفاً أنت في أي عصر نحن في 2018 .

-ولكن . . .

هنا سحبتني وشعرت أن قدمي تسوقني معها .

صعدنا للدور الثالث في العمارة، فطرقت الباب، فتح أخوها مصطفى، وهنا سمعت صوت أمها متسائلة:

-من الطارق يا مصطفى . . . !

بصوت طفولي أردف وهو يفتح الباب كي يسمح لنا بالدخول:

-أنها ياسمين و . . .

هنا قد جاءت الأم من المطبخ وهي تقوم بمسح يدها في منشفة صغيرة وكانت تقول متسائلة قبل أن ترانا :

-وأين مفتاح . . .

لم تكمل كلامها عندما رأتني . . . شعرت أنها صدمت عندما رأتني . . . شعرتُ بالاحراج فقلت بصوت خافت:

-أعذريني، كان عليَّ فقط توصيل ياسمين لذا سأذاهب ال . . .

سحبتني ياسمين وقالت لي وهي تجعلني مواجه لأمها :

-إلى أين ستذهب . . . ؟

ومن ثم لم تدع لي فرصة للرد وقالت لأمها :

-أُعرفك يا أمي، هذا فارس، شاب شجاع دافع عني ولم يهمه أن من يضربه من أجلي ضابط . . . إنه شاب شهم وجدع كما يقولون . . .

هنا ارتسمت على وجه الأم ابتسامة ارتياح وقالت مرحبة بي:

-تفضل يا ولدي عليك أن تستريح قليلًا .

ازداد خجلي وأصررت على رغبتي وقلت:

-لا شكرًا . . . عليَّ أن أذهب صدقيني .

-عيب يا ولدي، أنت في بيتنا ضيف ارتح قليلًا وسوف تتناول الغداء معنا ، الحاج عادل سوف يأتي من صلاة المغرب بعد قليل .

ومن ثم اشارت لياسمين أن تأتي معها إلى المطبخ، وتركتني أنا مع مصطفى وقد كساني الخجل من هذا الموقف .

كنت أعلم جيدًا أنها أخذت ياسمين لكي تعرف منها كل ما حدث . . .

بالفعل بعد 5دقائق فتح الباب، هنا قمت بالنهوض احترامًا وخجلًا في نفس الوقت .

نظرته المتعجبة فور دخوله جعلتني اتصبب عرقًا مع أن الجو لا يسمح بذلك، كنت ادعو الله أن تأتي ياسمين وتجاوب بدلًا عني الاسئلة التي سوف تنهال عليَّ الآن، والحمد لله ما اتمناه قد كان .

هرعت ياسمين مسرعة إلى أبيها معانقة إياه، وها هو أبيها يقبل رأسها ولكنه شارد عنها ، فهمت نظرته المتسائلة، فأخذت منه دفة الحديث وشرعت في توضيح الأمر .

-انظر يا سي عادل، اعرفك بهذا الشاب الذي له من اسمه نصيب، انه فارس وهو بالفعل فارس لا يهمه الاخطار، وانه لرجل في زمن كثر به الذكور لا الرجال، لقد تعرضت للسرقة وكل من كانوا موجودين اكتفوا بالنظر وكفى، لا أدرى ما جرى للناس، ولكنه كان مميز بل ودافع عني عندما بدأ الضابط الاعتداء عليَ . . . ولم يكتفي بذلك بل اوصلني إلى هنا .

هنا أخذها أبيها بجانبه وهو يهم بالجلوس على أريكة الصالون وهو يأشر لي بالجلوس مرة أخرى .

-أشكرك يا ولدي على موقفك الشهم مع بنتي، ربي يكثر من أمثالك .

كانت أصابع يدي معقودة من شدة التوتر، وكذلك لساني وبصعوبة بالغة خرجت مني

تلك الكلمات البسيطة بعد عناء من الهروب من الخجل:

-لا شكر على واجب، ولكن اتسمح لي بالذهاب الآن .

-ولكن إلى أين . . . ؟

-لا أدري .

-أنت من هنا . . . ؟

-أنا مقيم هنا منذ فترة ولكن في الأصل أنا من . . .

هنا قاطعني الحاج عادل وأردف وهو يربت على فخدي:

-يبدو أن قصتك طويلة يا ولدي، فلتحكي لي كل شيء بعد الغداء .

هنا سمعنا صوت الأم تنادي بإن الغداء جاهز .

تناولت معهم الغداء، ومزاح العم عادل زال حاجز الحرج تمامًا، وبدأت أشعر

بالراحة .

ومن ثم شربنا الشاي بالفلية(نبتة تشبه النعناع) ومن ثم وأنا احتسي الشاي وشعوري بالأمان والحنان ودفء الأسرة هنا سقطت دمعة من عيني، حينها سألني العم عادل برفق ولين:

-ما بك يا ولدي. . . هل ضايقناك. . . ؟

مسحت دمعي ورسمت ابتسامة على وجهي كي تداري وجعي وقلت:

-لا أبدًا يا عمي، بالعكس أنا سعيد جدًا لأني اليوم أول مرة أشعر بمعنى الأسرة.

هنا سمعنا صوت أذان العشاء، فقال لي:

-هيا يا فارس، هيا يا مصطفى نصلي العشاء جماعة في المسجد، وعندما نعود تحكي لي ما يضيق به صدرك.

وفي الصلاة وبمجرد سماع القرآن بدأت في البكاء، بعد الانتهاء من الصلاة جلسنا بجاور أحد الأعمدة المسجد وقال لي العم عادل:

-يبدو أنك شاب نقي وصالح يا ولدي لتأثرك بالقرآن هكذا. . . ولكن بكائك بحرقة هكذا يدل على وجود شيء بداخلك. . . احكي لي يا ولدي.

-لا أدري لماذا . . . ؟ ولكن إذا سقط القرآن على مسامعي دائمًا أبكي .

-ولكن أريدك أن تحكي لي ما بك . . . لعلي أساعدك يا ولدي .

-لا يا عمي أرجوك، تكفي ضيافتك لي، عليَّ أن أرحل الآن .

-ولكن إلى أين . . . ؟

-إلى أي مكان، إلى أن يطمئني صديقي جواد .

-حسنًا إلى أن يطمئنك صديقك جواد أنت ضيفي في بيتي .

-لا يا عمي لا يصح، لا أقبل بهذا .

-هل تريد أن تكون (أجدع) مني يا فارس . . . !

-حاشَ لله يا عمي، ولكن لا أرغب برد المعروف بمثله .

-الله يقول(هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) . . . هيا يا ولدي وكفى جدالًا .

بعد خروجنا من المسجد طلب مني أن أتي معه إلى ورشته الخاصة بالحدادة كي نتكلم سويًا .

هنا طلب لنا شاي وبدأ في سؤالي:

-قل لي يا ولدي ما قصتك . . ؟

-أنا يتيم، هربت من بيتي في صغري عندما كنت في سن مصطفى ولدك تقريبًا

و . . .

-آه يا ولدي لا تعطي التشبيه على ولدي الله يسترك . . .

-أوه أنا اسف، أقصد عندما كنت في العاشرة من عمري . . .

-ولِمَ هربت يا ولدي . . . ؟

-هربت لأن أبي لم يكن يحبني . . . كان يقسوا عليّ كثيرًا . . . ويعاملني

كالمنبوذ . . . أو اني غلطة بالنسبة له .

-وماذا عن أمك . . . ؟

-أنا كنت أحبها كثيرًا لأنها لم تكن تعنفني ولكنها كانت تحب أبي أكثر مني تعطيه

الاهتمام أكثر مني، كنت أشعر اني غريب في هذا البيت، كنت منبوذ من الجميع .

-ألم يكن لك أصدقاء . . . ؟

-لم اتجرأ على الخروج والجرأة على تكوين صداقات، كل ما كان يدور في ذهني اني غير مقبول في الداخل من أبي وأمي فما بالك بالغرباء .

-ولكنك قلت لي أن لك صديق اسمه . . .

-آه، لدي صديق واحد وهو جواد، في اليوم الذي هربت فيه من البيت لم أجد مكان أنام به، ولكن سرعان ما سمعت صوت قادم . . .

-بسس بسسس .

التفتت مسرعًا لكي أعرف من صاحب الصوت ومن أين هو . . . ! ولكن عندما التفتت لم أجد أحد خفت كثيرًا وارتجف جسدي من البرد والرعب، كان يومها السادس عشر من شهر ديسمبر عام2010 . . .

مر بجوار قدمي فجأة قط اسود ذا عيون خضراء مائلة للصفرة، ولكنه كان يداعب ساقي برفق، فنزع ما بداخلي من خوف، قررت اقرفص كي اقترب منه وامسح بيدي عليه، ومن ثم رأيت القط يدخل ماسورة مياة ضخمة جدًا موجود منها العديد في الطريق، فقررت اتباعه .

احببت القط لأنه اهداني إلى هذا المكان الذي سوف يأويني على الأقل من المطر، ولكن في لحظة اغمضت عيني وعندما فتحتها مرة أخرى لم أجد القط، تعجبت من رحيلة، كنت أرغب به أنيس لي، ولكن سرعان ما قطع تفكيري صبي في مثل سني يقف أمامي وهو ممسك بسحاب بنطاله و . . .

نظرت له في زعر ولكنه سرعان ما سحب سحاب بنطاله مسرعًا وهو يقول لي ضاحكًا:

-لَمَ أنت مذعور هكذا . . . ! هل أنت جديد في المكان . . . ؟

اومأت برأسي وأنا لا أرغب في الرد عليه، لم اعتد أن أتكلم مع أحد

ها هو دخل الماسورة الكبيرة كي يجلس بجواري . . . ولكني سرعان ما ابتعدت عنه، فقال لي:

-لا تقلق مني، وللعلم أنا من كنت أصدر هذا الصوت منذ قليل لذا لا داعي للخوف . . . اعرفك على نفسي أنا جواد . . . وأنت . . . ؟

تمتمت بصوت خافت من دهشتي:

-فارس.

كان الضوء خافت ولكن عندما حاولت أن أرفع نظري له وأحاول أن اتأمل ملامحه تعجبت كثيرًا واستغربت . . .

كنت أشعر لوهلة اني أمام مرآة، انه يشبهني كثيرًا، لا نختلف عن بعضنا في شيء سوى الملبس.

يختلف عني أنه راسم على وجهه الابتسامة النابعة من القوة، وأنا مهزوز خائف كالعادة.

حينها قطع شرودي من هول صدمتي وقال لي:

-أتريد أن تأكل . . . ؟

أومأت له برأسي أي نعم، فأخذني معه للخارج، وسرنا نمشي في الطرقات سويًا وكان شعور غريب جدًا ولكنه لذيذ، انساني ما مررت به اليوم، وبدأت أشعر أن حياتي القادمة سيكون لها طعم أفضل من حياتي السابقة.

وها نحن دخلنا سوق شعبي وكنا نسير سويًا ونتحدث ومن ثم شعرت اني تعبت من كثرة السير، فقررت الجلوس على أحد الأرصفة، فقال لي:

-هل تعبت . . . ؟

-قلت له، أريد العودة لبيتي أريد أن أكل، أريد أن أنام . . .

قال لي وهو يجلس بجواري:

-أتريد أن تعود لكي تظل منبوذ . . .

شعرت بإن الحزن غمرني وصرت مطأطئ الرأس، ولكن سرعان ما رأيت برتقالة أمامي، رفعت رأسي متعجبًا ، ففتح حقيبته التي تشبه الكيس التي يرتديها وقال لي بثقة:

-إن كنت تريد الطعام فمعي الكثير منه .

نظرت له باستغراب وسألته:

-ولكن كيف جرى هذا، كيف ؟ كيف فعلت ذلك ؟

-هل يهمك كيف . . . ! أم يهمك أن تأكل . . . ؟

مددت يدي وأخذت البرتقالة وقلت له:

-أن اكل، أريد أن اكل .

ومن ثم أكلت وعدت إلى نفس المكان الذي تقابلنا فيه ونمت نوم عميق وما

استيقظت إلا على . . .

حينها قاطعني العم عادل وقال لي:

-أووووه، يبدو أن قصتك طويلة وتحتاج إلى عقل في كامل تركيزه، فلتكمل لي غدًا يا

ولدي ، وهيا تعالى معي البيت .

-لا يا عمي لا يصح أن أذهب معك و . . .

-لا بل لا يصح ما تقوله أنت .

-حسنًا إن كنت مصر يا عمي على رد الجميل لي، يمكنك أن تجعلني أبيت في المحل

ويمكنك أن تغلق عليَ .

-ولكن يا بني لا يصح . . .

-أرجوك يا عمي .

-حسنًا إن كانت هذه رغبتك يا ولدي، أراك غدًا على خير .

في الصباح أتى لي في الورشة واندهش مما رأه لقد وجد كل ما بها مرتب فقال لي:

-صباح الخير يا وجه الخير .

ومن ثم سرعان ما طلب لنا فطور واكملنا حديثنا .

حينها قال لي عم عادل:

-ها أين توقفنا بالأمس . . . ؟

-توقفت حيث قمت بالمبيت في تلك الماسورة الكبيرة في الشارع مع جواد . . .

ولكن ما جعلني استيقظ هو صوت صراخ طفل:

-انقذوني انقذوني . . .

حينها خرجت مسرعًا كي أرى ما يجري، وجدت رجل سحب جواد إلى داخل حافلة التي يقولون عليها ميني باص، ها أنا فزعت وما كان بيدي إلا أن أهرول ناحية الطريق وأصرخ كي ينقذنا أحد ، ولكني لم اخطي كثيرًا إلا ووجدت يد ضخمة وضعت على فمي وسحبني إلى داخل السيارة، وعندما التفت أحد المارة لما يجري

تعجب من مقاومتي لذاك الرجل ولكنه قال بضحكة سمجة واضعًا أياي بجوار امرأة منقبة:

-أنت تدري أولاد هذه الأيام صعب أن نربيهم وصعب التحكم بهم .

ومن ثم هم بأغلاق الباب وكذلك المار لم يعر الموضوع أهمية وضاع مع ذهابه أملي في الخروج من هذا المأزق . . .

وعندما بدأت السيارة في التحرك تركتني المرأة المنقبة وفكت قبضتها عني ولكني استغللت هذه الفرصة وقررت فتح الباب والقفز من السيارة .

فتحت الباب ولكن سرعان ما سحبتني يد تلك المرأة للداخل واغلقت الباب بسرعة، وقاموا الرجال بسبي وقامت هي بضربي، حينها كرهت نفسي أكثر لاني قررت أن اهرب من حفرة نار إلى وادي الجحيم بنفسي .

لم أكن أفعل شيء سوى البكاء والصراخ، فقامت المرأة بإخراج مطواة وقالت لي بعنف:

–سوف اجعلك تجد بالفعل سببًا للبكاء، وسحبت اذني وأنا اقاومها تلك السيدة الضخمة، ولكنها كانت أقوى وقامت بقطع قطعة من أعلى اذني، لا أتذكر شيء سوى أول ما لامس السكين أذني، يبدو اني من هول الصدمة والخوف اغمى عليَّ قبل أن يحدث أي شيء .

رسمت ملامح الأسى على وجه العم عادل ومن ثم قال لي:

–آه يا ولدي يبدو أنك مررت بالكثير من المعاناة في طفولتك .

قلت له بابتسامة نابعة من التحسر على حالي وحظي في الدنيا :

–يبدو . . . ليس يبدو يا عمي بل بالتأكيد أنا عانيت في حياتي، ولكن حمدًا للرب على كل حال .

نظر لي محاولًا تغيير دفة الحديث الذي أخذ مجرى الحزن مما فات، وأردف لي:

–اتصدق لفتت انتباهي اذنك عندما رأيتك أول مرة، ولكن أتدري أنها علامة مميزة ومع وسامتك لم تقل منك أبدًا .

ابتسمت بسبب هذا المدح، ومن ثم احتسينا الشاي ومن ثم بدأ العم عادل في العمل وعرضت عليه المساعدة وأكملنا حديثنا ، وها انا أمد له بأحد الأدوات وأنا أقول له بهمة:

-اكمل لك يا عمي ماذا حدث بعد ما قطعت المرأة جزءًا من اذني .

ضحك عم عادل وقال لي:

-لقد اخذتها من على طرف لساني يا ولدي، هيا اكمل .

-استيقظت وجدت نفسي مع أطفال كثر في غرفة قذرة ولكن لم أتكلم مع أحد سوى جواد الذي رأيته مصاب في نفس الاذن التي اصبت بها ، تعجبت لدرجة التشابه بيننا ولكن ما جعلني اتغاضى عن دهشتي اني رأيت الثلاث أطفال الاخرين قد جرحوا في وجوههم كذلك .

وسرعان ما سمعنا صوت أقدام قادمة تجاه الغرفة، تلك الخطوات جعلت قلبي يتفتت من شدة الخوف، وما ان فتح الباب رأيت ذاك الرجل الضخم الذي قام باختطافي، فما فعلت شيء سوى الشروع في البكاء ، ولكنه قاطع بكائي صارخًا :

-هل سوف تقضيها بكاء يا روح أمك . . . هيا جميعكم أمامي كي يعرف كل منكم عمله .

أول من تقدم كان جواد وكان واثق الخطى لم يكن خائفًا أبدًا وكأنه تأقلم مع وضعه الحالي وقال بثقة ورجولة غير متلائمة على صغر سنه:

-على العموم، في أي عمل ترغبون أن أعمل به سأقوم به أنا وفارس سويًا .

نظر له الرجل باستغراب لطريقة كلامه وأردف:

-ومن هو فارس يا روح أمك أنت الاخر . . . !

اشار عليَّ جواد فقام الرجل بسحبه من قفاه وقال بغضب:

-هي ناقصة جنان، أو بضع اطفال يتشرطون . . . هيا جميعكم أمامي .

فجأة وصلنا وكنا أمام امرأة سمينة يبدو أنها كانت تلك المرأة المنقبة، ولكنها الآن غير منقبة، بل لا تمت للإسلام بصلة، انها لا تعلم عن الدين شيئًا يبدو أنها عاهرة . . .

كانت ترتدي ملابس بيت كاشفة أكثر ما هي ساترة، وكان في الغرفة هذان الرجلان وكان عدد الاطفال في غرفة 10 بما فيهم أنا ، وأعمارنا تتراوح من 8 إلى 15 ولكن

يبدو منهم معتادين على الوضع، ومن ثم قامت بتوزيع كل مجموعة منا لمنطقة ما لبيع المناديل ومسح السيارات في الظاهر ولكن الدور الكامن هو السرقة اثناء التسول . . .

خرجت أنا وجواد وصبي اخر عمره 13عامًا كي يعلمنا الشروط، واعطانا تحذير ألا نتحاذق ونهرب لآن هناك من يراقبنا . . .

لم أكن أفعل شيء سوى اني الحق بجواد وأراه وهو يتسول ويتوسل للمارة وفي نفس الوقت ينشلهم ببراعة، كنت مصدوم مما يفعله، ولكني لم أفعل، وليس بيدي حيلة للهرب فكنت اتبعه وفي المساء عندما انتهينا من العمل، ها هو الرجل الذي قام بإختطافي بالامس ها هو يربت على كتفي ويقول للمعلمة:

-لن تصدقي يا معلمة، ان هذا الفتى الذي كنا نظن أن ليس منه رجاء هو أفضل من أتى بإيراد اليوم . . . هذا الفتى معجزة .

كنت متعجبًا ، لمَ ينسب لي الفضل فقط ولا ينسب الفضل لجواد ولكن جواد لم يكترث ونظر لي وابتسم، قطع استعجابي صوت المعلمة وهي تنادي عليَّ وتأشر لي بأصبعها كي اقدم إليها :

-تعالى هنا يا . . . ها ما اسمك . . . ؟

اقتربت منها وأنا ارتعش وأنا أحاول أن أفك شفتاي الاتي التصقتا خوفًا منها :

-ف . . . ف . . . فاا . . . فا

ضحكت ضحكة تليق بإمرأة عاهرة وقالت متهكمة:

-اجمد يا فتى، كن رجلًا . . .

ومن ثم نظرت لي نظرة لا تليق أن تنظرها لطفل وقالت بتهكم:

-ها أولست رجلًا . . . ؟

لم استطع الرد عليا ونظرت أرضًا ، ومن ثم رد ذاك الرجل الضخم الذي كان يدعى صبحي وقال:

-لا، هذا سيكون من أولادنا ومن رجالنا فيما بعد يا معلمة سماح، واسمه فارس .

نظرت لي وهي تداعب شعري الناعم وتقول لي:

-انك داهية وأنا كنت أظن ألا نفع منك .

تمتمت بصوت هادئ وقلت لها :

-جواد من جمع تلك الأشياء .

نظرت متعجبة لصبحي وقالت له:

-أين جواد ذا . . . ! ؟

رد جواد بثقة وقال:

-أنا جواد يا معلمة . . . خدامك . . . وأنا وفارس واحد .

نظرت المعلمة سماح بتعجب وقالت:

-بالفعل واحد .

ومن ثم قالت بتهكم:

-لا تفرق فارس من جواد هذا راكب وهذا مركوب .

ومرت السنين، واستمر وضعي على ما هو عليه، أنا وجواد مع بعضنا البعض خطوة بخطوة، أنا أُلهي الناس وهو يسرق، إلى أن صار عمري 18عامًا تقريبًا، ومن ثم بدأت المعلمة سماح في التقرب مني صراحة، وتلميحاتها صارت بمنتهى الجراءة ولكني عففت نفسي عنها، لا أقدر أن أفعل ذلك، لا أقدر على التفكير في القيام بتلك الرذيلة، فقالت لي يومًا متعجبة:

-يعني السرقة حلال والزنا حرام. . . ؟

لم أرد عليها وقررت أن أخرج من الغرفة، فنادت عليَّ قبل أن أهم بالخروج، ولكني لم أعبأ لمناداتها، وقمت بفتح الباب ولكنها حينها همت كي تلحق بي وغلقت الباب وسألتني وهي تقيدني من الحركة بسبب جسمها الضخم الملتصق بجسدي الذي لا يزال صغير مقارنة بضخامتها، أنها طويلة القامة وسمينة جدًا ولكنها جميلة ولكني اشمئز منها، ها أنا أريد ابعادها عني، اني أكره شعوري بأنفاسها على وجهي. . .

فقالت لي وهي تحاول لمسي:

–ما بك يا فارس لمَ أنت متقلب المزاج هكذا، أنا صرت لا أفهمك، لمَ تغيرت عليَّ هكذا . . . ! ولا عندما تأكدت اني أحبك وأريدك فتستغل حبي هكذا . . . !

–ابتعدي عني .

وقمت بدفعها ورحلت، فلم يهمها ما فعلته بها وقالت لي وهي تقف تستند على الباب:

–مسيرك تأتي لي من أجل المزاج .

ذهبت لجواد وبدأت اشكي له ما أمر به من محاولات تقرب هذه المرأة، ولكني تفاجأت من ردة فعل جواد، رد عليَّ وهو ينفث دخان سيجارته وقال بثقة:

–اعطي لها ما تريده منك وخذ منها مقابل، الست تريدك يا جدع .

–استغفر ربك يا جواد، أنا أقول لك ذلك كي نقرر سويًا خطة للرحيل من هنا، لقد سأمت من كوننا سارقان، والأدهى هي الآن تريدني أن ارتكب فاحشة كبيرة معها تلك العاهرة، هذه المرأة لا تخاف الله تسرق الأطفال من أهلهم وتعلمهم السرقة، والبنات بمجرد بلوغهن تجعلهن يعملن في الدعارة، انها شيطان لعين .

-ان بني أدم ألعن من بني إبليس يا صديقي .

لم أفهم مقصده ومن ثم قلت له بتوتر وبهمس:

-هيا ، قل لي فكرة للهروب، لا استطيع أن أكمل في هذا الجحيم أكثر من ذلك، قلبي يؤلمني من معصية ربي .

-أنت مثلك مثل كل بني أدم خطاء وعاصي .

-نحن نعصي الله ولكن نتوب ولا نكمل في المعصية .

هم جواد بالخروج من الغرفة وقال لي:

-ارتح أنت ولا تشغل بالك، وأنا سوف أدبر لك الأمر .

ولكنه خرج ولم يعد ، تعجبت إلى أين ذهب الآن فقررت أن أخرج في البحث عنه، وأثناء مروري في ممر البيت سمعت صوت قادم من غرفة المعلمة سماح، أنها السافلة الفاجرة تتأوه وتقول اسمي .

اسمي كيف . . . ؟

قررت أن أنظر من فتحة المفتاح في الباب فرأيت جواد هو من . . .

آه. . . . يا إلهي، لذلك نظراتها غريبة وقالت عني متقلب المزاج. . .

ولكن لِمَ يفعل جواد ذلك. . . ؟ لِمَ لم يقل لي. . . !

قررت أن أدخل عليهم ولكن ما جدوى ذلك. . . ! لن يفيد أن يعرف الناس انها زانية لأنها عاهرة قوادة في الأساس.

قررت أن انتظر في غرفتي إلى أن أتى جواد الغرفة وهو يترنح وحسن المزاج، ولكن عندما رأى عيني يتطاير الغضب منها قال لي باستغراب:

-ماذا بك. . . ؟ لِ تنظر لي هكذا. . . ؟

انقضضت عليه ممسكًا إياه من ياقته متسائلًا وعيناي تزرفان الدمع:

-لِمَ فعلت هذا ياجواد. . . ؟ لِمَ لوثت نفسك في الوحل. . . ! لِمَ فعلت ذلك وانتحلت اسمي لِمَ. . . ؟

قام جواد بانزال يدي بلامبالاة وقال:

-وهل أنت تشعر بالضيق من فعلتي ولا من انتحال شخصك واسمك.

لم أرغب في النظر له واعطيته ظهري، لم أعد قادرًا على مواجهة نظراته القوية التي لم تشعر بالخزي أبدًا، ومن ثم قلت له:

-لا تفرق، لا أريدك أن تأخذ ذنب هذا الفعل الشنيع ولا أريدك أن تشركني فيه كذلك.

رد جواد ببرود وهو يهم باشعال سيجارته:

-هي بالفعل لا تفرق أنا وأنت واحد نشبه بعض كثيرًا لا يوجد فرق ان قلت فارس بدل من جواد، وعلى العموم أنا فعلت ذلك من أجلك، فعلت ذلك نيابة عنك كي استغل المعلمة وكي اكمل الخطة، التي سوف نبدأ في تنفيذها بعد قليل.

التفتت له غير فاهم وسألته:

-حقًا، فعلت هذا من أجلي، وبهذه السرعة فكرت كيف نهرب يا جواد . . .

نفث دخان سيجارته وقال لي بثقته المعتادة:

-لا داعٍ للحديث الآن، بعد قليل سوف تفهم كل شيء.

بعد قليل وجدته خرج من الغرفة، ومن ثم عاد لي وهو يحمل على ظهره حقيبة ظهر،

سألته باستغراب:

-ما تلك الحقيبة يا . . .

قال لي بغضب هامس وهي يضغط على اسنانه:

-لا أريد كلام كثير، اتبعني هيا .

ولكن على الباب ها هو صبحي يسأل جواد:

-إلى أين العزم إن شاء الله، أنا أعرف انك مجتهد في عملك ولكن ليس لهذه الدرجة .

ولكن لم يكمل صبحي كلامه إلا وقد قام جواد برش منوم في وجهه ومن ثم نظر لي

هامسًا مؤشرًا لي ان اتبعه، وبدأنا في الجري، وأنا أسأله وأنا أحاول أن اتنفس:

-إلى أين يا جواد . . . ! وماذا حدث فهمني . . . ؟

لم ينظر لي حتى وقال لي:

-عندما نصل سوف أشرح لك كل شيء .

هرولنا إلى أن وصلنا محطة القطار وتوجهنا إلى الإسكندرية، كان جواد متمسك بالحقيبة بقوية وهذا اثار حيرتي فسألته:

-ماذا تحتوي هذه الحقيبة . . . ؟

لم يكترث جواد لسؤالي واجابني بلامبالاة:

-لا يمكنني أن أقول لك الآن، بمجرد وصولنا سوف افهمك كل شيء .

وها نحن قد وصلنا ، ولكنه قال لي سوف نفترق من محطة سيدي جابر وسوف نعود إليها السادسة مساءًا ، كل منا سوف يذهب في طريق لكي نعرف مكان نعيش فيه، وعلى الموعد المحدد كل منا يقول للاخر ما توصل إليه .

سألني حينها عم عادل وقال لي متعجبًا :

-وهل وثقت به، ألم تظن أنه يمكن أن يرحل ولا يعود إليك من جديد . . . !

-بالعكس يا عم عادل أنا أثق في جواد وثقتي به فاقت كل الحدود، إذا كان يريد تركي لكان تركني منذ البداية في بيت المعلمة سماح وأنقذ نفسه وكفى، بل ان جواد دائمًا

يفكر بي قبل أي شيء، جواد يكملني، جواد ارسله الله لي كي يكون لي السند والأب والأخ، وكي يكون لي العوض في هذه الدنيا .

دعني أكمل لك، لأني إن بدأت احكي لك على مواقف جواد معي لن اتوقف عن مدحه، بالفعل ذهب كل منا في طريق وبالفعل ذهبت إلى المحطة الساعة السادسة كنت قلق ألا أجده لأني لن أعرف كيف سوف أصل إليه لأن ليس معنا هواتف، جاء في بالي أن أترك المكان وأبدأ في البحث عنه، ولكن بمجرد أن التفتت مغيرًا وجهتي، وجدت يد على كتفي، كان هو، جواد، بمجرد أن رأيته عانقته، هو الأمان لي والمؤنس، قال لي وهو يخرجني من حضنه ويربت على كتفي:

-ها، هل وصلت لمكان . . . ؟

-لا، لم أصل لشيء، كلهم رافضين لصغر سني وغير ذلك لأني شاب، كلهم لا يثقوا اني قادر على الدفع وليس من الأمان أن يدعوا شاب عازب في عمارتهم، كلها عام أو عامين والشك يتسلط عليّ أكثر .

قام بإخراج علبة السجائر الخاصة به واشعل سيجارته وبدأ ينفث سيجارته وقال بثقة لي وهو يتلفت وأشار لي بيده:

-حسنًا، تعالى معي.

لحقته وأنا لا أدري وأقول له متعجبًا:

-ولكن إلى أين...؟

سوف تفهم كل شيء الآن... هيا معي.

وصلنا إلى قهوة شعبي في سيدي جابر، سألته هامسًا بسؤال غبي:

-هل سنعيش هنا...؟

نظر لي متعجبًا من مستوى ذكائي ولم يرد عليَّ ومن ثم نادى وقال:

-السلام عليكم يا معلمة قدرية.

نظرت وجدت امرأة في الخمسين من عمرها، ولكن القوة ظهرت من ثبات خطواتها وصوتها وتمكنها بين الرجال، كانت ترتدي عباءة سوداء وكانت تغطي شعرها

بإيشارب أسود وكانت مشمرة عن ساعديها لتكشف عن ذهبها وقالت بصوت قوي مجلل وهي تقترب لطاولة ما وأشارت لنا بالقدوم :

-تعالى يا جواد .

تقدم جواد للطاولة وجلس فاتبعته .

قال لها بثقة وهو يقوم برمي عقب سيجارته ونفث دخان سيجارته جانبًا بطريقة لا تتناسب مع سنه ذا 18 عام فقط ولكن شخصيته تعكس رجولته ورجاحة عقله:

-تمام يا معلمة نقول أمين على المكان، ولكن الشقة سيعيش بها معي أخي فارس .

قالت له المعلمة بلامبالاة وهي تخبط بكف يدها على الطاولة:

-يعيش معك أخوك، أبوك، عشرة من أصدقائك لا يهمني، كل ما يهمني التأمين والإيجار، وأنت حر .

-وأنا جاهز يا معلمة، والآن لأني أريد أن أرتاح من السفر .

حينها لم أفهم شيء، كنت أنظر له مستغربًا وهمست له:

-كيف سوف تأتي لها بكل هذا المال . . . ؟

قال لي وهو يوكزني:

-اسكت الآن وسوف أشرح لك كل شيء لاحقًا .

قلت له وبدأت أشعر بالحيرة:

-أليس لديك سوى هذه الكلمة، هل تريدني أن أمشي على عماي معك . . . ؟

-لم يتبقى إلا القليل، هيا معي .

وبالفعل أخذتنا المعلمة قدرية، ان لديها صحة وقوة مثل شابة في العشرينات بالفعل، وانها ليست قبيحة الشكل ولكنها سليطة اللسان، وصلنا معها إلى عمارة تتكون من خمس أدوار فقط، دخلنا معها مدخل العمارة القديمة التي هي للبيت القديم أقرب، وفتحت لنا باب شقة في الدور الأرضي، الشقة كانت تتكون من غرفة واحدة وحمام صغير ومطبخ صغير أيضًا وصالة، كانت الصالة تحتوي على أريكة خشبية قديمة تبدو أنها من أيام الاحتلال، وتوجد طاولة دائرية في المنتصف، وفي الغرفة سرير متوسط الحجم وكفى، شقة فارغة تمامًا لا يوجد بها شيء سوى ما قلته وكفى .

جلسنا على الطاولة ودفع جواد 10000جنية تأمين وايجار مقدم 1000جنية

تعجبت كيف يدفع ايجار 1000جنية في هذه الخرابة ولكنه مسك يدي كي لا

انطق ومن ثم همت المعلمة بالخروج وقبل أن تخرج وقفت عند الباب ونظرت لجواد

نظرة لم ارتح لمغزاها وقالت:

-مبروك عليك يا جواد . . . مع انك بهذا خسرتني الكثير ولكن هذا طبعي أحب

الخير، وأحب أن أسند الغير.

وقف جواد واقترب من الباب وقال لها وهو يبتسم:

-كلك ذوق يا معلمة، وأنا خدامك من اليوم.

ربتت على صدره وقالت:

-تسلم يا ذوق.

ورحلت، فهم جواد بقفل الباب وراءها وهو يتنفس الصعداء، ولكني لم أدعه يكمل

تنفسه حتى الا وقمت من مكاني كي اسأله:

–من أين أتيت بالمال يا جواد، وما هذه الخرابة التي نحن بها الآن، لا تستحق كل هذا المال.

نظر لي متسائلًا:

–أهذه شكرًا التي يجب أن تقولها لي يا فارس . . . ؟

–شكرًا على ماذا . . . ؟ أنا لا أفهم شيء . . . !

–من دون هذه الشقة سوف نكون في الشارع، أتريد أن تكون في الشارع يا فارس . . . ! ها قل لي ؟

تمتمت وقلت:

–ولكن ا . . .

قاطعني وقال بثقة:

–لا تكمل كلامك سوف أريحك وأحكي لك كل شيء من البداية للنهاية.

لقد استغللت المعلمة سماح واعطيتها مرادها كي استطيع في النهاية بعد ما تعاطت المخدرات أن تقول لي رقم خزنتها السري، ومن ثم خدرتها ، وأخذت مالها ، ان المبلغ ليس كبير مجرد 100 ألف فقط بالرغم اني كنت أظن أن معها الكثير في الخزنة .

قررت ترك القاهرة والرحيل عن امبابة تمامًا كي لا يصلوا لنا رجالها ، لأن العيون سوف تسلط علينا نحن فقط لأننا من هربنا وأكيد بدئوا البحث عنا من الآن، فقررت السفر للإسكندرية حيث لا يعرفنا أحد .

قررت البحث عن مكان ولا يوجد أفضل من القهوة حيث يوجد ناس مختلفة وأكيد أحد منهم سوف يوصلني لحل، واحمد ربك على هذه الخرابة لآن لا يوجد أحد يسكن من هم أمثالنا لا في عمرنا ولا أكبر منا ، لا يوجد أحد يؤمن لعازب يسكن في عمارته .

وهذه المرأة بمجرد النظر لها علمت أنها مشبوهة وسكتها بطالة، قلت هذه التي سوف تأتي لي بحل، لعبت عليها بكلمتين، أنت تعرف مدى تأثيري، وهذه الشقة أنا أعرف جيدًا هي كانت تؤجرها بالليلة للقمار أو للعشاق، ولكن الحكومة هذه الأيام

شادة حيلها ، فصارت تخاف أن تؤجرها للعشاق أو للقمار ، فنحن فرصة لها من السماء ، بدل من غلقها تمامًا ، هي قالت نصف العمى ولا العمى كله . . .

نظرت له باستغراب:

-يعني أنت لم يكفيك فعلتك الشنيعة التي فعلتها ، بل وسرقت . . .

قاطعني بضحكة تهكمية:

-حلوة سرقت، على أساس من صغري كنت ماذا أفعل . . . ! كنت اصلي، هذا جزاءها ، هي من علمتني، وطباخ السم يجب أن يذوقه، وان جئت للحق، هذا مالي وتعبي وشقائي، ومالي الذي جمعته كان أكثر من هذا ، ولكن هيا . . .

وقفت أمامه وسألته وأنا أنظر في عينيه:

-هيا . . ! هيا ماذا . . . ؟ أنت كيف بارد الأعصاب هكذا . . . ؟ لِمَ لم ترغب أن تبدأ بداية جديدة فيها رضى الله . . . ؟

-إن لم تعجبك الحياة معي، فلترحل يا فارس، وهيا أخرج نام في الشارع، دع ربك يرعاك ويدفئك في عز الصقيع .

زاد من حدة غضبه ورزع الطاولة وقال:

-هيا أخرج من هنا ودع مالي الحرام واطلب من ربك يطعمك ويسقيك .

نظرت له بدهشة من تجرءه على ربه وسألته وأنا أمسك بذراعه كي ينظر لي:

-كيف تتجرأ وتقول هكذا على ربنا . . . !

ترك يدي غاضبًا وأردف:

-ربك وحدك . . . سوف أترك البيت حالًا وأنت فكر، واختار، رضى ربك أم الحياة معي .

لحقت به قلت له:

-دعنا نبدأ سويًا من الصفر بداية يحبها الله كي يرضى عنا .

-ارضيه أنت فقط إن كنت ترغب، ولكنه لن يرضى عني لأني لا أريد، أنت حر بيدك أن تختار الواقع أم تمشي وراء وهمك .

وغلق الباب بقوة ورحل .

قررت أنا أيضاً أن أرحل، قررت ألا أكمل في الحرام وأن لا أكل مال حرام، قررت أن أرحل وقلت ان الرب لن يجعلني أضيع أبدًا .

ولكن بمجرد أن خرجت من البيت بدأ المطر ينهمر بقوة وما أدراك ما مطر الاسكندرية شتاءً، كنت حينها في أول يناير من عام 2018 وحبات المطر كانت تسقط بقوة أرضاً كانت حبات المطرة مثلجة من شدة الصقيع، نظرت للسماء وقلت للرب:

-يا رب ما معنى مطرك الآن . . . ؟ هل مطرك يعني سخطك عليَّ وعدم رضاك عني . . . ؟ أم أن هذه علامة أن أظل في هذا البيت ! ؟ إلهي هل تسمعني . . . ؟ اعطي لي إشارة . . . ؟ ساعدني . . . ! يا رب إن كنت راضٍ عني وسوف تساعدني إن رحلت أوقف مطرك، سوف أفهم أنك موجود وأنك سوف تعينيني على القادم، انتظرت 10 دقائق على أمل أن يتوقف المطر وأرحل من هنا ، ولكن المطر لم يتوقف بل زاد أكثر وأكثر، حينها شعرت بأسى وقلت لنفسي:

-هذا معناه شيئين أنك يا رب غير راضي عني، أو أنك غير موجود فلم تسمعني ولم تساعدني .

حينها رأيت جواد قادم من اخر الشارع ومعه كيس كبير ونظر لي وابتسم وعندما اقترب قال لي:

-ها ماذا قررت تختار الواقع أم الوهم . . . ؟

لم اجبه وطأطأت راسي أرضاً ، فأخذني من يدي وقال لي وهو يدخل مدخل العمارة وفتح باب الشقة ونظر لي كي اتبعه وقال لي:

-تعالى، لقد عملت حسابك وجلبت لك طعام معي، تعالى . . .

سحبتني قدمي تجاهه، وبدأت أكل على الطاولة وأنا شارد أسأل نفسي:

-لَم ربنا تركني وحدي . . . ؟ لَم جعلني احتاج لغيره لا هو . . . ؟ أليس هو المعطي الكريم . . . ! أليس هو الأمان لعباده . . . ! أليس هو الرحيم . . . ! أين هو . . . ؟ لَم تركني . . . ؟

قطع شرودي جواد وقال لي وهو يضحك:

-لَمَ أنت حزين هكذا لم أكن أظن أن الطعام بهذا السوء . . . !

مضغت بضع لقيمات وقلت له:

- أنا فقط متعب أحتاج أن أنام .

نمت واستيقظت، كنت مريض بسبب مطر الأمس، سألت ربي:

-لَمَ أمرضتني . . . ؟ أنا كنت أريد أن أظل بعافيتي كي أبحث عن عمل، على الأقل أرضى بالحرام فترة إلى أن أتكمن من الاعتماد على الحلال . . . ! لمَ لا تعينيني . . . ! لمَ . . . !

عندما استيقظت رأيت نفسي بملابس غير الملابس، ومغطى ببطانية، وأنا أتذكر ان لم يكن هناك بطانية من الأساس .

فجأة سمعت باب الشقة يغلق، فبدأت في السعال، فجأني صوت جواد متسائلًا :

-هل استيقظت يا فارس . . . ؟

جاهدت نفسي على الكلام وقلت له:

-استيقظت منذ قليل .

قال لي بصوت عالٍ:

-تعالى هيا من أجل أن ترم عظمك بالفطور .

لم أرغب أن أكل كان بداخلي شعور ندم وحزن بإن الرب غير راضٍ عني، يوجد شيء ينغص عليَّ، لا أدري ما هو . . . !

قلت لجواد بصوت متعب:

-افطر أنت يا جواد أنا لا أريد .

بعد دقيقتين رأيته جاء لي الغرفة وفتح الأكياس وفرشها على السرير ووضع عليها الفطور وبدأ يجعلني أكل .

كنت أنظر له واحمد الرب على جواد:

-احمدك يا ربي على نعمة جواد في حياتي، لن أجد أحد يحبني في الحياة مثله، أكنت تريدني ألا أرحل من هنا لأنك تحبني أيضًا يا الله . . . ! احاول أن أفهم حكمتك ولكن لا أدري . . .

قطع شرودي صوت جواد، ولكني لم أسمع جيدًا ما قاله لي، فقلت له وأنا أمسك يده:

-أحبك يا صديقي ويا أخى الذي لم تنجبه أمي، أصدقاء وأخوة إلى الأبد .

نظر لي ورسمت ضحكة على جانب فمه وقال لي:

-إلى آخر يوم في حياتك يا فارس .

فطرت وقال لي ارتاح أنت اليوم، فقلت له بندم:

-لا أريد أن أرتاح، أريد أن أبحث عن عمل يا جواد .

ربت على كتفي وقال لي:

-نم وارتح أنت اليوم وفي المساء سوف أتي لك أكون قد وصلت لحل في موضوع العمل، ولا تنسى تأخذ الدواء ها هو بجوارك .

***

في المساء جاء لي جواد ومعه الغداء وقال لي:

-المعلمة قدرية تحتاجنا معها للعمل في المقهى أنت سوف تعمل صباحًا وأنا سوف أعمل مساءً .

-ولكن لَم ليس معًا . . . ؟

–هذا رأيها يا فارس، إن لم يعجبك العمل يمكنك أن تبحث عن غيره، بالنسبة لي أنا موافق عليه .

قاطعته مستغربًا :

–ماذا تقول يا جواد . . . ! أقول لك أريدك معي في نفس الوقت تقول لي أن أبحث عن عمل في مكان اخر مختلف . . . ! حسنًا يا سيدي موافق، أي شيء إلى أن نجد عمل سويًا .

تناولنا الغداء وهو تركني وقال لي:

–سوف أذهب للعمل الآن، تناول دواءك عندما تستيقظت .

قلت له بصوت شبه عال مجاهدًا نفسي على الكلام كي يسمعني وهو عند الباب:

–حسنًا ، سوف أرتاح الآن، كي استطيع الذهاب للعمل صباحًا .

جاءني صوته وهو يغلق باب الشقة:

–إن استطعت فلتفعل .

***

في الصباح ذهبت وباشرت عملي بهدوء أخذ الأوامر وأنفذ فقط، بعد قليل جاءتني المعلمة وسألتني:

-لمَ أنت هادئ، هل حدث شيء ضايقك. . . !

سعلت بهدوء ومن ثم قلت لها:

-لا يوجد شيء يا معلمة، ولكني متعب قليلًا .

***

تمر الأيام والمعلمة اعتادت على طبعي الهادئ ولم تعد تستغرب منه، وصرنا لا نتقابل أنا وجواد إلا في الصباح عندما يوقظني ونفطر سويًا، وأنا مساءًا عندما أوقظه ونتناول الغداء سويًا .

***

بعد مرور شهرين من وجودنا في الإسكندرية، بدأت المعلمة في بناء دور سادس فقررنا أن نساعد مع العمال ولكن بأجر، كنت أحمل الطوب وأرفعه وبعدها يتبعني جواد، وفي كل مرة أحمل كانت المعلمة تنظر لي، كنت أعلم جيدًا أنها نظرات

اعجاب، ولكن كيف تفكر بذلك وأنا في عمر أولادها ان كان لها أولاد من الأساس.

***

تمر الأيام وأكملنا الشقة، فصار عملي في الصباح في البناء أنا وجواد وفي المساء يذهب جواد بضع ساعات للمقهى كي يساعد المعلمة.

بعد أن أكملنا البناء، بدأت المعلمة ترسلنا مع عمال آخرين للبناء، فصار عملي الجديد في البناء.

قاطعني العم عادل وقال لي:

-بالفعل وأنا قلت ما سبب بنية جسدك الرياضية.. !

-آه يا عم عادل انه لعمل شاق، ولكن كنت سعيد لأنه حلال، عندما كنت أعود ومعي طعام اشتريته بالمال الذي تعبت به أشعر اني مرتاح لأني أعلم مصدر هذا المال بأنه يرضي الله، ما زلت أفكر به في كل لحظة في حياتي، أبحث عنه في كل ما أفعله، يوجد شيء رابطني به رغم كل شيء.

-ونعم بالله يا ولدي اكمل لي .

-لم تستمر راحتي يا عمي، وفي يوم رأيت جواد يأخذ المال الذي كان يخبئه وخارج من البيت، قلت له باستغراب:

-إلى أين أنت ذاهب بالمال يا جواد . . . ؟

-لا شأن لك، هذا مال حرام كما تقول، فلا شأن لك به، أفعل به ما أشاء .

وحيرتي لم تدم كثيرًا الا أني صرت أرى جواد كل يوم معه مال كثير . . .

فقررت أن اسأله:

-جواد من أين لك بكل هذا المال . . . ؟ قل لي الحقيقة . . . !

-يا سيدي مالي وقمت بتشغيله ما المشكلة !

-تشغيله في ماذا . . . ؟ أتريد أن يزيد الحرام في جيبك ؟

-أنت لك طريقك وأنا لي طريقي، لم أقل لك اعطيني مالك واشغله لك .

-أعطيك مالي تشغله في ماذا . . . ؟

-لا يهم في ماذا ولكن إن كنت ترغب أن يكون معك مال مثلي أنا سوف اساعدك .

قمت من على السرير وقلت له:

-لا أريد أن أعطيك قبل أن تفهمني سكة هذه الأموال في البداية .

قام بربط حزمة المال وضعها في كيس ثم في الحقيبة وقام بغلقها وهو يقول لي:

-لا لن أقول لك، لأن الموضوع يخص كبار، إن كنت تريد الزيادة أنا رقبتي لك سدادة، ولكن كثرة كلام لا أريد لأن الكلام في هذا الموضوع يضيع فيه رقاب .

نظرت له وأنا أسحب منه الحقيبة وقلت له:

-ولِمَ دخلت في هذا الطريق الذي تضيع فيه الرقاب يا جواد . . . ؟ ألا تريد أن نعيش في أمان . . . ؟

سحب الحقيبة من يدي ووقف وقال:

-العيش في أمان لا يدعك تخطي خطوة للأمام، الذي يخاف يظل طول عمرة بجانب الحيط إلى أن يسقط عليه الحيط ولا أحد يدري عنه . . .

-وهل يعجبك وأنت ماشي في سكة خطر لا تضمن أتعيش غدًا أم لا . . . ؟

-ولِمَ يهمني أن أفكر في أن أعيش غدًا أم لا ما دام أنا أعيش سعيد ومعي مال الآن . . . ؟

-هل كل شيء بالنسبة لك المال وكفى . . . ؟

-لأن المال بالفعل كل شيء، قل لي ما هو المهم سوى المال . . . !

كنت سوف انطق ولكنه سرعان ما اسكتني وقال:

-لا تحاول اقناعي بكلام غير واقعي أنا لا يقنعني شيء سوى الواقع وكفى، إن المال هو سيد العالم.

-ولكن يقولون إن المال عبد جيد وسيد سيء لا تجعله يتحكم بك.

هم بالخروج من الغرفة وهو يتكلم بغضب:

-من قال ذلك أحمق، من معه المال هو السيد ومن ليس لديه مال هو العبد، نحن عبيد من دون المال.

ومن ثم التفت لي وهو يقف عند باب الشقة وقال:

-لا تتبع هذه الحكم الزائفة يا صديقي كي لا تضيع حياتك هباء بدون فائدة،

صدقني من يقولون هذه النصائح هم لا يأخذون بها في الواقع كله كلام على ورق، ولا يتأثر بها إلا من هو أحمق.

ومن ثم رحل وتركني شارد أفكر، من منا هو الصحيح . . . !

تمر الشهور وكل شهر كانت المعلمة تأتي لجواد وتعطيه مال لا تأخذ منه الإيجار،

علمت حينها أن المعلمة هي أيضاً في طريق جواد.

اخر شهرين كان ظرف المال به أقل فسألها جواد لِمَ المال أقل هذه الفترة . . . ! فردت عليه:

-السوق نائم هذه الأيام يا جواد على عينك.

نظر لها وابتسم جواد وضحك بتهكم:

-على عيني أن الوضع كما هو عليه يا معلمة، لا يغركم صغر سني.

حاولت أن تجعله يهدأ وقالت له:

-اهدأ يا جواد وكلها فترة وسوف يعود الوضع كما كان وأفضل، لا تدع الشيطان يدخل بينا .

-أي شيطان يدخل بينا . . . ؟ لا يوجد أي شيطان بيننا ، وإن كنتِ تخافي من الشياطين وبطشها فأنا شيطان فأحذري من اللعب معي .

***

رحلت المعلمة، فخرجت أنا من الغرفة وسألته:

-ماذا كان يحدث . . . ؟

اخرج سيجارة وبدأ ينفث بها بغضب وقال لي:

-لا تشغل بالك، ولكن استعد للرحيل من هنا ، الليلة .

استغربت وقلت له:

-كيف . . ؟ ولماذا الآن . . . ؟ بعد ان استقررنا . . . ! ووجدنا عمل . . . !

ومالك وعملك أنت . . . ماذا سوف تفعل . . . !

نفث دخان سيجارته وقال:

-لا تشغل بالك يا فارس قلت لك كل ما عليك أن تستعد وأنا سوف اتصرف لا تقلق .

***

الساعة الثالثة فجرًا جاء لي جواد وايقظني وقال لي:

-هيا فلنذهب، الآن . . .

كنت غير مستوعب ماذا يقول لي، فقام بسحبي كي أقوم وقال بغضب:

-هيا ، يا فارس، وارحمني من كثرة الاسئلة .

وبالفعل ارتديت حذائي واخذني وقال لي:

-أنا جهزت كل شيء هيا اتبعني .

وحمل حقيبة ظهر ضخمة وتحرك وأنا كنت معه وفي اخر الشارع كانت هناك سيارة بدون كلام كثير ركبت السيارة، ووقفنا عند أحدى حواري المنشية، ودخلنا شقة في بيت قديم جدًا، شكر جواد الرجل الذي أوصلنا ومن ثم دخلنا الشقة وتعجبت أنه قام بفتحها ، سألته متعجبًا :

-كيف . . . ؟

لم أكمل تساؤلي فقال لي جواد وهو يهم بالدخول:

-ألا تكف عن الاسئلة يا فارس، سوف أريحك يا أخي، أنا موجود في الإسكندرية منذ ثمانية أشهر ولي أصدقاء وتصرفت في هذه الشقة من شهر عندما بدأت المعلمة قدرية تلعب بذيلها معي .

دهشت مما قاله:

-تلعب بذيلها كيف . . . ؟

-لا تشغل بالك ارتح الآن وفي الصباح سوف أشرح لك الوضع الجديد .

***

قال لي العم عادل باندهاش:

-وهل أنت مسالم هكذا دائمًا يا ولدي . . . ؟

-لا أدري يا عمي والله، في أغلب الأوقات يخفي عني جواد ما يمر به، ولكنه دائمًا يفكر في مصلحتي .

-ولكني يا ولدي أظن أن طريقه خطأ وبذلك سوف يجر رجلك في هذا الطريق وهذا سوف يعرضك للخطر .

-لا أظن ذلك يا عمي، لأن بمجرد أن جئنا إلى المنشية في صباح اليوم التالي رأيت معه آلة حلاقة وطلب مني أن أحلق وأغير من شكلي سألته:

-لماذا يا جواد . . . ؟

-لزوم البداية الجديدة يا صديقي، قررت أن ابتعد عن هذا الطريق الذي كنت به فلنبدأ بداية جديدة في مكان جديد بشكل جديد .

نظرت له بدهشة وقلت له وأنا أمسك يده:

-حقًا يا صديقي . . . !

ابتسم لي وأمسك يدي وقال لي:

-حقًا يا صديقي .

قمت وعانقته وقلت له بلهفة:

-كنت أعلم جيدًا أنك في يوم سوف تترك هذا الطريق و .

اخرجني من حضنه وقال لي:

-توقف عن الكلام قليلًا وهيا بنا فلنبدأ بتغير شكلنا .

قررنا حلاقة اللحية تمامًا وحلق جانبي الشعر مع رفع شعرنا الطويل بمساكة شعر، شكلنا تغير 180درجة، بالفعل إذا كنت ترغب أن تغير من شكل رجل فلتحق لحيته فقط .

قال لي جواد أن أذهب إلى مطعم وأقول لصاحبه أنا من طرف المعلم لطفي، وبالفعل ذهبت صباحًا إلى المطعم، وبالفعل تم تعييني، ولكن جواد لم يعمل معي، جائني المطعم جواد مساءً وسألني على العمل وما هو انطباعي قلت له:

-ان العمل بسيط هنا ، صاحب العمل علمني كيف استخدم الآلة وصرت كاشير كما ترى يا صديق ولكن لَم لست معي . . . ؟

-ومن قال لك أني لست معك . . . ؟ سوف أعمل في توصيل الطلبات يا فارس، وهيا سوف اتركك الآن كي لا أسبب لك مشاكل، بعد الانتهاء من العمل سنتحدث سويًا .

مر شهرين على هذا الوضع إلى أن صار ما صار بالأمس واشتعل جواد غضبًا عندما رأى الضابط ضرب ياسمين .

قاطعني عم عادل وقال لي متعجبًا :

-يعني جواد انفعل عندما رأى الضابط ضرب ياسمين ولم ينفعل عندما هرب اللص ورمى ياسمين أرضًا !

-لم يكن موجد أثناء الحادثة لقد وصل جواد أثناء وقوع ياسمين بسبب الضابط وهم مسرعًا ودافع عنها .

-يعني جواد هو من دافع عن ياسمين !

-نعم يا عمي هو من دافع عنها وهو من قال لي أن أخذها ونهرب سويًا كي لا نتأذى، هو هكذا جواد دائمًا يهمه أن أكون بأمان، أنا فعلت ما بوسعي كي تكون ياسمين بأمان وأن تصل إليكم .

-أشكرك على امانتك وصدقك، واسمعني أنا محلي مفتوح لك إذا أردت أن تعمل معي، وإذا استطعت أن تكلم صديقك لكي أقدم له يد العون والمساعدة على موقفه

مع ابنتي وشجاعته، وكما قلت لي انه صار صالح الآن وابتعد عن الطرق المشبوهة . .

-أشكرك يا عمي على وقفتك معي، حسنًا سوف أحاول أن أصل إليه وأقول له .

***

ومرت الأيام وياسمين تقربت مني، وها أنا ذا ولأول مرة قلبي يدق، بدأت أحب وأتعلق بياسمين، تلك الفتاة الجميلة، مرت الشهور وأنا لم أعرف كيف أصل إلى جواد، ها تفه مغلق دائمًا ، كنت قلق عليه كثيرًا .

في شهر مارس عام 2019 قررت في مرة أن أذهب إلى الشقة التي كنا بها ولكن بدون جدوى لم أجده، كنت مفتقدة جدًا ولكن وجود ياسمين معي هون عليَّ غيابه بعض الشيء .

كسبت حب ياسمين وأهلها لي، شعرت أن الله عوضني بالأهل والحبيبة في آن واحد ، ولكن هذا لم يستمر . . .

في صباح أول أيام شهر أكتوبر جاءت ياسمين إلى محل أبيها ولكنها لم تنظر لي حتى، لا أدري ما سبب قطيعتها لي، قررت ياسمين الرحيل مسرعةً، استأذنت عم عادل بعض الوقت .

لحقت بياسمين وامسكتها من ذراعها ، فألتفتت لي، سألتها بلهفة:

-ماذا جرى يا ياسمين . . . ؟ قولي لي لمَ تغيرتِ عليَّ . . . ؟ ماذا فعلت لكِ . . . ؟

ترقرق الدمع في عيني ياسمين وقالت بإنكسار وهي تنظر أرضاً :

-ألا تدري ما حدث . . . ؟

وضعت يدي تحت ذقنها كي أرفع رأسها وكي تنظر عينها لعيني وقلت لها :

-أقسم لكِ لا أعلم ما حدث . . . ! قولي لي ماذا صدر مني كي اصلح ما فعلته وضايقتك به .

نظرت لي وبدأ الدمع ينهمر من عينها وقالت بحسرة:

-ما حدث لا يمكن اصلاحه أبدًا ومن ثم التفتت واجهشت بالبكاء ، التفتت الاتجاه الاخر فامسكتها من ذراعيها وقلت لها وأنا أبكي لبكائها :

-ياسمين حبيبتي، أقسم لكِ لا أدري ماذا تقصدين أرجوكِ افهميني . . . !

نظرت لي وهمت بمسح دموعها وتنفست الصعداء وتمالكت قواها وقالت وهي تنظر لي نظرة كره:

-أنت استغللتني .

تعجبت كيف تنظر لي ياسمين هكذا . . . ؟ سألتها بتعجبت وأنا أمسح دمعي:

-ماذا فعلت يا ياسمين كي استحق تلك نظرة الكره منكِ ؟

-ألا تتذكر منذ أسبوعين عندما كنت في اجازة لأنك مريض وطلبت من أبي أن تذهب لشراء دواء، أنت يومها اتصلت بي وطلبت مني أن أتي لمقابلتك، وأنا حزنت لأنك مريض ولكنك قلت لي أن سبب مرضك هو فراق جواد الذي طال عليك، لذا طلبت مني أن نخرج سويًا وتستغل اجازتك في البحث عنه والسؤال عليه في المنشية، طلبت منك حينها أن تنتظر إلى أن تكون في صحة جيدة ولكنك أصررت وقلت لي أنك لن ترتاح إلا عندما ترى جواد .

قررت أن أذهب معك ووصلت لتلك الشقة التي كنت تسكن بها أنت وجواد، ولكن بمجرد أن وصلنا لهناك أنت تحولت لوحش، تغيرت 180 درجة، لم أكن أتوقع أن تفعل ما فعلته بي، لم أكن أتوقع أبدًا .

واجهشت بالبكاء وأنا شاركتها بكاءها وصرت أرفع رأسها وأقول لها باكيًا :

-أقسم لك يا ياسمين لم أفعل شيء، أتظنين أن يصدر مني فعل كهذا . . . ؟

نظرت لي بكره وأبعدت يدي عنها ودفعتني وقالت:

-أنت ممثل وبارع في التمثيل صدقت أدبك وخجلك وطيبتك وأنت حقيقتك شيطان .

ومن ثم همت بعبور الطريق ولكن في تلك اللحظة كنت أنا أنادي عليها وأحاول أن أمسك يدها وهي تحاول أن تبعد يدها عني وهي تلتفت فمرت سيارة بسرعة واصطدمت بها . . .

أخذتها بسرعة إلى أقرب مشفى، ومن ثم اتصلت بعمي عادل كي يلحق بي، وتم تجبيس ساقها ولكن لم تكن ياسمين ترغب في النظر لي، ياسمين لم تصدقني، ياسمين كرهتني . . .

صرت أفكر، كيف حدث هذا . . . ؟ أنا في هذا اليوم لم أخرج من الورشة وكنت راقد من التعب، هذا معناه يا إما ياسمين تتبلى عليَّ، وأنا أستبعد هذه الفكرة من الأساس لمَ تفعل هذا . . . ؟ هي تعلم أني أحبها وأنا من أتمنى أن تكون لي، ليست مضطرة لهذه التمثلية كي تكون لي، والفكرة الثانية من فعل ذلك هو جواد، ولكن كيف وصل جواد لياسمين وكيف عرف مكاني ورقم هاتفها . . . ! ولمَ يفعل ذلك من الأساس لمَ . . . ؟ أنا لا أفهم شيء .

مرت ثلاث أسابيع وأنا لم أرى ياسمين قررت أن اسأل عمي عادل عنها قال لي بأسى:

-لا أدري يا ولدي، هي فكت الجبس بالأمس ولكن طوال هذه الفترة لا تتحدث، قبل الحادث كانت تتحدث قليلًا، ولكن بعد الحادث لا تفعل شيء سوى أنها تومئ فقط، والدموع تذرف من عينها كل ما حاولنا أن نعرف ما بها .

ترددت قليلًا ولكني حاولت أن أجمع قواي واتجرأ وقلت له:

-عمي، هل تسمح لي أن أزور ياسمين كي اطمئن على وضعها بنفسي .

-حسنًا يا ولدي بعد الانتهاء من العمل سوف تأتي معي البيت وتزورها .

بمجرد أن وصلت طلبت من عمتي كريمة أن تصلني لغرفة ياسمين وبمجرد أن دخلت أشاحت ياسمين نظرها عني، ولكن عمتي كريمة من أجل أن ترفع الحرج عني بسبب هذا الموقف قالت لي:

-لا أدري لِمَ ياسمين صارت هكذا . . . ! معنا كلنا تشيح نظرها ولا تتحدث .

قلت لها بخجل:

-ولا يهمك يا عمتي، ولكني أريد أن أقول لياسمين شيء على انفراد، هل تسمحي لي . . . !

وبالفعل خرجت عمتي وهي تهم قالت لي وهي تربت على كتفي:

-تفضل يا ولدي، البيت بيتك . . .

جلست على طرف السرير وقلت لها بأسى:

-كيف حالك يا ياسمين . . . ؟

لم ترد علي وبدأت تذرف الدمع على خدها ، فقلت لها :

- ياسمين أريدك أن تساعديني، وأريدك أن تصدقيني أني لم أفعل ذلك .

لم ترد علي ومن ثم دخلت لي العمة كريمة بصينية عليها فواكه وكوب من الماء ،

وضعت الصينية على السرير أمامي فشكرتها ومن ثم خرجت .

سألت ياسمين برفق :

- ياسمين أريدك أن تساعديني، أنا فكرت في الموضوع مليًا لا يوجد إلا شخص واحد

من فعل ذلك ألا وهو جواد .

نظرت بكره وقالت لي:

-أنت من فعلت ذلك ولكن وجهك الحقيقي ظهر .

-حسنًا ، أريدكِ أن تتذكري شيء ، هل من فعل ذلك لمحتي حرق في رقبته أشبه

بشعلة . . . ؟

صمتت ياسمين قليلًا وكأنها كانت تتذكر ومن ثم أغمضت عينيها وكأنها تشعر بألم وتعذيب وقالت وهي تفتح عينها :

-نعم، كانت هناك علامة . . . !

من ثم نظرت لها وكنت أريها رقبتي وأسألها بلهفة كي أثبت لها براءتي:

-هل تري هذه العلامة في رقبتي، قولي لي . . . ؟

ظلت تنظر لي بدهشة والدموع تنهمر من عينها ولم تنطق . . .

كررت سؤالي لها :

-اجيبيني يا حبيبتي، أرجوكِ صدقيني واتبعي قلبك وسوف أجلب لكِ حقك ممن فعل ذلك، صدقيني أنا سأكون معكِ دائمًا .

بدأت تبكي في هيستيريا وتقول لي:

-أنا لم أعد أرغب في شيء، لم أعد أريد شيئًا، أريد أن أموت، أن أموت . . .

بدأت اهدئها وأقول لها :

-لا تقولي ذلك يا حبيبتي، أنا سأظل معكِ إلى الأبد ولن أتركِ حزينة هكذا . . .

ولكنها كررت كلماتها ألا وهي:

-أريد أن أموت، لا أريد هذه الدنيا .

-أرجوكِ لا تتركيني، أنا تركت العالم أجمع وهربت إليكِ يا مصدر الأمان بالنسبة لي .

ومن ثم فعلت شيء لم أكن أتوقعه، أخذت السكين الموجود بجوار طبق الفاكهة في ثواني وطعنت نفسها في رقبتها من دون أي لحظة تردد أو تهديد لي، تصلبت مكاني وحملقت عيني من هول الصدمة والدموع ذرفت من عيني تلقائيًا ، في تلك اللحظة دخلت الأم كريمة وصرخت عندما رأت ابنتها ملقاة أمامي مطعونة غارقة في دمها .

وأنا مصدوم لا أحرك ساكنًا لا أنطق حتى، الأم تصرخ تنادي على بنتها ، ولكن لا حياة لمن تنادي، العمة كريمة لا تصدق أن بنتها فارقت الحياة، التفتت لي وسألتني ماذا حدث ولكني مصدوم لا أنطق أبدًا ، دخل عمي حاول أن يسألني ولكني لم استطع النطق، وكيف أنطق بعد الذي حدث أمامي، طلب عمي الشرطة وفي القسم بدأ التحقيق، حاولت جاهدًا أن أتكلم ولكن بمجرد أن قام الضابط بالطرق على المنضدة بكامل قوته كي أنطق، كانت كفيلة كي أنطق بالفعل، لم أجد ما أقوله

سوى أنها قالت لي أنها تريد أن تموت وأنها لم تعد ترغب في العيش في هذه الدنيا وفي لمحة عين طعنت نفسها بقوة في رقبتها .

لم يجدوا بصماتي على السكين، البصمات كانت بصماتها ، وعمي عادل وعمتي كريمة شهدوا بطيب طبعي وحسن خلقي، وفي بداية التحقيق عندنا طلب مني الضابط بطاقتي قلت له اني نسيتها وقام عمي عادل بضمانتي، ولكن في الحقيقة أنا ليس لدي أي أوراق تثبت هويتي .

خرجت وكلنا في حالة صدمة والعمة كريمة منهارة باكية، وأنا مصدوم، كل أحلامي تحطمت، حبي الأول ضاع أمام عيني، بل ورحلت وهي تكرهني .

أقسمت أن أخذ حقها ، سوف أنتقم ممن ظلمها حتى وإن كان أعز شخص بالنسبة لي . . .

مرت ثلاثة أيام وانتهى العزاء وحزني على ياسمين يزيد ولا يقل . . .

النوم قد سرق من عيني، من بعد فراق ياسمين وأنا لاأقدر على النوم نهائي . . .

الساعة الثانية بعد منتصف الليل قررت أن أذهب وأبحث عن جواد مرة أخرى .

بمجرد أن وصلت إلى الشقة تفاجأت، كان جواد هناك بالفعل، اغلقت باب الشقة واجتاحت بداخلي عدة مشاعر، مشاعر شوق ومشاعر انتقام وتساؤلات عدة لم أعد أعرف من أين أبدأ، ومن ثم قلت بصوت مكتوم من صدمتي:

-أين كنت كل هذه الفترة. . . ؟

كان يجلس على الطاولة يدخن سيجارته ببرود وأردف:

-عندما هربت بعدما دافعت على هذه الفتاة، تعرفت على أناس جدد، وقمت بالعمل معهم، تقدر تقول مصلحة جديدة.

-ومتى رجعت هنا . . . ؟

-منذ قليل، سعيد جدًا برؤيتك، لم أكن أدري أنك تشعر بي لهذه الدرجة، بمجرد وصولي هنا قد أتيت حالًا .

اقتربت منه وبدأت اسأله بصوت مهزوز:

-هل أنت قابلت ياسمين . . . ؟

رد بعدما رسم علامات الغباء على وجهه:

-من هي ياسمين . . . ؟

-أنت تعرف جيدًا عمن أتحدث، هي قالت أنها رأتك حتى بالأمارة تلك العلامة التي على رقبتك .

قام من مكانه وزاد غضبه وأردف:

-يعني تكذب صديقك وأخيك وتصدق فتاة !

وقفت أمامه وطرقت بيدي على الطاولة بقوة وقلت له غاضبًا :

-أنا أصدق الحق يا جواد .

نظر لي وضحك ضحكة تهكم وقال لي بسخرية:

-ولأول مرة أراك غاضب وتعلي صوتك عليَّ، ومن أجل من . . . ؟ من أجل فتاة تعرفها منذ بضعة أشهر .

اقتربت منه وامسكته من ياقته وزاد انفعالي وقلت له صارخًا :

-كيف تجرأت أن تفعل ذلك بها ؟ وكيف وصلت إليها ؟ لِمَ فعلت كل هذا . . . ؟

بعد يدي عنه وقال بثبات:

-كنت اختبرها لك، وطلعت رخيصة لا تستحقك .

ازداد غضبي وقلت له وأنا أهم بلكمه:

-هي ليست رخيصة هي ذهبت معك لأنها كانت تظن أنك أنا ، وإن وافقت على تلك الفعلة فذلك لأنها تحبني واعطتني الأمان، ولكن هي قالت لي أنك من أجبرتها على ذلك لا هي . . .

نظر لي جواد بعد ما لكمته وقال لي متعجبًا :

-أحقًا تلكمني من أجل فتاة ! يااا اه لهذه الدرجة نسيت ما فعلته من أجلك . . .

-لِمَ اذيتني في حبيبتي . . . ؟

-كنت أريد مصلحتك .

لم أتحمل كذبه عليَّ، انفعلت بجنون ولم أشعر بنفسي إلا وقمت بلكمه مرة أخرى وقلت له:

-توقف عن الكذب يا خائن .

ولكنه قام بدفعي فسقطت أرضًا . . .

تمالكت نفسي ووقفت من جديد ، وقمت بدفعه بقوة فارتطم في الحائط فاستغللت سقوطه أرضاً ، وهرعت إلى المطبخ وجلبت سكينًا ، عندما التفتت رأيته خلفي يحاول أن يمنعني من الانقضاض عليه، حللت قبضته عني وصرت أؤشر له بالسكين، فقال لي متعجبًا :

-هل تريد أن تقتلني من أجلها . . . ؟

-بل أريد أن أقتلك كي ترتاح في قبرها ، أنت لم تظلمها هي فقط بل ظلمتني أنا أيضاً ، سوف أجعلك تموت وتكون نهايتك مثل نهايتها التي تسببت بها .

هرعت تجاهه بجنون وقمت بطعنه في رقبته بقوة، حينها فقت رأيت صديق عمري ملاقى أرضاً غارق في دمه، سقطت أرضاً بجواره باكيًا نادمًا على ما فعلت . . . لم أتوقع أبدًا أن أقتل صديق عمري، ولكن أقسم أن هناك قوة خفية تمكنت مني تسببت في ما فعلته، الآن أنا فقدت حبيبتي وصديق عمري بل وبهذه الجريمة فقدت حياتي تمامًا ، هربت من الاسكندرية وأردت الهرب إلى القاهرة ولكن الظروف

رمتني هنا إلى هذا البيت المهجور الذي ظهرتي لي به يا عجيبة، ها قد حكيت لكِ ما مررت به هل يمكنكِ مساعدتي . . .

***

الفصل السادس

الاستنتاج

نظرت فريدة إلى فارس بأسى وقالت له:

-نعم يمكن . . .

وهنا انتقلت فريدة إلى عالمها الاخر، يبدو أن الوقت قد انتهى.

***

ها هي فريدة تفكر في فارس، وتفكر كيف سوف تساعده في ورطته، ومن ثم قالت في قرارة نفسها:

-كيف سوف اساعده . . . ؟ ولكن أكيد سوف أجد طريقة لمساعدته، الله أرسلني إليه كي أنقذه، ولكنه قاتل . . . ! وعليه أن يسلم نفسه للعدالة.

آه، أنا محتارة جدًا أحتاج أن أرتاح قليلًا عقلي يؤلمني من هذه المغامرة.

يد شاب تقترب من فتاة ذات شعر طويل أسود ها هو يقترب أكثر فأكثر، ومن ثم تلتفت الفتاة ويكشف عن وجهها . . .

إنها فريدة، والشاب يضع يده على كتفيها ويبكي لها بحرقة:

-صديقيني أنا لم أقتل، صدقيني . . .

أرجوكِ ساعديني . . .

فريدة تسأله بلهفة:

-كيف أساعدك . . . ؟

صوت الشاب يبتعد عنها وهو يقول لها :

-كوني مكاني . . . ساعديني . . .

ساعديني يا عجيبة . . .

***

فاقت فريدة من نومها وهي تحاول أن تلتقطت أنفاسها ، تحاول أن تمسح وجهها بيدها كي تزيل عن نفسها أثر هذا الكابوس . . .

فاقت فريدة من تفكيرها وأردفت:

-ولكن يمكن ما رأيته ليس كابوس، يمكن أن تكون هذه رسالة، ولكن ما معناها ؟

ماذا عليَّ أن أفعل . . . ؟

قامت فريدة من سريرها وأردفت بتنهدت:

-آه يا ربي، ما هذا الذي اقحمت به نفسي . . . !

جهزت فطورها ومن ثم احتست كوب النسكافية الخاص بها ومن ثم جال بخاطرها

كلام أمها :

-الكلام يا صغيرتي في بعض الأحيان يأوّل كما هو من دون تفسير .

لمعت فكرة في بال فريدة وقررت تنفيذها وقالت في قرارة نفسها :

-يبدو أني سأبدء مغامرة جديدة اليوم، مغامرة في حياة فارس ولكن سأراها بنفسي

لن استمع إليه مجددًا ، معروف أن الموقف يختلف من شخص لآخر أثناء السرد ،

وأحيانًا يتغافل المرء عن بعض التفاصيل، أريد أن أرى بنفسي لكي أعرف كيف

أساعده بحق .

مصر–شبرا–عام 2010 في شهر ديسمبر اليوم السادس عشر، ها هو الجهاز قد نقلها لبيت فارس، طبعًا الجهاز لا يحتاج سوى ابسط التفاصيل ويفهم ما يجول بالخاطر ويتكفل بمعرفة التفاصيل، هي لا تعرف سوى موعد هروبه من بيته وأن اسمه فارس، وكان هذا كفيل لهذا الجهاز.

لا داعٍ للتركيز على الجهاز، فلنركز على ما رأته فريدة . . .

***

عمارة كبيرة تتكون من 12 طابق، وها هي فريدة في الدور التاسع و العاشر، ان شقة فارس تتكون من طابقين أي ما تسمى بالدوبلكس . . .

يتوسط الصالة صينية كبيرة عليها مبخرة ضخمة، قطع شرود فريدة صوت صرخات طفل، اتبعت فريدة مصدر الصوت، كان الصوت يأتي من خلف غرفة مغلقة . . .

اخترقت الباب، لأنها حددت في الجهاز أن تكون روح أي جسد أثيري ليس لها ترددات الجسد المادي الملموس.

رأت طفل في العاشرة من عمره مقيد بالحبال، وأبيه عاكف على ضربه بسوط والأم تقف بجوار الأب تبكي وتمسك به وتقول له:

-أرجوك يكفي هذا يا فتحي، الولد سوف يضيع منا ونحن انجبناه بعد عناء .

رمى الأب السوط أرضًا وقال نادمًا :

-وياليته ما جاء للدنيا ، انه عقاب الرب لي، ومهما أتوب لن يتقبل الله توبتي أبدًا . . .

بسببه حل عليَّ العذاب في الدنيا وسوف أعذب في الآخرة .

كانت فريدة تسمع ولكنها لا تفهم أي شيء مما يقع على مسامعها .

خرجا الأب والأم من الغرفة، ولكن فارس ظل يبكي ويئن وينادي على أمه:

-أرجوكِ يا أمي تعالي، تعالي وحرريني، فكي قيدي يا أمي، يا أمي ألا تسمعيني . . !

ويجهش بالبكاء ، وقامت الأم من سريرها ولكن فتحي مسكها من يدها وقال لها :

-لا تذهبي إليه، أتريدينه أن يفعل كما يفعل كل يوم . . . !

تبكي رحاب وهي تنظر إليه بكسرة:

-ولكنه ولدي، قلبي يتمزق من حزني عليه يا فتحي، لا استطيع سماع بكائه هكذا . . .

-أرجوكِ اعينيني على إكمال ما بدأته، أرجوكِ اتركِ عاطفتك جانبًا كي أستطيع أن اخلصه .

وقفت رحاب تاركة يده وقالت وهي تبكي:

-تخلصه من ماذا ؟ أنت سوف تخلص عليه يا فتحي، سوف تقتل ولدي الذي لي في الدنيا من بعدك .

وقف بجوارها وهم بمعانقتها وقال لها برفق:

-يعني ألا ترين ما يقوم بفعله . . . ! ألا تظني أن ما يفعله غريبًا يا رحاب، هل أنا اتبلى عليه كي أؤذي ولدي ها . . . !

-لا، لم أقصد ذلك، ولكن أكثر من شيخ جاء وقال أنه ليس به شيء، أرجوك رفقًا به يا فتحي .

خرج فتحي يخرج وقام بفك فارس وعندما اقترب فتحي من فارس لفكه همس له

فارس بتشفي وبصوت لا يمكن أن يكون مصدره طفل أبدًا:

-ودع كوابيسك وليالي آلامك ومعاناتك يا فتحي، ولتستعد لنهايتك. . .

فزع فتحي وهم من مكانه ولكنه تمالك نفسه بمجرد ما التفت وجد خلفه رحاب،

سألته برفق وهي تمسح وجهه الذي صار يتصبب عرق بقوة لا تتناسب مع الجو:

-ماذا حل بك يا فتحي. . . ؟

نظر لها بتوتر وحاول أن يتمالك نفسه وقال لها:

-لا شيء يا حبيبتي لا شيء، اذهبي للنوم. . .

نظرت ريحاب بشفقة لأبنها ومن ثم خرجت ولكن قبل أن تخرج اوقفها صوت ابنها

فارس معاتبًا اياها:

-أنتِ لا تحبيني، أنتِ لا تفكرين سوى في زوجك الذي يؤذيني، لِمَ لا ترحميني من أذاه

وتأخذيني ونعيش من دونه، انه ظالم، انه يعذبني، لا يحبني. . .

التفتت أمه وقالت له برفق:

-لا بل يحبك يا ولدي، انه والدك، هل رأيت أب يكره ابنه . . . ؟

-نعم رأيت هو يكرهني ولا يحبني، وأنتِ كذلك لا تحبيني لأنك تسمحي له بمعاقبتي على لا شيء .

مسحت رحاب على شعر فارس وقالت لي مطمئنة إياه:

-كل شيء سيكون على ما يرام يا ولدي، لا تقلق .

مر الوقت بدون حدوث أي شيء فقررت فريدة أن ترى ما سوف يحدث بسرعة قصوى مع تخطي الوقت الذي مر بدون أحداث، ولكن فجأة أوقفها صوت ارتطام شيء في الصالة، حينها هم فتحي من نومه وكان يمسك في يده اليمنى مصحف وفي اليد اليسرى سبحة، وعندما وصل رأى أن الفازة قد كسرت بدأ يتمتم بذكر الله وهو يقترب من غرفة فارس ويقوم بفتحها ، ولكنه تفاجئ بأن فارس نائم . . .

فأغلق الباب على فارس ومن ثم التفت . . .

ولكن وثب رعبًا عندما رأى فارس خلفه، وعينيه حمراء تمامًا وينزف منها دمًا وهو يؤشر بيده تجاه فتحي ويرفعه في الهواء . . .

فتحي استمر في ذكر الله ولكن فارس كان يضحك ويقهقه، ويقول متهكمًا :

-هل تظنه سوف يحميك . . . قد فات الآوان .

وقام برميه بقوة في الجدار المقابل في الصالة وسقوطه على السفرة وكسرها من قوة الارتطام .

هنا قامت رحاب مهرولة للخارج مفزوعة وقالت صارخة:

-ماذا يحدث هنا ؟

التفت لها فارس بعينيه الحمراوين وقام برفعها في الهواء ، فزادت من صراخها وهي تتوسل له:

-أرجوك اتركني يا فارس، أنا أمك التي تحبك .

دفعها فارس وجعلها تثبت في الحائط وقال لها بصوت أجش:

-توقفي عن الصراخ لن يسمعكِ أحد .

حينها فجأة هجم فتحي بكامل قواه على فارس وانقض عليه .

وبدأ يتمتم بذكر الله ويعلي صوته أكثر وأكثر، ولكن هذا زاد من غضب فارس أكثر، فدفعه بقوة وصرخ صرخة هزت أرجاء البيت وقال:

-توقف، قلت لك لن يساعدك أحد ، لن يحميك أحد مني .

هنا نظر فتحي لرحاب وقال لها نادمًا :

-قلت لكِ يجب أن تتخلص منه قبل فوات الأوان، انه لعنة، لعنة الشيطان . . .

قام فارس برفعه عاليًا أمام باب الشرفة وقال له بتهكم:

-بالفعل قد فات الأوان، وقد حان أن اتخلص منك . . .

وقام بدفعه تجاه زجاج الشرفة ورميه من عل .

ومن ثم قام برفع أمه عاليًا وحاول أن يرميها ولكن أمه بدأت في التوسل إليه باكية وقالت:

-فارس حبيبي أنا أمك، أمك التي تحبك لا تفعل بي هكذا ، سوف أفعل لك ما تريد و . . .

ولكنه بدأ يقترب منها وهو يقول لها بغضب:

-ولكني لا أحبكِ يا من سببتِ في دمار حياتي قبل أن تبدأ .

اجهشت أمه في البكاء وقالت له غير فاهمة:

-ماذا فعلت أنا يا فارس كي تقول لي هذا الكلام !

ولكن فجأة شعرت أن الكلام لا يجدي نفعًا معه فبدأت بترتيل آية الكرسي وقالت بصرخة يا رب .

كانت تلك الكلمة كفيلة أن تسقطها أرضاً وتفقد الوعي . . .

من ثم عاد فارس لفراشه وهو ينظر للسقف بعينيه الدمويتين، ومن ثم اغلقها ، وفي ذات اللحظة فتحها ، ولكنها كانت عادية تمامًا ، شعر بالعطش، فقرر أن يقوم كي يشرب، قام وهو يتألم من أثر الضرب على جسده، ولكن تفاجأ بأن غرفة والديه مفتوحة ولم يجد أمه ولا أبيه، ولكن بمجرد أن مر في الصالة وجد أثر تكسير وأمه ملقاة أرضاً ، بدأ يبكي وقال متمتمًا :

-ان هذا الرجل ضرب أمي مثل ما يضربني، أنا سوف أهرب ولن أعيش معه ثانية .

وبالفعل ها هو فارس نزل الشارع فوجد الناس ملتفين تحت عمارته، ولكنه لم يكترث فقرر فقط أن يهرب بلا رجعه .

ها هي فريدة تتبعه وتقول في قرارة ذاتها :

-يبدو أنك لست سهلًا أبدًا يا فارس كما توقعت، سأظل ورائك للنهاية كي أعرف كيف سوف تكون نهايتك .

***

ها هي فريدة تجعل الوقت أمامها يمر بسرعة كي تعرف كل ما مر به فارس بأقصى سرعة قبل انتهاء وقتها .

فارس بالفعل قد مشى كثيرًا إلى أن وصل إلى تلك المواسير الكبيرة، بالفعل وجد هناك قط أسود يداعبه ومن ثم دخل الماسورة كي يتحامى من البرد القارس، وها هو يتحدث ولكن إلى من . . . !

إن فارس يتحدث مع نفسه . . . ! لا وجود لجواد من الأساس . . . !

ها هو فارس يمر في السوق وهو الذي يسرق، ومن ثم يجلس على الرصيف ويأكل ويتحدث مع ذاته . . .

فريدة جعلت الوقت يمر بسرعة أكبر كي تصل لليوم التالي حيث تم الاختطاف . . .

ان من تم اختطافه كان طفل سمين لا يمت بصلة لملامح فارس أي أن لا وجود لجواد وأن جواد لم يكن معه في بيت المعلمة سماح.

ها هو فارس بمفرده يسرق . . .

مرت السنين تمر، وفارس يتحدث مع نفسه في الغرفة لا وجود لأحد معه.

فارس هو من يستغل المعلمة سماح، هو الذي يدخن وهو من يتعاطى المخدرات وهو من يزني، لا وجود لشخصية جواد التي اختلقها كي يختبئ من عيوبه وراءها . . .

فارس هو من سافر بمفرده للاسكندرية وهو من كان يتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات.

وفارس هو من اعتدى على الضابط، لا وجود لجواد في أي موقف من المواقف.

وبالفعل هو من أخذ ياسمين وفعل بها تلك الفعلة القذرة.

ولكن ياسمين هي التي قتلت نفسها بالفعل، فارس أمامها مصدوم غير مصدق ما تفعله .

من ثم قررت فريدة تريد أن تتأكد من اخر شيء وهي قتل فارس لجواد . . .

ها هو فارس في البيت يتجادل مع نفسه، وها هو يقتل بالفعل . . .

ولكن . . . انه ليس جواد . . . انه مجرد قط أسود دخل عندما فتح باب الشقة . . . !

بمجرد أن رأى الدم هرب نادمًا ولكن لَم هو نادم انه مجرد قط ليس جواد .

فريدة ترى اللحظات الاخيرة لفارس بأقصى سرعة، هرولته باكيًا وصلاته وهربه وركوبه القطار وبالفعل هو لم يدفع اجره لأنه كان نائم، وها هو ضرب مسؤول التذاكر وهرب .

ان فارس مضطرب حقًا . . . !

من ثم دخل البيت المهجور وها هو ذات القط الأسود ذا العيون الخضراء المائلة للصفرة ينقض عليه فيفقد وعيه .

ومن ثم رأت نفسها معه ولكنها تجاوزت تلك المحادثة الطويلة وتوقفت عند كلمة:

-نعم يمكنني مساعدتك يا فارس . . .

فارس يهم ناهضاً باكيًا ويقول لها كيف . . . ؟ فريدة نظرت أرضاً ومن ثم تنفست الصعداء وقالت لفارس:

-أنت لم تقتل جواد . . .

نظر لها بتعجب ومسح دمعه وقال:

-كيف . . . ؟ ان دمه لطخ يدي . . .

نظرت فريدة لفارس بجده وقالت له بكامل قواها :

-لم تقتل جواد لأن جواد ليس له وجود من الأساس .

ابتعد عنها فارس وقال لها :

-هل تظنين اني مجنون . . . ؟ صدقيني أنا قلت لكِ كل ما مررت به في حياتي .

حاولت فريدة أن تقترب منه وقالت له بهدوء :

-أنا اصدقك يا فارس، أنت قلت لي ما تعتقده أنت في ذهنك، ولكن كما تعلم أنا قلت لك أني سوف أساعدك ورجعت بالزمن ورأيت حياتك بأم عيني، لا وجود لجواد، كنت أنت وحدك طوال هذا الوقت، جواد مجرد شخصية في خيالك . . .

أبعد فارس فريدة عنه وبدأ يغلق أذنه وهو يقول لها بانفعال:

-توقفي، توقفي، أنا لست واهم، أن جواد حق صدقيني . . .

أخذت فريدة في الاقتراب منه وازالة يده عن اذنه وها هو بدأ ينزل أرضاً من قوة الصدمة فبدأت تهمس له:

-فارس، أنا معك، بجوارك وسوف أساعدك كي تكون بخير، الله ارسلني لك كي أساعدك، يمكن الله جعل أبي يوصي أمي أن ادرس الطب النفسي من أجلك . . . !

أنت مصاب باضطراب وهامي، انت تختلق مواقف وشخصيات ليس لها وجود، أحياناً نختلق شخصية تعوضنا عن شعور نفتقر إليه في حياتنا، بعض الاطفال لديهم الصديق الوهمي أو الخيالي، ولكن سرعان ما نخرج من هذا الوهم للواقع ونكون

صداقات في الواقع، فقدانك لاهلك وبعدك عن الناس وانفرادك بذاتك جعل مرضك النفسي يتمكن منك .

-صدقيني جواد كان معي دائمًا .

-اصدقك، واصدق كل مشاعرك، ولكن عليك أن تصدقني، وان تسلم نفسك للشرطة .

نظر لها فارس بدهشة متسائلًا :

-لماذا اسلم نفسي للشرطة . . . ؟ أنتِ قلتِ لي اني لم أقتل جواد وياسمين ماتت منتحرة . . . ؟ ما الذنب الذي اقترفته كي أذهب للسجن . . . ؟

قالت فريدة وهي تنظر لعينيه وعينيها تترقرق بالدمع:

-لأنك قتلت بالفعل . . . ؟

-لم اقتل أحد أقسم لكِ . . .

واجهش بالبكاء، فقالت له وهي ترفع رأسه كي ينظر لها :

-بل قتلت، قتلت والدك . . .

صدم فارس وقال بدهشة:

-أنا قتلت والدي . . . ! ان والدي هو من كان يعذبني وأنا هربت من شدة قسوته .

-لا بل هذا ما سولت لك به نفسك، أنت من اذيته وهو كان يفعل ذلك من أجل أن يخلصك من شيطان نفسك .

مسح فارس دمعه وقال متعجبًا :

-شيطان نفسي . . . ! لا أفهم ما تقولينه .

جلست فريدة أمامه وامسكت يده وقالت له:

-كما تعلم أغلب العرب عندما يجدون أحد تصرفاته صارت شاذة أو غريبة أول ما يخطر في بالهم هو الشيطان والسحر وكفى، يلجأون إلى الدجالين ولا يخطر في بالهم العلاج النفسي .

-يعني أبي كان يضربني ظنًا منه اني ممسوس . . . ؟

-هذا ما كان يظنه . . .

-ولِمَ ظن هذا . . . ؟ ماذا كنت أفعل له . . . ؟

-كنت تحرك الأشياء وتدمر البيت وتلعب بأبيك مثل الدمية وغير ذلك الكثير . . .

-أحقًا هذا ما كنت أفعله . . . ؟

-هذا ما رأيته بعيني .

-ولكن هل بالفعل المرضى النفسيين قادرين على تحريك الأشياء عن بعد

هكذا . . . !

-العلم أثبت أن هنالك بعض الأشخاص لهم قدرات فائقة يتحكمون بالقوانين

الفيزيائية فيصيرون قادرون على جذب الأشياء ورفعها عن بعد .

-يعني أنا قاتل وسارق . . . ! لا أريد أن أعيش أريد أن أموت .

-لا تقل هذا يا فارس، بل قدم نفسك للعدالة واحكي ما حكيته لي بالضبط

وبالكشف الطبي سوف يثبت مرضك العقلي، أنت لا يجب أن تموت، يجب أن

تذهب لمستشفى الأمراض العقلية، وتتخلص من مرضك النفسي وتتعافى وتبدأ من

جديد .

-ولَم ابدأ من جديد ، لا يوجد لي أحد في هذه الحياة، لا يوجد لي دافع للبقاء هنا ، لا يوجد أبدًا .

ومن ثم خبأ رأسه بين ذراعيه وانكمش واجهش بالبكاء ، قامت فريدة برفع رأسه وقالت له هامسة:

-لا ، بل سأكون أنا معك، وسأكون بجوارك إلى أن تتعافى .

نظر لها فارس ومسح دمع عينه وخرج من البيت وقدم نفسه إلى أول قسم شرطة وبمجرد أن دخل القسم طلب أن يقدم بلاغ، وبالفعل دخل للضابط فسأله وهو ينفث سيجارته بغضب :

-أين بطاقتك . . . ؟

ارتجف فارس ومن ثم تمتم قائلًا :

-ليس لدي بطاقة، والبلاغ هو، أريد أن ابلغ عن نفسي، وعن تاجرة بالبشر، وتاجرة مخدرات .

قام الضابط بإطفاء سيجارته ووضع يداه الاثنان تحت ذقنه وقال له:

-يااااه، كل هذا، تفضل احكي . . .

-ولكن أرجوك يا باشا أن تجعلني احكي لك كل شيء ولا تقاطعني وأن تصدقني ويمكنك أن تتأكد من صدق كلامي بعد الانتهاء . . .

قام الضابط بطرق المنضدة بقوة:

-لا تشترط عليَّ يا روح أمك، أنا هنا من اعطي الأوامر . .

هز فارس رأسه ايجابًا ثم قال له:

-حاضر يا باشا ، سوف احكي، أنا هربت من أبي في طفولتي لأنه كان يعنفني وعندما هربت تعرضت للخطف من عصابة الاتجار بالبشر وعلموني أنا وأطفال آخرين السرقة، وكانت البنات ببلوغهن يعملن في الدعارة، يمكنني أن أقول لك عنوان المعلمة سماح في امبابة شارع . . . بيت رقم . . .

وبمجرد ان جئت إلى هنا سكنت في بيت في سيدي جابر بواسطة المعلمة قدرية التي عرفت فيما بعد أنها تاجرة ووسيط في تجارة المخدرات .

أوقف الضابط كلام فارس وقال له:

-وكيف عرفت أنها لها في تجارة المخدرات . . . ؟

-سوف أشرح لك يا سعادة البيك في البداية أريد أن أقول لك عنوانها في سيدي جابر شارع . . . البيت رقم . . . كي تتأكد من صحة كلامي يا باشا .

ما سأقوله لك لن تصدقه ولكني أريد أن أرتاح من هذا العبأ الذي اجتاح قلبي وصدري، وأريد كل واحد يأخذ جزائه .

أنا عرفت أن المعلمة قدرية أنها تاجرة مخدرات من صديقي جواد .

قام الضابط بإشعال سيجارة وقال لي:

-ومن هو جواد وأين هو . . . ؟

ابتلع فارس ريقه وحاول أن يتمالك قواه وقال:

-جواد هو من كان يتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات، هذا ما كنت اظنه .

-ماذا تعني بهذا الذي كنت تظنه . . . ؟

-سوف أشرح لك يا باشا ، كنت أبيت في بيت مهجور وأنا هناك ظهرت لي من حيث لا احتسب فتاة، عبارة عن طيف، سألتها من هي قالت لي أنها من المستقبل،

حكيت لها قصتي وطلبت منها المساعدة، فرجعت بالزمن ورأت حياتي واكتشفت ما لم أكن أعرفه، قالت لي لا وجود لصديقي المقرب جواد، واني أنا من كنت أسرق مع المعلمة سماح لا مجرد من كنت أساعد جواد، وأنا من كنت أتاجر وأتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات، وقالت لي أني قبل ما أهرب في طفولتي أنا من تسببت في انتحار والدي ولكني كنت أظن اني هربت فقط هربًا من بطشة وقسوته، وكي تتأكد من وقوع حادث الانتحار سوف أذكر لك يوم هروبي في السادس عشر من ديسمبر عام 2010 اسم والدي هو فتحي عبد السلام، هي تقول أن الحادث صار في نفس اليوم.

نظر له الضابط بتعجب وتسأل:

-من الذي قالت لك . . . ؟

-عجيبة يا باشا .

طرق الباشا على المنضدة بقوة وهم واقفًا وقال بغضب:

-هل أنت تتعاطى مخدرات يا روح أمك . . . ؟ يا أمين .

دخل أمين الشرطة فهم الضابط امرًا إياه بحزم . . .

-خذ هذا المخبول إلى الزنزانة، إلى أن تتأكد من صحة ما قاله .

قام الأمين بالتحية وقال:

-تمام يا فندم .

وهم بسحب فارس من يده ومن ثم نادى عليه الضابط فقام فارس بالتفات إليه:

-أقسم لك إن لم يكن ما ذكرته لي صحيحًا لسوف أجعلك تهلوس بالفعل من شدة التعذيب لن تحتاج بعدها أن تتعاطى مخدرات مرة أخرى يا ابن ال . . .

قام الأمين بسحبه وقال متمتمًا وهو يجر فارس:

-توقفوا عن تعاطي هذا السم يا ولاد الحرام . . .

***

فارس صار في الزنزانة وخر على الأرض، لا يدري ماذا فعل بنفسه، يسأل نفسه:

-كيف سمحت لها أن تلعب في عقلي وأن أصدقها ، قالت لي سوف تساعدني، بل هي استغنت عني ورمتني في الجحيم، ليس بيدي سوى أن أقول يا رب ساعدني .

بعد ساعة واحدة فقط جاء الأمين وفتح الزنزانة ونادى:

-فارس فتحي عبد السلام . . . !

قام فارس ببطئ من شدة التعب وقد سيطر عليه اليأس وقال:

-نعم، أنا فارس .

هم الأمين بسحبه بسرعة وقال له بحزم:

-هيا تعالى معي سعادة الباشا يريدك .

دخل فارس وهو مطأطئ رأسه فقال له الضابط بنبرة مختلفة جعلت فارس يرفع رأسه متعجبًا :

-اجلس يا فارس، لقد قمت بعدة اتصالات، وتمكنت القوات في القاهرة القبض على المعلمة سماح ومن معها ، وتمكنت القوات من القبض على المعلمة قدرية في الإسكندرية، وتأكدنا من انتحار والدك بالفعل، وهذا يثبت صدق كلامك، بالنسبة لشهادتك على المعلمة سماح وقدرية تم اعتبارك شاهد ملك، وبالنسبة لانتحار والدك بشهادة الجيران يقولون انه رمى نفسه لم يسقطه أحد وتلك الفعلة كانت في

صغرك ولكن لا يضر أن يتم عرضك على طبيب نفسي وان تمم اثبات مرضك النفسي سوف تؤهل للعلاج في المصحة، اغلق المحضر يا ابني .

يا أمين اطلب له الطبيب النفسي .

ومن ثم خرج فارس من الغرفة وهو غير قادر على استيعاب ما يحدث له . . .

ومن ثم دخل غرفة أخرى كي يتحدث مع الطبيب النفسي سمع صوت يعرفه جيداً . . . التفت لصحاب الصوت بلهفة .

كان الصوت صوت فريدة تقول له بلهفة:

-ألم أقل لك . . . أن الله ارسلني إليك كي أساعدك .

همس لها:

-كيف فعلتِ ذلك . . . ؟

ظهرت كطيف أمامه أشار لها وهو يحملق عينيه . . . فضحكت وقالت له:

-لا يراني سواك لا تقلق .

سألها بتعجب:

-كيف تفعلين ذلك . . . ؟

قالت له بابتسامة مبسطة الأمر:

-كله في هذا الجهاز .

طبعا قراءي الاعزاء لا تتعجبون من قدرة هذا الجهاز في عام 2038 ها نحن ذا في عام 2022 ويمكننا في الواتس اب أن نجعل الحالة الخاصة بنا تظهر لشخص والاخر لا، لذا لا داعٍ للتعجب من اعدادات التكنولوجيا أبدًا .

اووووه، دعوني أكمل لكم ما جرى، ما دخل الواتساب الآن .

اكملت له فريدة وقالت:

-لقد تلبست الضابط وقمت بالاجراءات بأقصى سرعة، أنت تعرف بطئ الموظفين، وأنا ليس لدي وقت في مغامرتي يا فارس، وأنا من طلبت بإحالتك لطبيب نفسي وصدقني الطبيب غير الضابط سوف يصدق كل شيء تتفوه به، احكي، لأن كل ما تحكي أكثر يتم التشخيص أفضل .

نظر لها فارس بامتنان وقال لها:

-أشكرك يا عجيبة .

هنا صدر صوت الطبيب النفسي عندما ظهر في الغرفة وقال:

-احم احم، تفضل يا فارس، احكي لي ما مررت به .

هنا بدأ فارس يحكي للطبيب النفسي وتم احالته لمصحة نفسية، عرفت فريدة اسمها ولم يسعها الوقت أن تكمل معه بقية اليوم .

***

عادت فريدة إلى يومها العادي تشعر وهي تشعر بالتعب ولكن يجب أن تذهب للجامعة ضروري .

عادت للبيت مساءً وزاد ارهاقها أكثر فنامت نوم عميق، نامت وهي مرتاحة جدًا بعد أن تمكنت من اكمال رحلتها ومغامراتها مع فارس .

***

الفصل السابع

العودة من جديد

فتاة طويلة وعريضة ذات شعر كستنائي طويل واقفة في مكان شبه مظلم، تمسك رقبتها وتئن، فريدة تقترب منها تحاول أن تساعدها، التفتت إليها الفتاة مسرعة، وسحبت السكين من عنقها وبكت بهستيريا وهي تمسك السكين وتوّشر به لفريدة وتقول:

-لم اقتل نفسي . . .

صدقي فارس . . .

صدقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان . . .

ومن ثم تلاشت صورتها وصوتها ما زال يتردد صداه . . .

-خلصيه من الشيطان . . . خلصيه من الشيطان . . . الشيطان .

***

قامت فريدة من نومها وقد وثب قلبها من هول الكابوس . . .

أخذت كأس الماء من جوارها واجترعت ما به من ماء وقالت بتعب:

-آه يا رب وأنا كنت أظن أن موضوع فارس قد انتهى يبدو أن الموضوع قد عاد من جديد .

كتب فريدة التاريخ الذي وصل فيه فارس للمصحة النفسية، طبعًا فريدة عندما ترغب أن تزور فارس ويتذكرها يجب أن تكتب تاريخ أول لقاء لهما فما بعد ، أي تاريخ قبل ذلك إذا رأها فارس لن يعرفها ، فهي تكمل ما بدأته، وتكمل حيث توقفت .

ها هو فارس مقيد في السرير ويطير في الهواء ويصرخ ويقول:

-أنت وهم، أنت غير موجود ، لا أحد يراك، إذن أنت غير موجود ، سوف اتخلص منك، لن أدعك تسيطر عليَّ، ابتعد عني . . . ابتعد .

هم الطاقم الطبي يهرع من جديد إلى فارس وقاموا بحقنه، يبدوا أن هذه النوبة تكررت معه من قبل .

وقفت فريدة تتسأل متعجبة:

-ما تلك الحالة التي يمر بها فارس . . . ؟ لمَ كل فترة في حياته بأعراض مختلفة . . . ؟

وهل بالفعل هو يرى جواد الآن حقًا . . . ؟

أووه تلك الفتاة التي تشبهني التي أظنها ياسمين قالت لي عليَّ أن أصدق فارس، وأمي تقول الكلام في المنام حق .

أمسكت فريدة رأسها وقالت:

-اااه ماذا عليَّ أن أفعل . . ؟ يارب ساعدني الهمني .

هنا سمعت تمتمة فارس الأخيرة قبل أن يدخل في سبات نوم عميق، أنا لا أراك حقًا . . . أنت . . . وهم . . . وهم .

هنا التمعت فكرة في بال فريدة وقالت:

-لا يوجد أحد يرى جواد سوى فارس فقط، معنى هذا اني إذا تلبست فارس سوف أراه . . . لمَ لا أجرب . . . ! كما تلبست الضابط وتحكمت به لما لا اتلبس

فارس وأرى الحقيقة من منظوره هو . . . كي أفهم جميع جوانب الموضوع يجب أن أراه من الجوانب كلها بالفعل .

ها هي فريدة تقترب من فارس واستجمعت قواها وقررت اختراق جسده و تمكنت فريدة من تلبس فارس، وفتحت عيني فارس ولكن بمجرد أن فتحت عينيه رأت أمامها صورة طبق الأصل من فارس، ولكن يوجد فرق علامة شعله على رقبته، وكان يضحك ضحكة شيطانية وقال هامسًا :

-نهايتك اقتربت يا فارس، أوه أقصد يا فريدة، نهايتك اقتربت أنتِ كذلك إن اصررتِ على الاقتراب من فارس .

ومن ثم قهقه ضاحكًا ثم اختفى . . .

هنا لم تستطع أن تلبث أكثر من ذلك، قررت فريدة الخروج من جسد فارس بل وقررت الانسحاب من هذه المغامرة وخرجت مسرعة، قامت لاهثة خائفةً، متسائلةً:

–ماذا عليَّ أن أفعل الآن . . . من هو هذا الجواد . . . ؟ ما هي حقيقته . . . ولمَ يريد أن يتخلص من فارس . . . ؟

هل انسحب أم أكمل . . . ؟ ولكن حياتي معرضة للخطر .

قررت فريدة أن تذهب للجامعة ولكنها كانت شاردة الذهن، عقلها يفكر في فارس، وتتذكر صراخه ورفضه حقيقة جواد . . . اقنعته أن جواد وهم، ولكنه حقيقة .

ولكن كيف يكون حقيقة ؟ إذا كان حقيقة ولا يراه سوى هو ماذا يعني هذا . . . ؟

هذا لا يعني سوى شيء واحد انه . . .

انه . . . شيطان .

ما هذه التخاريف يا فريدة . . . ! أتصدقين هذه التخاريف والماورائيات . . . !

أنتِ شابة عالمة دارسة، لا تستندي إلا للعلم وكفى .

يمكن سيطر عليَّ تفكير فارس فرأيت ما يراه من شدة التفكير في جواد . . . !

نامت فريدة في المحاضرة الثالثة غصب عنها ، ان تلك المغامرات تؤثر على عقلها بشدة .

نفس الصوت يتردد في الظلام:

صدقي فارس . . .

صدقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان . . .

فاقت فريدة من نومها على صوت الدكتور وهو ينادي عليها :

-فريدة، فريدة . . . ! هذا ليس مكان للنوم .

التفتت فريدة فرأت كل من في القاعة يضحك عليها ، اعتذرت للدكتور وقالت له:

-أنا متعبة قليلًا يا دكتور اعذرني .

وقررت الخروج من المحاضرة، ومن ثم عادت إلى بيتها متعبة وما زال الصوت يتردد في أذنها :

-صدقي فارس، صدقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان .

-أصدق فارس . . . !

بالفعل بدأت أصدق فارس بعد ما رأيت ما يحدث له من خلال عينه لا من منظوري أنا ، ولكن عليَّ أن أتأكد من المواقف التي حكى لي عنها ، ولكن في هذه المرة سوف أكون أنا بداخل عين فارس كي أرى ما يراه .

كتبت فريدة تاريخ لقاءها بفارس ومن ثم حددت أن تكون طيف غير مرئي ولا محسوس ومن ثم تلبست فارس وقامت بنسخ كل ما رأه فارس منذ صغره إلى هذه اللحظة من عينيه إلى عدسة عينها ، ومن ثم عادت إلى بيتها .

قامت بنقل كل التجربة المخزنة على الجهاز إلى هاتفها وها هي تقوم بمشاهدة حياة فارس من وجهة نظره .

تخطت الكثير وتوقفت عند المهم أو ما ذكره لها فارس بالتحديد .

فارس بالفعل طفل ذا عشر سنوات يحاول ليلًا الهرب عندما لم يجد أباه ورأى أمه ملقاة أرضاً .

وبالفعل فارس يرى طفلًا يشببه وبالفعل يقوم بكل ما ذكره .

وجواد هو الذي يسرق . .

جواد هو الذي يتعاطى مخدرات ويتاجر بها ويزني .

فريدة اوقفت المشاهدة وتعجبت، ومن ثم سألت نفسها بصوت مرتفع:

-ولكن كيف يا فريدة . . . ؟ كيف الآن عندما رأيت من خلال عين فارس رأيت كل ما قاله لي بالفعل، وهذا معناه أن فارس ليس مريض نفسي ولكن كيف ؟

أنا عندما رأيت المشهد من منظوري أنا لم يكن هناك وجود لجواد، فارس من يفعل الأمر، فارس يتحدث مع ذاته . . . !

هذا بالفعل ليس له إلا تفسير واحد، تفسير لا يتناسب مع عقليتي، ألا وهو . . . لا، لن أتعجل في تحليلي للأمر .

ياسمين جاءت لي في المنام وقالت لي: "عليَّ أن أصدق فارس وفتحي" .

الآن أنا قد صدقت فارس وعليَّ الآن أن أصدق فتحي .

جاءت فكرة في بال فريدة ألا وهي العودة بالزمن إلى ما قبل انتحار فتحي . . .

قالت فريدة في قرارة نفسها : "أنا رأيت الموضوع من ثلاث جوانب . . . الجانب الأول الحقيقة الغير كاملة أي ما يعلمه فقط فارس والجانب الثاني هي الحقيقة التي رأيتها

بعيني أنا وهي التي لا يعلمها فارس والجانب الثالث هو وجود جواد التي لا يراه سوى فارس، لم يتبقى سوى الجانب الرابع للموضوع وهي نظرة فتحي للموضوع، أكيد سوف أصل لطرف الخيط الذي سوف يصلني لحل . . .

أمي قالت أن الكلام في المنام حق، يجب أن اتبع التعليمات، يجب أن اتبعها . . .

لن أخاف من جواد ولا من تحذيره .

هنا بدأ ضوء غرفتها في التذبذب وبدأت تشعر برجفة بسيطة، فقالت فريدة بثقة وهي تهم بإخراج سلسلة أمها المنقوش عليها لفظ الجلالة الله في نجمة سداسية وقالت بقوة:

-لقد رباني أبي على عدم الاستسلام وعلى عدم الخوف .

ومن ثم كتبت تاريخ قبل هروب فارس، ها هي وصلت الشقة وما زال البخور يملأ الجو، كان الوقت ليلاً وها هي تسمع صوت بكاء رجل قادم من أحدى الغرف . . .

اخترقت الغرفة، فرأته منكمش ويبكي نادمًا . . . ويقول:

-يا رب ساعدني على التخلص من هذا الشر الكامن به، يا رب أنا أعلم أني وحدي من سوف اتمكن من تخليصه لأني وحدي الذي تسببت في كل هذا .

ولكنك لا تريد أن تتوب عليَّ بسبب ما فعلت، أرجوك ساعدني وخلصني من عذابي .

هنا قررت فريدة أن تظهر له وقالت له برفق:

-أرجوك لا تفزع مني، أنا جئت للمساعدة .

وقف مكانه وقال وتمتم:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

قالت له بلين كي تهدأ من روعه:

-حسنًا هيا بنا نقولها سويًا ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ها أرأيت لم احترق . . . أنا من الإنس لا من الجن، ولكني جئت من المستقبل كي أنقذ ابنك، ابنك يتعذب وجواد يريد أن ينهي حياته .

نظر لها فتحي باستغراب وسألها :

–من هو جواد . . . ؟

–جواد هو شاب يشبه ابنك فارس .

ومن ثم حكت فريدة الحكاية من جديد إلى فتحي وفهم وقال باكيًا :

–ان الشيطان هو من وهبني فارس ويريد أن يأخذه مني، كنت أريد ابن سند لي، ولكن بمجرد قدومه كان لعنة حياتي .

نظرت له فريدة باستغراب وسألته:

–الشيطان هو من وهبك فارس . . . !كيف هذا . . . ؟ أنا أعلم أن الله هو من يهب كل شيء لا الشيطان .

بكى فتحي وخر أرضاً وقال:

–الله، الله لن يرضى عني بعد ما فعلت . . . الشيطان يا بنيتي قادر أن يفعل لكِ كل شيء بمجرد أن تؤمني به وتسجدي له وتكفري بالله . . . الله يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك به . . . وأنا لم أشرك فقط بل كفرت . . . لم ألجأ للرب بل لجأت للشيطان .

فصارت حياتي جحيم بسبب الشيطان في الدنيا . . . وستكون جحيم في الآخرة بسبب عدم رضى الرب .

نظرت له فريدة وهي لا تفهم شيئًا وسألته:

-لا أفهم شيئًا لِمَ لجأت للشيطان . . . ؟

-السبب هو . . .

ولم يكمل كلامه وبدأ البيت في الارتجاف والضوء في الاهتزاز وصوت ضحك مخيف قادم من غرفة فارس، وها هو قد قام بكسر الباب وقام برفع أبوه عاليًا وها هو يذكر الله ولكن قواه تزداد أكثر، ولم يخر فارس واقعًا إلا بعد أن لفحته أمه بمفرش منقوش عليه آية قرآنية، ذلك المفرش شل حركته تمامًا .

وأنا بمجرد أن سمعت صوت فارس في البداية خفيت نفسي، وها أنا أتابع ما يحدث، فتحي يقوم من على الأرض، ويقول لرحاب أن تحمل فارس لسريره، وجلب هو الحبال وقام بتقيده، ولكن حينها كان فارس في حالته العادية ولكن أبيه فتحي بدأ في ضربه وهو يقرأ القرآن، وفارس يستنجد بأمه وما حدث أنتم تعرفونه جيدًا .

قررت فريدة العودة لحياتها ومن ثم ترددت وقالت في قرارة نفسها :

-لا ليس لدي وقت للراحة يجب أن استغل ما تبقى من وقت هذه الرحلة في معرفة الحقيقة، يجب أن أعرف ما فعله فتحي ولِمَ . . . ؟

قررت فريدة أن توقف الزمن، وتلبست فتحي، وقررت أن تنسخ ذاكرة فتحي من عدسة عينيه على عدستها الخاصة بأقصى سرعة .

خرجت مسرعة من جسد فتحي ورجع الوقت وخرجت من التجربة تمامًا .

عندما عادت للواقع سقطت أرضًا وفقدت الوعي .

يبدو أن التجربة أثرت عليها إلى أقصى درجة هذه المرة من هول وكمية المشاهد التي قامت بنسخها على عدستها التي تشكل لها ذاكرتها المؤقتة .

وبمجرد أن فاقت أمسكت رأسها كانت تشعر بالدوار، قامت بتوصيل جهاز السفر عبر الزمن لاسلكيًا بنقالها لمست خاتمها وعرضت كل الملفات على الشاشة المنبثقة أمامها .

كل ملف يحمل يوم من أيام فتحي . . .

قررت فريدة أن تتغيب عن الجامعة وذهبت لكي تعد كوب النسكافية الخاص بها ومن ثم بدأت بأول ملف بأقصى سرعة وتتوقف عند المشهد المهم وكفى، ومن هنا بدأت.

***

الفصل الثامن

الشيطان

في عام 1996 في شهر يوليو ها هو فتحي يجلس على كورنيش النيل مع شابة في العشرينات من عمرها ، انها طويلة وعريضة وشعرها متوسط الطول وفاحم اللون، ملامحها تشبه فريدة ولكن غلب عليها الطبع البلدي بسبب طريقة كلامها وكانت ترتدي عباءة سوداء ضيقة وحجاب غير مربوط يغطى نصف شعرها وملطخة شفاها بأحمر شفاه، فتحي يجلس بجوارها يأكل الترمس ويبدو أنه في اواخر العشرينات . . .

قالت له وهي تمصمص شفتها :

-ألن تتقدم لي يا فتحي . . . ؟

قام فتحي بوضع قرطاس الترمس جانبًا وأردف متأففًا :

-آه بدأنا في اسطوانة النكد يا عليا . . ؟

-لست نكد يا فتحي ولكني سأمت من وضع العشاق هذا واللقاء من حين لآخر خفية، كل ما في الأمر اني أريد أن أكون لك .

-وأنا أريد ذلك بل وأكثر ولكن ليس بيدي حيلة، وأنتِ تعلمي أني لا أريد سواكِ .

-نعم أعلم أن قلبك لا يريد سواي، أنت لي أنا وحدي وإن قررت أن تكون لغيري حياتك ستصبح جحيم .

فتح فتحي قرطاس الترمس وبدأ يأكل منه وهو يقول متهكمًا :

-حياتي ستصير جحيم أكثر من الذي أنا به . . . !

ضربته برفق وقالت له:

-ألا تكف عن المزاح يا فتحي، يا فتحي أنا مرتبطة بك منذ ست سنوات ولم تخطي خطوة للأمام، إلى متى سأنتظر . . . !

رمي فتحي قرطاس الترمس في النيل ونظر بغضب لعليا وقال لها :

-ماذا تريدينني أن أفعل لكِ . . . ؟ يعني ان رأيتيني اتصنع الضحكة في وسط الهم نكدتِ عليَّ، تكفي الدنيا عليَّ يا عليا ، ماذا كان بيدي أن أفعل ولم أفعله قولي

لي . . . ؟ مرتبي الذي اخذه من وقفتي في المحل طوال الشهر يكفي خروجنا سويًا وايجار الشقة التي أعيش بها مع أهلي .

-بيدك يا فتحي، بيدك، أنت وسيم .

-وسيم . . . ! أول مرة أعرف أن الرجل يمدح لوسامته، وماذا سوف أفعل بوسامتي، أتريديني أن أمشي على حل شعري وأبيع شرفي . . . ! يا ليت، ولكني رجل، لا فائدة من وسامتي .

نظرت له عليا بمكر وابتسمت وقالت:

-لا بل يمكنك أن تستغل وسامتك وتأكل الشهد .

نظر لها فتحي مستغربًا وأردف بصوت مكتوم من الحيرة:

-لا أفهمك يا عليا . . . ! فهميني . . . !

-رحاب . . . !

رسم ملامح الغباء على وجهه وتسأل:

-رحاب من . . . ؟

-رحاب الذي تعمل عندها في المحل، صاحبة السوبر ماركت الموجود في عمارتها .

نظر لها فتحي واشاح نظره عنها ونظر للنيل وقال ساخرًا :

-يعني رحاب سوف تترك كل من يريدها وسوف ترضى بي أنا . . . ؟

-لا تعطيها أكبر من حجمها يا فتحي، هي أكبر منك أولًا وعمرها الآن ثلاثين وأرملة بعد عشر أعوام من الزواج بالمعلم صلاح الذي كان يكبرها بثلاثين عامًا .

بينما أنت تصغرها ، هي لم تعش شبابها يا فتحي، بل اشتراها رجل في عمر والدها ودفن شبابها ، والآن هي محرومة من الزوج منذ عام، العب على مشاعرها بحجة الحب، سوف تلين لك أنت، من يتقدم لها كلهم رجال متزوجين ومعهم أولاد فلا يهمهم ان كان بها عيب الانجاب أم لا، لأنهم لديهم أولاد في الأساس الكل يريد أن يمتص شبابها ويتمتع بها ، بينما أنت ستكون المختلف عنهم، أنت الشاب الوحيد الذي تجرأ على حبها وما يميزك عن بقية الشباب أنك وسيم، هي من ستطمع بالاستمتاع بك وأن تعوض نفسها بك عن حرمانها .

نظر لها فتحي باستغراب وسألها :

-هل أنتِ بالفعل تحبيني يا عليا . . . !

ضربته عليا على صدره وضحكت ضحكة متصنعة:

-طبعًا أحبك، وهل هذا سؤال يا فتحي . . . ؟

نظر لها فتحي بجدية وسألها:

-كيف تحبيني وأنتِ تريديني أن أكون لغيرك . . . ؟ أنا لا أحب سواكِ ولم تملئ عيني أي امرأة كانت، وان كان من أجل المال لا أريده، أنا لم أخنك في خيالي، أتريدني أن أفعل هذا حقًا . . . ؟

وضعت يدها على كتفها ومن ثم لفتت وجهه تجاهها وقالت له بلين:

-أنا واثقة في اخلاصك لي يا فتحي، لذا قلت ذلك لأني واثقة أنك سوف تنفذ الخطة وكفى ومن ثم نستمتع نحن في العز.

أرجوك اسمع لي يا فتحي، لقد سأمت الفقر والبعد.

أشاح فتحي نظره عنها وقال لها:

-لا أستطيع أن أفعل ذلك يا عليا صدقيني . . .

-ان كنت تحبني بصدق يا فتحي أفعل ما أقوله لك، جربها ، هل بالفعل سوف تميل لك أم لا . . . ؟ وان لم تميل سوف أجعلها تميل بطريقتي .

نظر لها فتحي باستغراب وقال:

-وما هي طريقتك . . . ؟

التفتت عليا ومصمصت شفتها وقال بتهكم:

-لا تتعجل الشيء قبل أوانه، وعلى العموم على رأى المثل ان فشل رجالها ما يتمها إلا نسائها .

نظر لها فتحي متهكمًا :

-لم اسمع بهذا المثل من قبل .

قامت عليا بضربه على كتفه وضحكت وقالت:

-قطيعة تقطعك يا فتحي، اسمع وأنت ساكت .

***

مر اسبوع وفتحي يحاول أن يجذب انتباه رحاب له كل ما تأتي للمحل، لا يتوقف عن النظر لها بإعجاب أو حمل أشياء ثقيلة أمامها مما يبرز من عضلاته وقوته وشبابه، ولكنها لم تكترث له قط، ولكن في نهاية الاسبوع كانت المفاجأة عندما نادت عليه رحاب.

هرول إليها مسرعًا وهو يشعر أنه يطير من الفرحة وكأنه يقول :ريحاب قلبها مال . . .

ولكنها سلبت الابتسامة من وجهه عندما همست له:

-إن لم تتوقف يا فتحي عن تلك الحركات والنظرات لي سوف أقطع رجلك من المحل، ولن يكون لك أكل عيش هنا ، ولكني صبرت عليك لأني أعرف أنك مسؤول عن أهلك، وأنا لا أحب قطع الأرزاق.

حاول فتحي أن يدافع عن نفسه وتمتم متوترًا:

-ولكن يا معلمة أنا . . .

قاطعته رحاب وقالت له بجزم:

-لا لكن ولا غيره، مثل ما أنا لاحظت نظراتك لي هذا يعني أن كل من في المحل لاحظها كذلك، وأنت لا ترضى لي تلويث سمعتي، مثل ما أنا خفت عليك وعلى رزقك، خاف على سمعتي إلا والله . . .

قاطعها فتحي طالبًا منها السماح:

-أنا أسف يا معلمة، توبة يا معلمة، العين لا تعلو على الحاجب، اخر مرة يا معلمة .

ورحل مطأطئ الرأس وأكمل يومه وهو يشعر بالخذلان .

ثم في اليوم التالي أتت إليه عليا وكأنها تشتري شيء ما وسألته هامسة:

-ها سبع ولا ضبع . . . ؟

نظر لها فتحي بلا مبالاة وتمتم:

-كلب .

-ماذا تقصد بكلب . . . ؟

-مسحت بكرامتي الأرض مثل الكلب .

-لا يهمك يا فتحي، اترك الأمر لي .

-ماذا ستفعلين . . . ؟

تركته ورحلت ولم تجبه، وعندما أوشكت على الخروج نظرت لرحاب التي كانت تنظر لها ولفتحي، ومن ثم رحلت .

في اليوم التالي جاءت عليا لفتحي وقالت له:

-ضع ما في هذا الظرف في أي شيء لرحاب كوب ماء شاي قهوة أي شيء ، وادعي لي .

نظر لها فتحي بغباء وسألها هامسًا :

-ما الذي في الظرف . . . ؟

همت خارجة من المحل متمختزة ضاحكةً وقالت بصوت عالي:

-سكر يا سكر .

ومن ثم نظرت نظرة مكر لرحاب ورحلت .

وبالفعل بعد قليل طلبت رحاب شاي وجلبه لها فتحي ولكن قبل وصوله المحل فتح الظرف وتفاجئ فعلًا أن ما بالظرف سكر، لم يهتم وضعه وقلبه وقدمه للمعلمة .

بعد قليل من الوقت، قالت له رحاب بصوت متعب:

-فتحي أنا سوف أعود للبيت أنا متعبة قليلًا .

هم فتحي تجاهها وقال لها بلهفة:

-أتريدين أن أوصلك يا معلمة . . . ؟

-لا انتبه أنت للمحل .

وتحاملت على نفسها وصعدت، ظلت رحاب لا تنزل للمحل لمدة أربعة أيام، ولكن في اليوم الخامس جاءت المحل وهنا صدم فتحي لما رأه .

رحاب خلعت عبائتها السوداء وارتدت فستان وردي وحجاب وضع على رأسها كاشف عن شعرها وكانت متبرجة، رحاب كانت بيضاء جدًا واسعة العينين جميلة ذات شعر حريري كستنائي، هم فتحي ووضع لها الكرسي وهلل لها :

-نورتِ المحل يا معلمة، المحل كان مظلم من دونك والله .

ضحكت رحاب ولأول مرة يرى فتحي ضحكتها بالفعل:

-يقطعك يا فتحي ألا تتوقف عن الكذب أبدًا . . .

هنا فتحي لم يتوقف عن الكذب بل قلبه الذي توقف وقد خلع من مكانه بعد ما رأى ضحكتها التي زادتها فوق الجمال جمالاً . . .

ولكن سرعان ما طقطقت رحاب اصبعيها كي يفق من شروده:

-فتحي، ما بك شارد هكذا . . . ؟

فاق فتحي من شروده وتلعثم في الكلام وقال:

-أخاف أقول لك السبب يا معلمة تقطعي رجلي من المحل، وأنتِ تعلمي انه مكان أكل عيشي .

نظرت له رحاب برفق وقالت له:

-قل ما تشاء يا فتحي، أنت لك معزة خاصة في قلبي .

هنا تسمر فتحي مكانه، يشعر أنه يحلم، كيف لرحاب أن تكلمه هكذا، هنا شعر انه في السماء وطاقة القدر قد فتحت له .

قطعت رحاب شروده مرة أخرى وقالت ضاحكة متهكمة:

-وماذا بعد يا فتحي . . . ؟ هل سوف تقضي اليوم كله شارد وساهم هكذا هيا على أكل عيشك .

ابتسم لها فتحي وقال لها :

-أوامرك يا معلمة .

وها هو فتحي ابتسامته لم تزول عن وجهه وما كان يجعله يبتسم أكثر أن رحاب كانت تبادله نفس النظرات، وبعد المغرب نادت رحاب على فتحي وقالت له:

-فتحي، أنا سوف أذهب لشقتي كي ارتاح قليلًا وأنت بعد أن تنتهي قبل أن تذهب لبيتك مر على شقتي ومعك كشف الحساب وايراد الأيام السابقة .

تعجب فتحي، ليس من عادتها أن تقول لفتحي يمر عليها في شقتها ، ولو على متابعة الأعمال دائمًا تتابع أول بأول وهي في المحل، ولكنه فهم المغزى وقال صيدة سهلة وقرر أن يستغلها .

فتحي صعد إليها وقلبه يطير فرحًا ، صار يتمتم في قرارة نفسه:

-هل السحر هذا لرحاب كي تقع في حبي أم لي أنا كي أعشقها . . . ؟

فتحت رحاب باب شقتها وكانت ترتدي روب حريري بنفسجي وقامت بربطه جيدًا على جسدها مما أبرز معالم جسدها جيدًا، هنا فتحي فتح فاه وقال في قرارة ذاته:

-ما هذه قنبلة الجمال التي أمامي، أريد أن أكلها، آه لو . . .

هنا سمع صوت رحاب قاطعة شروده:

-اتفضل يا فتحي . . .

تمالك أعصابه ونظر أرضًا ودخل الشقة وركبه لم تعد قادرة على حمله، ركبه ترتجف من هول الموقف الذي به، ولكنه تمالك نفسه، وشعر أن الطريق طال كثيرًا، فصار يريد أن يصل إلى أي شيء يجلس عليه قبل أن يخر تحت قدمي رحاب ذائبًا من سحر جمالها .

وأخيرًا وصل، وظل ساكتًا لا يستطيع التكلم وقد عقد لسانه عن الحديث . . .

فسمع صوت رحاب وهي تقول له:

-ماذا تشرب يا فتحي . . . ؟

التفت لها فتحي، ولكنه لم ينتبه ماذا تقول لأن عقله شارد في جمال عيونها . . .

كررت سؤالها بصوت حاني:

-ماذا تشرب يا فتحي . . . ؟

تنحنح فتحي واستجمع قواه وابتسم وقال:

-لا يا معلمة، لا أريد أن اتعبك، هذا هو كشف الحساب وهذا هو الإيراد بالتمام .

-كلمة معلمة هذه في المحل، بينما هنا أنا رحاب .

-لا يصح يا معلمة، العين لا تعلو على الحاجب، أنا أين وأنتِ أين كي ازيل ما بيننا من حواجز .

اقتربت منه رحاب على مهل وجلست بجواره وقالت له بحنو:

-لا يوجد فرق بينا ولا مسافات، كلنا ولاد تسعة .

هنا تصبب فتحي عرقًا وكأنه جبل جليد اقترب منه بركان منصهر فلم يصمد أمامه وذاب .

لم يرد فتحي فسألته رحاب وهي تهم بسحب منديل من على المنضدة الموجودة أمامها وسألته وهي تهم بمسح عرقه ولكن سرعان ما رغب في مسك المنديل فأمسك يدها فنزع يده مسرعًا متأسفًا ولكنها اكملت ما كانت تنوي فعله ألا وهو أن تمسح له وجهه وهي تهمس له بهمس اشبه بالفحيح الملتهب:

--ماذا بك يا فتحي . . ؟ لمَ أنت متوتر إلى هذا الحد . . . ؟

-يا معلمة أصل أنا ، لم أتخيل قط أن أكون معكِ هكذا . . . ؟

-مرة أخرى تقول يا معلمة . . . ؟ اسمي رحاب . . . ؟ أم هو لا يعجبك يا فتحي ؟

-لا يعجبني . . . ! يعجبني ويعجب أهلي، كل ما بكِ يعجب بلد يا معلمة .

من ثم همت رحاب واقفة ومن ثم سألته مرة أخرى:

-ماذا تشرب يا فتحي . . . ؟

هنا فتحي أخذ نظرة لجسد رحاب من اخمص قدميها ورفع نظره لجزء جزء في جسد المعلمة إلى أن رفع رأسه وقابلت نظرته نظرة عينيها ، ومن ثم هم واقفًا وقال لها وهو يمسكها من ذراعيها وهمس لها وهو يحاول أن يقبلها من رقبتها :

-لا أريد أن أشرب إلا حبك، أريد أن أرتوي بعشقك، أريد .

هنا ابعدته رحاب وقالت له بحزم متصنع:

-أجننت يا فتحي، أهكذا تفعل بي وأنا أمنتك على دخول بيتي، أنا ست محترمة يا فتحي، ليس لي في الحرام . . .

اقترب منها وقال لها متذللاً لاهثاً:

-هو أنا أطول منكِ الحلال يا معلمة . . . ؟

نظرت له بمكر ومن ثم ابتسمت وقالت:

-يمكنك أن تنول الحلال والقرب مني إن توقفت عن قول يا معلمة .

طار فتحي من الفرحة وقال بانفعال من شدة الفرحة:

-بل سأتوقف عن ذكر أبوها من أجلك يا معلمة .

ومن ثم قام بضرب ناصية رأسة بكف يده وقال:

-أقصد يا ست الكل، يا ست الحسن يا ست الستات يا . . .

ابتعدت عنه رحاب ضاحكة وقالت:

-يكفي يا فتحي، سوف أذهب وأجلب لنا كوبين عصير وأتي إليك .

هم فتحي وراءها لاهثًا قائلًا :

-عنك يا ست الستات، أنا خدامك، أنا أفعل لكِ ما ترغبي به، كل ما تريدينه

سيكون تحت رجليك، حتى أنا تحت رجلك يا ست هانم .

وبالفعل جعلها تجلس وجاء إليها بكوبي العصير ومن ثم جلس تحت رجلها فقالت له

بحيرة:

-فتحي، قم واجلس هنا بجواري .

ابتسم لها فتحي وقال لها :

-أنا هنا مرتاح أكثر يا ست الكل، مستوى الرؤيا من هنا أفضل .

ومن ثم غمز لها ، فقامت رحاب بضربه على صدره البارز منه عضلاته وقالت له:

-يقطعك يا فتحي، دمك شربات .

نظر لها بشغف وأردف ذائبًا :

-يقطعني، يقطعني مادام من أجلك يا ست هانم، فداكِ كلي يا ست الكل .

من ثم قالت له بصوت حاني:

-هيا نبدأ . . .

هنا لم ينتظر فتحي كي تكمل كلامها وهم واقفًا يريد أن يفتح قميصه، أوقفته رحاب ضاحكة:

-ماذا تفعل يا مجنون . . . ؟

-أبدأ يا ست الكل أنا رهن اشارتك .

-قلت لك في الحلال، أنا اقصد فلنبدأ متابعة العمل .

نزل فتحي تحت قدميها وتوسل لها وقال:

-والنبي يا ست الكل دعيني اجلب المأذون حالًا لا أستطيع أن أنتظر، نار الشوق اشعلت في كل جوارحي .

ضحكت رحاب وقالت له انتظر الغد وسأكون لك .

***

وبالفعل تم الزواج وأخذا اجازة شهر العسل وقاما بتقضية شهر العسل في الإسكندرية ومن ثم عادا للعمل من جديد ، كان الناس يحسدونهما بالفعل على حبهم لبعضهم البعض .

وعندما جاءت عليا للمحل طلبت رحاب من فتحي ألا تأتي للمحل مرة أخرى، لأنها تغير عليه بشدة .

كان يستغل الأيام التي تسافر فيها لأهلها أو متابعة أعمالها ويبقى هو بحجة متابعة أمور المحل وكان يقابل عليا سرًا في الشقة .

كان يقابلها لا من أجل انه ما زال يحبها ولكن من أجل أن يتخلص من ظهورها من حين لاخر .

مرت سنة ولم تحمل رحاب ، ها هي عليا تقول له:

-سحبنا مبلغ ممتاز من المغفلة رحاب .

نظر لها فتحي بإحتقار وقال لها :

-ألا يكفي ما جمعتيه إلى الآن . . . !

نظرت له بغضب وقالت:

-اسمها جمعناه، هذا المال لي ولك يا فتحي، ما بك يا فتحي ؟ لمَ تغير اسلوبك معي، أنا ملاحظة التغيير ولكن تحملت إلى أن أصل لمبتغاي، أقسم لك يا فتحي إن كان ما في بالي صحيح أنت تعلم ماذا سأفعل، أنت لي أنا وحدي وإن قررت أن تكون لغيري حياتك ستصبح جحيم .

قام فتحي من مكانه وقال لها غاضبًا :

-يكفي تهديد ، في كل مقابلة تهد ديني .

همت خلفة وعانقته وهمست له برفق:

-اسفة يا حبيبي، ولكنك تعلم أني أحبك وأريدك لي وحدي .

نزع فتحي يدها عنه وجلس على الكرسي المواجهة لها وسألها بحنق:

-وما هي خطتك التالية ؟

-نتخلص منها .

هنا صدم فتحي وهم واقفًا متوترًا متسائلًا :

-كيف تتخلص منها . . . ؟

هنا اقتربت منه عليا سائلة إياه بتهكم:

-ولِمَ فزعت وتوترت هكذا ؟ أتحبها . . . ؟

أشاح فتحي نظره عنها كي لا تفضحه عيناه وقال محاولًا أن يمتالك أعصابه:

-القصة ليست قصة حب، كل ما في الأمر أنكِ تخططين لجريمة قتل، وهذا أمر ليس هين .

التفتت ووقفت أمامه عليا وامسكته من ذراعه وقالت له:

-ومن قال لك سوف نقتل، بل سوف اتصرف بطريقتي .

هنا سكت فتحي قليلًا ومن ثم قال اقتراح وقد رسم ابتسامة على وجهه:

-لدي اقتراح اخر يا عليا ، لِمَ نخلص عليها الآن ونأخذ فتافيت من الورث، بينما ننتظر إلى أن يكون لي منها ولد ونأخذ الجمل بما حمل .

-والله فكرة يا فتحي، ولا تكون أحببتها يا فتحي . . . ؟

-لا أحب إلا أنتِ والمال فقط .

-إن كان على حب المال موافقة .

ومن ثم عانقته، هنا رأت فريدة أن فتحي يختنق من اثر عناقها له .

تحملت عليا أن يكون فتحي لغيرها لعام اخر على أمل أن ينجب ولكنه لم ينجب قط، كان فتحي لا يبالي بالانجاب مادامت معه رحاب .

في شهر اغسطس في عام1998 أي بعد مرور سنتين على زواج فتحي من رحاب صار مضطر أن يوافق على شرط عليا له، بإنه إن لم ينجب خلال تلك الفترة فلتبدأ هي وتتصرف بطريقتها .

سألها فتحي:

- ماذا ستفعلين وإلى أين تأخذيني معكِ . . . !

-سوف نصل وتفهم كل شيء الآن .

دخلا بيت متهالك في أحدى القرى، بيت ممتلئ بالقطط السوداء، ومزدحم بكثير من الناس مختلفين الشكل والملبس، نظر فتحي لها وسألها :

-ماذا نفعل هنا . . . ؟

همست له:

-ما أريد أن أفعله لا يمكنني أن أفعله بنفسي يجب أن تكون موجود أثناء الطقوس .

ترك يدها وابتعد عنها وقال لها :

-أي طقوس . . . ؟

هنا التفت إليهما الناس، فسحبته من يده للخارج وقالت له وهي تكز على اسنانها :

-لا تفضحني هنا ، اتبعني ولا تسأل كثيرًا لا تجعل غضب الشيخة يسقط علينا .

مر الوقت وها هما فتحي وعليا دخلا غرفة لا يوجد بها أي مصدر للضوء سوى شموع تعكس ظل تلك العجوز على الجدار مما زرع شعور الخوف في قلب فتحي، تتوارى تلك العجوز مشعثة الشعر الأبيض خلف بخور كريه الرائحة، سرعان ما سمع فتحي صوتها فخلعت قلبه من مكانها وزادته فوق الفزع فزعًا :

-اقترب يا ابن سيدة وصلاح، تريد المال والجاه، إليك ما تتمناه، ولكن نفذ ما أقوله لك، وسوف تجد مرادك تحت قدمك .

هنا نظر فتحي بتوتر إلى عليا ، فوكزته كي يتقدم ويجلسا سويًا .

أول ما قالته العجوز الشمطاء بصوتها القوي الذي لا يتناسب مع سنها :

-اخلعا ملابسكما .

هنا اعترض فتحي وفز من مكانه، فأمسكت عليا يده كي يجلس مرة أخرى .

فترك يدها وقال بغضب:

-اجننتِ، من الذي يخلع ملابسه . . . !

هنا ربتت عليا بيدها ع صدرها كي يسمع لها ولكن سرعان ما حول فتحي نظره

عندما سمع صوت الساحرة التي تقول بسخرية:

-أنت من سوف يخلع ملابسه يا ابن سيدة الخدامة وصلاح الحرامي . . .

هنا همست عليا له وهي تقول له برفق:

-أرجوك دعنا نكمل ما بدأناه، لا تجعلها تنزل علينا سخطها .

نظر فتحي للساحرة وهو يخر على ركبتيه وسألها بحيرة:

-ولِمَ أخلع ملابسي . . . ؟ لم أعلم أن السحر لا يتطلب هذا . . . !

قالت الساحرة بغضب وهي تلقي بالمزيد من البخور على الجمر المتلهب:

-علمني عملي يا فتحي .

هنا اقتربت عليا وقالت بخوف:

-اسمع يا فتحي ونفذ أرجوك .

هنا شعر فتحي برجفة في المكان وصارت شعلات الشمع تهتز وانطفئت، هنا ارتعب فتحي، ولكن سرعان ما رأى أمام عينيه نار اشعلت بشدة بدلاً من الفحم، النار صارت تتأجج مثل الجحيم، وعيون الساحرة صارت حمراء وقالت بغضب:

-الآن . . . . قم بالسمع والطاعة .

بدأ فتحي وعليا بخلع ملابسهما وكان فتحي يرتجف وهو يواري عورته وسألها بخوف:

-ولكن لمَ . . . ؟

-تعويذة جلب المال، تحتاج دم عذراء كي يتغير لك الحال .

تمتم فتحي وقال لها بتردد:

-ان هذا الامر لا يحتاج أن أخلع ملابسي، بإمكانك فعل ذلك .

هنا قالت له عليا :

-انسيت أننا سنجرب موضوع الحمل في أنا . . . !

-ولكن، لم أكن أظن هذا . . . !

هنا ارتجفت الغرفة بشدة، وظهر دخان رمادي كثيف، ومن خلف الدخان بدأ يتكون جسد ضخم ذا جلد أسود مثل الفحم وله اجنحة ضخمة مرتفع عن الارض برغم عدم استخدام اجنحته، جسده أشبه بالبشر ولكن بضخامة وجلد بشع، وملامحه كانت مفزعة، عيناه كانت مثل عيون الثعبان ولكنها كانت عبارة عن جمرتين ملتهبتين ينبعث منهما الشر، وأنفه كان مطموس بداخل وجهه، ويخرج من رأسه قرنين أسودين، تصلب كل من فتحي وعليا من شدة الصدمة ولكن سرعان ما وقع على مسامعهم صوت قادم من الجحيم:

-اسجدوا لي يا أولاد أدم، ولكم عندي ما تتمنوه .

هنا تجمد فتحي فزعًا من صوته ومن لسانه المشقوق ومن طلبه أن يسجدا إليه .

ولكن ترددهلم يدم كثيرًا لأنه فجأة اهتزت الغرفة بشدة وبدأت جدران الغرفة في السقوط ولكن سرعان ما تغير المكان إلى مكان أشبه بالجحيم وها هو فتحي وعليا يمسكان ببعضهما على منحرف صخري اسفله حمم بركانية ملتهبه، ها هي عليا تصرخ وتمسك بفتحي وتقول باكية:

-أرجوك، لا تفعل بنا هذا سنسجد لك، سنسجد لك .

في غمضة عين رجعا إلى نفس الغرفة ولم يصب الغرفة أي تغيير، هنا نزلت عليا ساجدة وقبل أن تسجد سحبت فتحي كي يسجد معها ، وبالفعل قد سجد .

بمجرد أن رفعا رأسهما من السجود لم يكن للكيان الشيطاني وجود .

هنا قامت الساحرة من مكانها واقتربت من عليا التي كانت ترتجف خوفاً من شكلها ، ومن ثم مدت انبوبة زجاجية في فرج عليا بقوة كانت كفيلة أن تصرخ عليا صرخة مدوية ومن ثم كتمت ألمها عندما أخرجت الساحرة الانبوب منها ومن ثم تكلمت الساحرة وقالت بلهجة آمرة:

-ابدأ في جماعها ، الآن .

-لا أستطيع . . .

ارتجفت الغرفة واهتز ضوء الشموع إلى أن اطفأ تمامًا ، ومن ثم اضرمت النار فجأة، من ثم . . . . لا شيء . . .

عليا قامت وارتدت ملابسها وفتحي كذلك .

-ما هذا . . . ! يوجد شيء حدث لم يره فتحي بعينيه .

يجب أن أعود بالزمن وأكون أنا طرف خارجي وأرى بنفسي .

صرخ فتحي بقوة ورجع ظهره للخلف وكأن شيء قد تلبسه ومن ثم رجع لوضعه ببطئ وفتح عينيه بسرعة فكشفت عن جمرتين ملتهبتين، وهم بمعاشرة عليا بوحشية وعليا تصرخ ولكن صراخها زاد أكثر عند بدأت تشعر أن اللهيب قد صب بداخلها صبًا ، كانت قوة صرختها كفيلة أن تفقدها الوعي، وها هو فتحي جسده يلقى أرضاً وكأنه خاوي تمامًا من أي روح.

وها هي الساحرة تقترب ومعها قطعة قماشية تمدها بداخل عليا الفاقدة للوعي، تخرجها مبللة ومن ثم بإشارة منها فاقا عليا وفتحي وهما يشعران بدوار رهيب فأمرتهم الساحرة بارتداء ملابسهما .

ونظرا للساحرة التي كانت تكتب تعويذة بذلك الدم، وكانت تتمتم بكلمات لم يفهماها قط ومن ثم قالت لفتحي:

-بهذه التعويذة ستكون رحاب خاتم في اصبعك يمكنك أن تكتب لك كل أملاكها بكامل ارادتها .

نظر لها فتحي متعجبًا :

-كل أملاكها من هذه التعويذة . . . ! يعني هذا لا داعِ لفكرة الحمل من الأساس .

يعني لا يوجد داعي أن أجامع عليا كي نجرب الفكرة من الأساس .

نظرت له الساحرة بتهكم وقالت له ساخرة:

-ابنك في رحمها الآن .

نظر فتحي بصدمة وقال:

-ابني . . . ! أنا لم أفعل شيء .

-بل فعلت، لقد استخدمك لوسيفر كوعاء له، لا يوجد نكاح بين الجن والأنس إلى من خلال التلبس ببشري .

قالت عليا بصوت متألم:

-أشعر بنار في رحمي .

قالت لها الساحرة بلا مبالاة:

-انه ماء فتحي ولكن بقوة وحرارة لوسيفر .

قال فتحي معترضاً :

-ليس ابني، أنا لم أفعل شيء .

قالت الساحرة بنبرة رخيمة وهي تكمل كتابة تعويذتها :

-بالفعل انه ليس ابنك لأنك عقيم، ولكن ما قلته أن الماء مائك أنت، لديك حيوانات منوية ولكن وجودها مثل عدمها ، ضعيفة، ولكن بقوة سيدنا تم الحمل .

ابتعد فتحي وهم يحاول الهرب وهو يقول بذعر:

-انه ليس ابني، انه ابن الشيطان، ابن الشيطان .

ولكن الساحرة أوقفته ورفعته عن الأرض وقالت:

-إذا خرجت الآن لا يوجد أحد سوف يخسر سواك .

ومن ثم قامت برميه بقوة على الأرض في أحدى زوايا الغرفة .

هنا نظرت له عليا بغضب وقالت له:

-أنا فعلت ذلك لأني أعلم أنك خسيس سوف يأتي يوم وتتركني وتأخذ كل شيء لك وحدك، لذا قررت أن يكون بيني وبينك هذا الطفل كي يكون له ما سيكون لك .

أنت تعلم جيدًا أني يمكنني أن أجعلك تخسر كل شيء ، هذه الساحرة تكون عمتي ويبدها أن تحول حياتك جحيم .

يمكنني مثل ما جعلت رحاب تحبك يمكنني أن أجعلها ترميك رمية الكلاب .

إن أردت أن تفوز بمالها فسوف أفوز به معك، وإن قررت أن تبعد عني، سأجعلك تخسر رحاب وتكون كلب تابع لي .

هنا حاول أن يقوم فتحي وهو يشعر بالذل وكأنه في وكر عصابة تمكر به، ومن ثم قالت له الساحرة:

-اسمع يا فتحي خذ هذه التعويذة وأجعلها تبيت في رحم زوجتك ليلة كاملة .

توتر فتحي وسأل:

-وما فائدتها . . . ؟

-ما بداخل هذه اللفافة سيجعل زوجتك تحمل منك ولكن ضعه بداخلها بعد الانتهاء من الجماع وبعد أن تجعلها تشرب هذا المسحوق في أي مشروب .

-ما هو هذا المسحوق وما فائدة الانجاب ما دام ستكون مثل الخاتم في اصبعي فلأنقل كل أملاكها بأسمي وكفى . . . ؟

-هذا المسحوق ستكون به مثل الخاتم في اصبعك ولكن من قوة السحر الذي سوف يجري في جسدها بسببه سوف تفقد الوعي فاستغل أنت هذا الوقت وضع هذا العمل بداخل فرجها طوال الليل وسوف يتحقق مرادك .

وفكرة الانجاب منها من أجل شكلك أمام الناس، أتريد الناس يتلسنون عليك بأنك الرجل الذي تزوج من أجل أن يستغل زوجته وينقل كل أملاكها لصالحه . . . !

أم تكون أمام الناس غير مستغل بل محظوظ بإنك رزقت بطفل منها فصارت أملاكها لك وحدك والوفاة قضاء وقدر، ولكن قضاء وقدر وأنت غير مستغل أمام الناس أفضل بكثير .

نظر فتحي وهو مصدوم وقال:

-كيف تفكران هكذا . . . ؟ كيف . . . ؟

نظرت له الساحرة بحزم وأشارت له بسبابتها :

-أحذرك، لا تلعب مع عليا ، نفذ ما تريده منك وكفى .

أومأ فتحي برأسه وأخذ عليا وخرجا .

وبالفعل عاد فتحي، وكان العرق من شدة التوتر يملأ وجهه، نظرت له رحاب متعجبة فسالته برفق وهي تقترب منه:

-ما بك يا فتحي، لِمَ أنت شارد هكذا . . . ؟

سرح فتحي في عينيها البريئتين ولعن نفسه مليون مرة على وقاحته وحقارته لأنه يستغلها من ثم فاق من شروده عندما شعر بلمسة يدها على خده وهي تكرر سؤالها ، فأخذ يدها من على خده وقبل باطنها ومن ثم قال لها هامسًا وعينيه تحكي أنه نادم على ما فعله وما سوف يفعله بها ومن ثم رسم ابتسامة زائفة وقال لها برفق:

-متعب بعض الشيء يا حبيبتي بسبب سفري اليوم لمتابعة موضوع أرض السادس من اكتوبر، كنت أعرضها على مشتري ولكنه غير رأيه .

نظرت له بلين وهي تمسك كلتا يديه وسألته بصوتها الحاني:

-أهذا ما يعكر مزاجك إلى هذا الحد . . . ؟

فضحك لها وقال لها وهو يهم بالنهوض:

-وكيف لمزاجي أن يعكر مادمتِ معي .

وهم برفعها وحملها على كلتا يديه فضحكت رحاب ومن ثم نفذ بالفعل ما طلبته منه الساحرة .

لم يستطع فتحي النوم من شدة تأنيب الضمير، يسمع صوت نابع من داخله يطلب منه ألا يكمل اخر جزء من الخطة، وهو أن يقتل رحاب بعد أن تنجب بفترة ويتزوج بعدها عليا بفترة أخرى.

ينظر لرحاب الراقدة بجانبه، يمسح على شعرها الحريري، ويفكر ويتردد، محتار يتذكر عليا التي كان يحبها ولكنه تشكك في حبه لها هل حقًا كان يحبها بإرادته أم كان تحت تأثير سحر ما . . . ! هناك صوت بداخله يقول له انه يحب عليا، ولكن ما فعلته اليوم جعله يتردد، شعور مؤلم جدًا أن يشعر المرء انه تم اجباره على شيء. شعور مؤلم أنك مجبور أن تكمل مع أحد، كان من الممكن لفتحي أن يكمل مع عليا ولكن شعوره أنها تريد ذلك بالاجبار جعله ينفر، إلا الحب والزواج لا يمكن أن يكون بالإكراه أبدًا، إذا صار الحب أو الزواج بنسبة واحد في المئة بالإجبار تصير الحياة جحيم.

وبالفعل مع ظهور شمس النهار خرج فتحي العمل من فرج رحاب، ولكن بمجرد أن أخرجه منها فاقت من نومها مفزوعة فقام فتحي بمواراة العمل في يده وباليد الأخرى قام فتحي بضمها مهدءًا إياها .

سألها فتحي وهو يمسح على شعرها :

-ما بك يا حبيبتي . . . ؟

قالت رحاب لاهثة تحاول أن تلتقطت أنفاسها :

-كابوس يا فتحي كابوس .

بدأ فتحي يمسح على شعرها ويقول لها برفق:

-لا تقلقي يا حبيبتي، أنا بجانبك لا داعِ للخوف ما دمت معكِ .

خرجت رحاب من حضنه وقالت له بنظره فزع:

-لقد رأيت وحش بشع المنظر كان . . . كان يجامعني . . . كنت أصرخ ولكن صراخي كان مكتوم، إلى أن شعرت أن لهيب يصب بداخلي، حينها لم أتحمل الألم فصرخت بشدة وتمكنت من الخروج من هذا الكابوس .

حاول فتحي تهدأتها وتركها كي تنام وترتاح وقام ورتب نفسه كي يباشر أعماله .

هنا كانت فريدة تنظر لهذا المشهد وتقول في قرارة نفسها :

-يبدو أن ما مرت به رحاب حدث أثناء خروج العمل منها ، العمل خرج منها في ثواني ولكن في عالم الأحلام والروح الثواني تعني الكثير .

بدأت فريدة تتجاوز الوقت سريعًا إلى أن جاء المغرب ظلت تتبع فتحي إينما ذهب ولكن سرعان ما رأت فتحي راكب سيارته وفي نهاية الشارع كانت هناك عليا تقف، وأشارت له أن يقف، قال لها بتردد وهو يرد عليها من نافذة السيارة:

-عليا اعذريني، لدي مشوار ضروري، أرجوكِ اجلي حديثك إلى أن انتهي من عملي .

نظرت له بمكر وبثقة وقالت له:

-أنا من أحدد يمكن أن نتحدث أم لا، ولن أخذ من وقتك الكثير لأن في الأول والاخر عملك هو عملي، المنفعة تصب لي في النهاية .

تنفس فتحي الصعداء وسلم أمره وقال:

-ماذا تريدين يا عليا . . . ؟ اسمعك .

هنا التفتت عليا وقامت بفتح باب السيارة وقالت بثقة وهي تهم بالجلوس وفتحي ينظر لها باستغراب:

-سوف نتكلم في الطريق .

ومن ثم قالت وهي تبتسم ابتسامة صفراء وهي تهم بلمس وجه فتحي وقالت بصوت أشبه بالفحيح:

-اشتقت إليك يا فتحي، اشتقت إليك كثيرًا .

التفت فتحي وبدأ في قيادة سيارته ومن ثم تمتم في شرود :

-وأنا اشتقت إليكِ .

ظل فتحي شارد يسمع لعليا ولكن بدون انتباه، ويومأ برأسه مع بعض التمتمة، سألته عليا بفضول:

-ما هو العمل التي سوف تذهب إليه الآن يا فتحي . . ؟

لم ينتبه لها فتحي فكررت سؤالها فنظر لها وقال بشرود:

-أنا . . . كنت أريد أن أمر على أرض رحاب الموجودة في السادس من أكتوبر

وهناك سوف يقابلني أحد .

ومن ثم جالت في خاطرة فكرة فضرب رأسه وقال بابتسامة متصنعة:

-أقصد أرض دمنهور هناك مشتري يريد أن يراها ، لذا يكفي هذا وسوف أجعلك

تعودين لبيتك كي لا تقلق عليكِ أمكِ يا عليا .

نظرت له عليا بلا مبالاة وهي تتنفس الصعداء ببرود :

-لا تشغل بالك بأمي، هي تعلم اني يمكن أن أتأخر في العمل، ولكن هذه المرة سوف

أقول لها أن العمل كان كثير عند الست هانم وتعبت وقمت بالبيات هناك .

ومن ثم نظرت بقوة وقالت:

-طول ما أنا كاسرة عينها ، ليس لها حق أن تلومني .

التفت لها فتحي في ثواني محاولًا إقناعها بالعودة:

-ولكن أمكِ مريضة وسوف تقلق عليكِ ولها حق أن تطمئن و . . .

زاد غضب عليا وقالت بتهكم وحنق:

-لها حق عليَّ، لا يوجد أحد له حق عليَّ، أبي الذي رماني ولا أعني له شيئًا ولا كأني قطعة منه، ولا أمي التي بمجرد أن شب عودي وأنا مطحونة في العمل كخادمة في البيوت لأنها لا تقدر على فعل شيء، لم يكن أحد في يوم مسؤول عني، بل أنا المسؤولة عن كل شيء، لذا لا يوجد أحد له حق عليَّ، وهيا أنا معك ورجلي على رجلك في القادم متى أشاء .

صمت فتحي عما وجد أن لا فائدة من إقناعها أو التملص منها، ولكنه بعدما سرح قليلًا جالت في خاطرة فكرة أخرى فأبتسم ابتسامة بسيطة على طرف فمه،

فنظرت له عليا باستغراب وقالت له:

-ماذا يجول في خاطرك يا فتحي . . . ؟

فاق فتحي من شروده وقال بتوتر:

-لا، لا شيء يا حبيبتي .

فسألته عليا بتعجب:

-ولكن يا فتحي ماذا سوف تفعل فور أن تصل دمنهور . . . ؟ لأننا سوف نصل في وقت متأخر .

رد عليها فتحي وهو منتبه للطريق:

-أريد في بداية الأمر أن أمر بحارس الأرض ومن ثم كان يجب عليَّ أن أمر على بيت الحاج رجب وسيقوم بضايفتي، أنتِ تعلمي أهل دمنهور أهل كرم .

نظرت له عليا بلا مبالاة:

-للحق لا أعلم .

نظرت له عليا باستغراب وقالت له:

-ولكن الوقت متأخر يا فتحي، كيف سيراها . . . ؟

قال فتحي بلا مبالاة:

-الرجل ليس له وقت سوى الآن، هو حر .

قالت عليا بثقة:

-حسنًا يا فتحي خذني معك وسأظل في السيارة .

-ولكن لو رأكِ الرجل .

-لا تقلق، رحاب لن تفعل لك شيء .

وصلا أمام الأرض المحاطة بسور وعليه لوحة توضح ملكية رحاب لها .

هنا لم تتمالك عليا نفسها عندما وقفت أمام سور الأرض وقررت الخروج من السيارة، فخرج وراءها فتحي وهو ينادي عليها بتعجب:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا عليا . . . !

وقفت عليا بشموخ وقالت بكبرياء وثقة وهي تلتفت لفتحي:

-أريد أن أرى أرضي هل تمانع . . . !

هنا ابتسم لها فتحي وقال لها:

-لا أمانع أبدًا، كل هذا الذي نحن فيه بفضل عقلك .

ومن ثم التفت فتحي وفتح السيارة، هنا نظرت له عليا وسألته:

-ماذا تفعل يا فتحي . . . ؟

رد عليها وهو منحني كي يجلب شيء من السيارة:

-أجلب السجائر فقط يا حبيبتي .

ومن ثم التفتت عليا وظلت تنظر إلى اللوحة المعلقة على سور الأرض وهي تتخيل اسمها بدلًا من اسم رحاب، ومن ثم وهي تلتفت كي تقول لفتحي:

-لا تبيع هذه الار . . .

لم تكمل كلامها من هول صدمتها مما رأت أمامها ، فقالت بذعر:

-ما هذا الذي في يدك يا فتحي . . . !

نظر لها فتحي بتهكم وقال لها:

-ألا تعلمين ما هذا يا عليا . . . ؟

هنا ترددت عليا وبدأت تتراجع إلى الخلف وهي تنظر إليه نظرة توسل:

-أعقل يا فتحي، ماذا جرى لك، أنا عليا حبيبتك . . . !

قال فتحي بتردد وهو يقترب منها:

-حبيبتي . . . ؟ كنتِ حبيبتي إلى أن ظهر وجهك اللئيم الطماع يا عليا ، لا أدري هل بالفعل أحببتك أم جعلتيني أحبك . . . !

هنا بكت عليا وقالت بندم:

-أقسم لك لم أقم بأي شيء كي تحبني، حبنا صادق يا فتحي، أرجوك لا تجعل الشيطان يدخل بيننا وينسيك حبنا .

هنا ضحك فتحي بسخرية:

--شيطان . . . ! شيطان يدخل بيننا . . . !

وقهقه ضاحكًا بهستيريا وسقط على ركبتيه من شدة الضحك التهكمي، ومن ثم رفع رأسه ونظر إليها بكره وقال لها :

-شيطان يدخل بيننا . . . !

من ثم قام واقترب منها وهو يقول:

-بسببك جعلتيني أسجد للشيطان .

هنا اعترضت عليا وقالت بغضب وتبجح:

-الآن ترمي اللوم كله عليَّ يا فتحي . . . ! ألم تسجد له بسبب طمعك ورغبتك في المزيد من المال . . . !

هنا تذبذب فتحي وأمسك برأسه وقال بغضب:

-كله من وراء رأسك يا ابنة الشيطان، لم أفكر في يوم لا في مال ولا غيره، بسببك أدخلتني في دوامة ليس لها مخرج ورحاب ضحية طمعك وجشعي .

هنا اقتربت عليا ونظرت له بشر وقالت له:

-يعني تغيرك عليَّ بسبب رحاب . . . ! هل أحببتها يا فتحي . . . ؟

نظر لها فتحي وقال لها وهو ينظر لعينيها :

-نعم أحببتها ، أحببت براءتها ، انها ملاك، ليست مثلك .

ومن ثم التفت ومسك رأسه وقال والدموع تنزل من عينه:

-لقد خدعت بكِ، كنت أظنكِ ملاك ولكن حقيقتك أنكِ لا تختلفين عن الشيطان شيئًا .

هنا قالت عليا بتبجح لفتحي وهو يبكي:

-يعني الآن كرهتني، وتريد أن تقتلني يا فتحي . . . ! تقتلني أنا وابنك .

ثار فتحي ودفعها أرضاً فسقطت صارخة متألمة من قوة الدفعة واقترب منها فتحي مأشرًا إليه بالمسدس ذا كاتم الصوت وقال:

-ليس ابني، بل انه ابن شيطان، سوف أخلص العالم منكِ ومن بذرة الشيطان التي بداخلك.

هنا نظرت له عليا بثقة وعلى ثغرها ابتسامة وقالت:

-صدقني يا فتحي إن لم تكن لي أنا سوف تتحول حياتك إلى جحيم.

قال لها فتحي وهو يهم بالضغط على الزناد وقال ببرود وهو يمسح دمعه باليد الأخرى:

-لن تحولي حياتي جحيم لأني سوف أخلص عليكِ الآن.

نظرت له عليا بتهديد وتوعد وقالت له بعينين تقاد شرارًا:

-استعد لجحيم حياتك.

-الجحيم هو أن أكمل معكِ ايتها الشيطانة.

ومن ثم قام بإطلاق عليها جميع رصاصات المسدس، فرغ الرصاصات في عقلها وقلبها وبطنها التي تحمل شيطان بداخلها ومن ثم هم بالحفر بكلتا يديه إلى أن جرح اصابعه، كان يبكي بحرقه لا يدري لِمَ يبكي . . . ! أكيد لا يبكي عليها ولكن يبكي على حاله الذي صار عليه، بسببها سجد للشيطان وخسر رضا ربه وسرق وقتل وخدع، يبكي ندمًا متمنيًا أن لم يكن يعرفها قط .

ومن ثم بعد أن دفنها . . . قام ب . . .

قالت فريدة في قرارة نفسها :

-هذا يكفي لا داعي لكي أكمل القادم واضح .

لذا قررت فريدة التوقف عن المشاهدة ومن ثم ها هي قامت من سريرها تمسك رأسها متعبة مما رأت ومن ثم أعطت أمر للروبوت بتجهيز قهوة كي تفق قليلًا وتجمع أفكارها .

ها هي ترتشف قهوتها وهي تنظر لحديقة بيتها من عل .

قررت أن تجلس في الهواء الطلق .

كثرة الضغط عليها من كثرة الرسائل والكوابيس التي تراها اتعبتها قليلًا . . .

نزلت على الدرج وهي تكمل فنجانها ومن ثم طلبت من الروبوت فنجان اخر كي يجلبه لها في الحديقة .

ها هي فريدة تتمتم في قرارة نفسها :

-يعني ما رأيته الآن يدل على أن الطفل الذي مات في رحم عليا هو جواد أخ فارس .

-يعني استنتاجي من تجربتي مع فارس أنه يوجد جزء فارس لا يدري عنه شيئًا وأنا تأكدت بنفسي من وجود جواد في حياة فارس فقط، هذا معناه أن الأساس في أغلب الأحداث هو جواد لا فارس، أوه، أقصد أنه جسد فارس ولكن جواد هو المتحكم به وفي عقله، لذا فارس لا يدري شيء عن كل ما كان يقوم به .

وبالفعل من يسرق ويزني وبقية تلك الأمور كان هو جواد وحده، ان فارس ما هو إلا قالب لجواد .

ومن ثم يقوم جواد بنسخ أحداث معينه وكأنها مشتركة لهما سويًا أمام الناس، لا وجود لتلك الاحداث إلا في عقل فارس .

لا وجود لجواد وفارس سويًا سوى بمفردهما ، غير ذلك هو جواد من يقوم بالشر كله، بينما فارس يقوم بالخير فقط، اما مجرد افكار تجول في خاطره يزرعها جواد ، اما ظهوره بالفعل لفارس كي يتعلق به ويجرجره لفعل ما هو خاطئ .

ان جواد كان منذ البداية يزين الشر ويغوي فارس بكل الطرق ولكنه لم يغوى أبدًا .

أغواه بلذة السرقة وخفة اليد وكثرة المال، ولكنه لم يقبل أن يستمر في حياته في كونه محتال، زين له الشهوة والزنى ولذة المتعة والانتشاء بالمخدرات ولكنه لم يحب أبدًا حاله هكذا ، الشيطان يحاول معنا بأكثر من طريقة، طريقة اغوائه لكل منا تختلف، إذا فشل في اغواءنا بطريقة ما يبدأ في تجربة طريقة أخرى .

حاول أن يقنعه أن الله غير موجود وأن الله لا يساعد فلا داعي للاعتماد عليه . . . وغير ذلك الكثير، وعندما فشلت كل محاولاته مع فارس بدأ في الخطة الاساسية له منذ البداية ألا وهي الانتقام .

الشيطان ينوي لنا منذ البداية الانتقام، الانتقام إن طعنا أو إن رفضنا .

ولكن إن أطعناه سوف ينتقم منا بعد أن خسرنا رضى الرب، بينما إذا كنا عباد صادقين في إيماننا فليس للشيطان سلطان كي يتمكن من اغوائنا أو الانتقام.

أوه، ولكن لِمَ يريد الانتقام من فارس . . . !

ذلك لأن جواد ليس شيطان بل هو مزيج بين عليا ولوسيفر، أي أنه قام برسالة أبيه ألا وهي الاغواء فقط، ولكن عندما فشل بها ها هو قد بدأ في تطبيق الخطة الاساسية الخطة الانسية التي أملتها عليه أمه عليا .

معروف أحيانًا أن شر الانس يكون أكثر بكثير من شر ابليس وبنيه .

لقد سمعت كثيرًا أن من يقتل تظل حياته معلقه في الحياة للأنتقام . . . !

ولكن ماذا عليَّ أن أفعل الآن لفارس . . . ؟

ان تحليلي كان خاطئ بأن فارس مريض نفسي، وفكرة انه موجود في المصحة ولا أحد يصدق ما تراه عيناه هذا يدل على أن جواد سوف يبدأ في تعذيبه وقتله تدريجيًا ، الموت التدريجي من خلال العذاب يكون أشد وأقوى من القتل مرة واحدة .

ان جواد عقلية مريضة مثل أمه .

ها هي فريدة تضرب رأسها وتقول بصوت عالي وهي تنظر للسماء:

-يا رب ساعدني، كيف لي أن أساعده.

من ثم تذكرت شيء وقالت بشك:

-ولكن عليا قد ماتت بالمسدس وأنا رأيتها في المنام قد قتلت بالسكين...!

هل التحذيرات التي أراها أثناء نومي غير صحيحة...؟

ها هي تكمل تمتمة وهي تهم واقفة وتقول:

-لا أدري، لا أدري شيء.

هنا قطع كلامها مع نفسها وميض خاتمها، كانت أمها هي المتصلة، هنا جال سؤال في بال فريدة فقالت بسرعة وبشكل مباشر مقاطعة صوت أمها التي تطمئن عليها:

-بخير، بخير يا وتين، ولكن عندي سؤال لكِ، أنتِ قلتِ لي: "أن الكلام في الرؤيا حق".

قاطعتها أمها وأردفت بهدوء:

-آه صحيح يا...

قاطعتها فريدة بتعجل:

-وتين انتظري قليلًا ، أعلم انه صحيح، ولكن سؤالي هو ما معنى القتل بالسكين في المنام؟

قالت لها أمها بنبرة مازحة كي تهدأ من جدية بنتها :

-وهل يمكن أن ارد الآن يا استاذة فريدة . . . ؟

بتعجل فريدة المعهود مع ابتسامة قد اخترقت قلقها :

-تفضلي يا وتين .

-القتل بالسكين في أغلب الأحيان يؤول بالأذى والغدر ، ولكن على حسب من الذي قتل ومن الذي حلم و . . . !

قاطعتها فريدة بسؤال اخر بجدية:

-يعني إذا رأى المرء أن هناك من قتل بالسكين هذا ليس شرط أن يُقتل بالسكين . . !

-لا ليس شرط يا ريدا ، يوجد الكثير من الكتب التي تخص تفسير الأحلام موجودة في مكتبة البيت يمكنك قراءتها ، لو مهتمة بهذا العلم .

هنا بدأت فريدة تنهي المكالمة كي ترتب أفكارها :

–حسنًا يا وتين، سوف أفعل ذلك، ولكن لدي الكثير من الأمور عليَّ فعلها سوف اتصل بك في وقت لاحق .

تعجبت وتين من بنتها وأردفت:

تتصلي بي . . . !

ولكن لم تكمل كلامها لأن فريدة كانت قد اغلقت الاتصال .

استمرت في التفكير قليلًا ولكنها لا تعلم كيف تخلص فارس من جواد ، لذا شعرت بالتعب ومسكت رأسها وكأن القهوة لم تقم بأي مفعول، لذا قررت أن تدخل البيت، وبمجرد أن دخلت البيت لمحت على يمينها باب مكتب أبيها مفتوح، هنا قررت أن تدخل وتجلس على كرسيه، وبدأت تبكي وهي تلمس كرسي أبيها وكل ما على المكتب، إلى أن وصلت إلى صورتها هي وأبيها وأمها معًا فبدأت تبكي وهي تلمس ملامح أبيها وتبتسم ابتسامة مكسورة امتزجت بالدمع وأردفت:

–لقد اشتقت إليك يا مراد ، اشتقت لضحكتك يا حبيبي .

ومن ثم عانقت الصورة واجهشت وبكت وقالت بحرقة:

-أنا لست بخير من دونك يا أبي، احتاجك بشدة، حياتي صارت متعبة بعد فراقك، أحتاج لرجاحة عقلك كي تساعدني فيما أنا مقدمة عليه أو ما أمر به . . .

قامت فريدة من على الكرسي والتفتت تجاه المكتبة وصارت تلمس كتب أبيها وهي تبكي، إلى أن شعرت فجأة أن هناك شيء لمسها من الخلف، التفتت فزعة ومن شدة الخوف شعرت أن الدم قد جف في عروقها . . .

ولكن سرعان ما وضعت يدها على صدرها محاولة التقاط أنفسها وأردفت:

-أوه، كيف تدخل هكذا يا روبوت من دون اذن، فزعتني .

رد عليها روبوت بلكنة آلية:

-لقد جاءني انذار بوجود مشاعر حزن، وأنا هنا كي لا تشعري بالحزن، أنا معكِ .

مسحت فريدة دموعها ومن ثم التفتت مرة أخرى للمكتبة وقالت بهدوء مستجمعة قواها :

-لا تقلق، كل ما في الأمر اني اشتقت لأبي .

-هل تريدين عرض ذكريات لكِ ولمراد . . . ؟

ردت عليه فريدة وهي شاردة الذهن في كتب المكتبة:

-لا تقلق عليَّ بهذا الشأن، لدي طريقة أخرى أفضل، ولكن أنا الآن أبحث عن كتاب تفسير أحلام من كتب أمي .

هنا هم روبوت بإصدار شعاع ليزر من عينيه كي يمسح كل عناوين الكتب واختيار الكتاب المحدد، ومن ثم قال لها وهو يأشر بيده الآلية لأعلى:

-ها هو، هذا الركن يا فريدة به أكثر من كتاب لتفسير الأحلام .

ولكن فريدة قالت له:

-اجلب لي أي من الكتب يا روبوت، لن استطيع أن أجلبه لنفسي لأن المكان عالي بالنسبة لي بعض الشيء .

هنا مد روبوت يده وأثناء جلبه لكتاب من منتصف الكتب سقط كتاب أخر .

هم بالاعتذار وهو يهم بالتقاط الكتابين راغبًا في ارجاع أحدهما، ولكن فريدة قالت له وهي تهم بأخذهم من يديه:

-لا داعي يا روبوت ان امي قالت لي أن لها عدة كتب لتفسير الاحلام يمكن أن يفيدني .

هم روبوت موضحًا :

-لا، هذا ليس كتاب، بل رواية .

هنا تمعنت فريدة في غلاف الرواية الذي أخذ طابع الرعب بعض الشيء، قد شدها الغلاف ومن ثم جلست على المكتب وقالت لروبوت وهي سارحة في الرواية:

-اعد لي كوب من النسكافية واحضره لي هنا في المكتب .

قامت بالنظر لظهر الغلاف وأخذت تقرأ الكلمة التعريفية عنها على الأقل، هنا قد شدها أكثر الكلام الموجود على ظهر الغلاف وخاصةً هذا الجزء "وفي خلال هذه المغامرة سوف تكتشف أروما حقيقة نفوس من حولها، وسوف ترى الحقيقة المغيَّبة عنها، وسوف تُصدم فيمن كانت تحسبهم أحباب بأن بهم طبع الغدر والخيانة، وعندهم الاستعداد للسرقة والقتل، وحتى الاستعانة بالجن والسحر . . !"

كانت الرواية اسمها "طيف أروما" تأليف "رانيا رمضان" انتبهت فريدة للاسم ونظرت للغلاف مرة أخرى وقالت في قرارة نفسها :

-يمكن فكرة سقوط هذه الرواية في يدي ليس محض الصدفة، يمكن أن أجد بها الحل لما أمر به، لذا سوف اقرأها ، إذا وجدت بها حل فهذا ما اتمناه، ولكن إن لم أجد بها حل ستكون على الأقل اراحت عقلي وجعلته يفصل قليلًا مما أمر به، ان الروايات والكتب لها تأثير كبير على راحة العقل، هذا ما كانت تقوله لي أمي دائمًا ، لذا فلأبدأ الآن .

***

الفصل التاسع

المحاولة

بدأت فريدة تقرأ الرواية وهي تشرب النسكافية، وبدأت تنجذب للرواية بشدة ولم تقم من مكانها إلا أن اكملتها .

عندما انتهت من القراءة وقفت وبدأت تسأل نفسها :

ماذا عليَّ أن أفعل الآن . . . ؟

هل ارجع بالزمن الذي ذكرته الكاتبة في الرواية واقابل الشيخ متولي ؟ ولكن ماذا ان كان لم يكن موجود إلا في خيال المؤلفة فقط . . . ! ولكن المؤلفة ذكرت أنها قصة حقيقية . . . !

هنا قررت فريدة أن تخرج من غرفة المكتب وتذهب كي تريح جسمها قليلاً ولكن مازالت وهي تمشي متعبة تفكر في حل .

ها هي فريدة تمدد جسدها وقد اغلقت جفناها كي تنعم بالقليل من الراحة كي تساعدها قليلًا في الوصول لحل .

ولكن سرعان ما فتحت فريدة عينها وقامت وجلست وهي ترفع شعرها لأعلى وقالت بلهفة:

-أوه، كيف لم تأتي في بالي هذه الفكرة، سوف أذهب واقابل هذه الكاتبة وأكيد سوف تدلني .

خرجت فريدة مسرعةً من غرفتها ونزلت للمكتب من جديد واجلبت الرواية ونظرت على عام اصدارها 2021 .

همت مسرعة كي تعود لغرفتها كي تجلب الجهاز وكتبت التاريخ الذي ختمت بها الكاتبة روايتها ، وكتبت اسم المؤلفة ومكانها حينها مثل ما ذكر انها من الاسكندرية، وهذا كان كفيل لأن تجد نفسها في لمحة في غرفة رانيا رمضان .

رأت أمامها شابة تغمرها السعادة لانتهائها من عمل من أعمالها ، فقررت الظهور أمامها ، هنا فزعت رانيا وهمت من سريرها صارخة متوجهة تجاه الباب .

ولكن سرعان ما امسكتها فريدة من يدها وباليد الأخرى وضعت يدها على فمها كي لا تصرخ، وقالت لها هامسةً مطمئنة إياها :

-اهدئي أنا لن أؤذيكِ .

حاولت رانيا أن تصرخ صرخات مكتومة بسبب قبضة فريدة التي لم تستطع رانيا أن تتخلص منها ؛ وذلك لأن بنية رانيا صغيرة جدًّا مقارنة بفريدة برغم فرق السن بينهما .

كررت فريدة بنظرة توسل لرانيا :

-صدقيني، أنا لن أؤذيكِ، أنا جئت لكِ من المستقبل، لقد قرأت روايتك وأريدك أن تساعديني .

هنا ملامح ذعر رانيا تحولت إلى ملامح تعجب بسبب لكنة فريدة وأصدرت صوت مكتوم، فقالت لها فريدة غير فاهمة:

-ماذا تقصدين ؟

هنا توقفت رانيا عن المقاومة بيدها بل أشارت بيدها على فمها أي تسمح لها بالكلام، وبالفعل فكت فريدة قبضتها عن رانيا بعد أن اطمأنت من نظرة عينها ومن ثم قالت رانيا وهي تلتقط أنفاسها وهي تتوجه كي تجلس على سريرها :

-اعذريني على ما صدر مني من ردة فعل، ولكن أنا جبانة جداً ، لتوي انتهيت من كتابة رواية عن شبح فمجرد ظهورك أمامي شعرت بالرعب حقاً .

اقتربت منها فريدة وجلست أمامها على نفس السرير وقالت:

-هذه الرواية هي التي قرأتها لكِ بالفعل، وجئت إليكِ من المستقبل كي تساعديني .

هنا نظرت لها بتعجب وسألتها وهي ترفع أحدى حاجبيها :

-أحقاً أنتِ من المستقبل ! ؟

أومأت لها فريدة برأسها أي نعم ولكن رانيا أكملت كلامها وقالت:

-أنا فزعت لفكرة ظهورك أمامي مرة واحدة من دون أي مقدمات، ولكن عندما رأيت انك غير مسلحة جال في خاطري انك مجرد لصة وقررت التكلم معكِ ما دمتِ غير مسلحة .

ويمكن انكِ تمكنتِ من الدخول من دون أن انتبه لأني مشغولة في مراجعة العمل واسمع موسيقى بصوت عالي .

نظرت لها فريدة بتعجب وقالت بنبرة تهكمية:

-هل حقًا أنتِ رانيا مؤلفة الرواية أم اني قد اخطأت في العنوان ؟

نظرت لها رانيا مؤكدة لها :

-بل أنا بالفعل مؤلفة .

فسألتها فريدة بتهكم:

-وهل عمرك رأيتِ لصة تخترق البيوت ليلًا ، أظن أن النساء بالكثير يقومون بالنشل أو العمل مع عصابة انما بمفردها في اختراق البيوت هذا لم يمر عليَّ أبدًا .

ازفرت رانيا وقالت:

-كلامك صحيح، ولكن كل ما في الأمر اني لا استبعد شيء .

تنفست فريدة الصعداء وأردفت:

-رانيا كل ما أريد أن أعرفه منكِ أولًا هل تلك الرواية مبنية على قصة حقيقية بالفعل . . . ؟

نظرت لها رانيا وقالت لها :

-للصدق، ليست قصة حقيقية بل أنها مختلقة من تأليفي . . .

هنا احبطت فريدة وقالت بخيبة أمل:

-هذا ما كنت لا اتمنى أن اسمعه أبدًا .

هنا همت فريدة واقفة ولكن رانيا أمسكت يدها وسألت كي تتأكد :

-هل بالفعل أنتِ من المستقبل . . . ؟ أم انك مجرد فتاة الدنيا اتعبتها فقررت أن تجد طريقة للعيش ألا وهي السرقة . . . !

ضربت فريدة رأسها بكف يدها وقالت لها بتهكم:

-وهل هذه اللكنة والهيئة توحي لكِ أني لصة فقيرة الدنيا اتعبتني، أرجوكِ لا تجعليني أندم اني اعجبت بروايتك الشيقة ذات الحبكة المميزة .

وقفت رانيا أمامها وقالت لها :

-صدقيني تلك الاستنتاجات الغبية بسبب اني غير مقتنعة بفكرة القدوم من المستقبل من الأساس .

فكت فريدة قبضة رانيا عن يدها وقالت لها وهي تؤشر على خاتمها فانبثقت منه شاشة عائمة في الهواء ودخلت على الصور حينها ذهلت رانيا عندما رأت التاريخ المكتوب على الصور .

ومن ثم قامت فريدة بتشغيل فيديو لها وهي تطير بجذائها النفاث ومن ثم قالت فريدة لها بنفاد صبر:

-هل تريدين دليل اخر يا رانيا . . . ؟

نظرت لها رانيا ببلاهة غير مصدقة وقالت لها :

-للحق أنا جبانة ولكن للصدق أنا أحب الأمور الغير طبيعية والماورائيات .

ولكن فريدة طأطئت رأسها وقالت:

-ولكن روايتك ليست حقيقية كنت أحتاج أن . . .

لم تكمل كلامها واشاحت بنظرها وأردفت:

-لا داعي أن أكمل ولا أن أوضح لأن هذا سيكون بلا نفع .

همت رانيا تسألها بلهفة:

-وماذا ان كانت حق يا . . . آه حقًا ما اسمك . . . ؟

-اسمي فريدة .

قاطعتها رانيا بلهفة وقالت لها :

-أنا أحب هذا الاسم جدًا .

هنا استأذنتها فريدة وقالت لها :

-لا داعي أن اضيع من وقتك أكثر من ذلك، سوف أرحل .

بدأت فريدة في أخذ جهازها كي تعود بالزمن .

هنا همت رانيا مسرعة وامسكت بالجهاز، ومن ثم نظرت له وقالت لها بلهفة:

-أوه، هل هذا هو جهاز السفر عبر الزمن . . . ؟

هنا همت فريدة أن تنطق ولكن رانيا قدمت سؤال اخر . . . ؟

-ما هذا . . . ! أهذا هاتفك . . . ؟

هنا اخذت فريدة الجهاز من يدها وتنفست الصعداء وقالت بنفاد صبر:

-كان الأمل بدأ بداخلي تجاهك ولكن يبدو ألا فائدة .

سألتها رانيا بصوت هادئ:

-انتظري، قبل أن ترحلي على الأقل قولي لي كيف كنتِ تريدين أن أساعدك، أنا أرغب في مساعدتك، أكثر شيء يسعدني في الحياة هو مساعدة الغير، حتى وان كنت لا استطيع أن أساعدك سوف أفعل كل ما بوسعي كي أساعدك .

قررت فريدة أن تجلس وتكلمت وهي مطأطئة الرأس:

-ان الحمل عليّ كبير، أرغب في انقاذ شخص ما . . .

هنا قاطعتها رانيا وقالت لها بجدعنة مصرية:

-لا تقلقي أنا بجانبك، وعلى رأي المثل المصري "القفة أم ودنين يشيلوها اتنين" .

همت فريدة واقفة وتنفسد الصعداء وقالت بيأس:

-لا، لا، يبدو أن لا فائدة منكِ يا رانيا، قد يأست بالفعل، كل ما أعطيكِ فرصة تصدميني .

ضحكت رانيا بصوت عالي، ومن ثم كتمت ضحكتها وقالت محاولة اظهار بعض الجد في حديثها :

-اهدئي فريدة، ها أنا بالفعل كلي اذان صاغية لكِ .

جلست فريدة ومن ثم تنفست الصعداء ولكن من ثم التمعت عيناها وسألتها بجدية:

-لا، بل أريد أن أعرف المقصود بالمثل .

ضحكت رانيا وقالت لها :

-حسنًا سوف أشرحه لكِ ولكن عليكِ أن تقولي لي سبب قدومك هنا .

وبالفعل مر الوقت وها هي فريدة حكت لها كل ما مرت به .

أمسكت رانيا رأسها وملامح الجد قد رسمت على وجهها وها هي فريدة تقول لها والحزن مسيطر عليها :

-ها قد حكيت لكِ كل شيء، هل لديكِ حل لي . . . !

نظرت لها رانيا بيأس وقالت بحزن:

-ان جئتِ للحق، ليس لدي حل .

هنا توقفت رانيا عن الكلام عندما رأت أن حزن فريدة زاد أكثر، ولكنها سرعان ما تمالكت الموقف وأردفت مكملة وهي تمسك يد فريدة مهونة عليها بابتسامة رسمتها على وجهها :

-ولكن سيكون لدي حل .

هنا التمعت عين فريدة وسألتها بتعجب:

-ولكن كيف . . . ؟

قالت لها رانيا بثقة وعلى وجهها نفس الابتسامة:

-لا، كيف هذه اتركيها عليَّ، لا يغرك صغر جسمي ولا سني، ولا يغرك اني بنت، آه أنا بنت ولكن في المواقف أجدع من مئة رجل وأنا قلت لكِ كلمة، والكلمة بالنسبة لي سيف .

نظرت لها فريدة ببلاها وسألتها :

-هذا ما معناه يا رانيا . . . ؟

رسمت رانيا ابتسامة على طرف فمها :

-هذا معناه تعالي لي غدًا في نفس الوقت وسوف أقول لكِ الحل .

هنا شكرت فريدة رانيا وقامت بمعانقتها وقالت لها وكأنها تضع بها كل الأمل

وأردفت:

-أنا واثقة انكِ سوف تساعديني يا رانيا .

ضحكت رانيا وقالت لها بثقة:

-بعون المولى سوف أساعدك .

خرجت فريدة من التجربة وعادت إلى غرفتها وهنا عندما رأت سريرها ابتسمت

وقالت بصوت هامس وهي تقوم بفرد شعرها الطويل:

-الآن يمكنني أن ارتاح قليلًا .

استيقظت فريدة على اتصال من ليندا ، التي تعجبت من عدم حضور فريدة المحاضرة

على غير عادتها قالت لها فريدة بصوت ناعس:

-متعبة قليلًا يا ليندا سوف . . .

هنا قاطعتها ليندا بلهفة:

-متعبة، سوف أتي إليكِ حالاً .

هنا تمتمت فريدة بنفاد صبر:

-ليندا ، أرجوكِ، لا تقلقي كل ما في الأمر أنا احتاج أن ارتاح وكفى، سوف اطمئنكِ عليَّ.

ومن ثم اغلقت المكالمة وهمت من مكانها وتوجهت للحمام فنظرت لنفسها في المرآة وقالت بحزن على حالها :

-لقد صرتِ باهتة جدًا يا فريدة، بالفعل لقد صدق جون بأن هذه التجربة تجهد العقل كثيرًا .

ولكن الأمر ليس اجهاد فقط من التجربة ولكن الخوف، الخوف يأكل في روحي، خائفة ألا استطيع أن أنقذ فارس .

من ثم نظرت لنفسها بجد وسألت نفسها :

-ولِمَ تخافين . . . ! كل ما عليكِ هي المحاولة، انقذتيه يكون خير وإن لم تنقذيه فليس ذنبكِ شيء .

من ثم نظرت فريدة لنفسها بجد وقالت لنفسها بصوت عال بعض الشيء :

-ألا تكوني أحببتِ فارس يا فريدة . . . !

هنا فريدة فتحت الماء بسرعة وقامت بغسل وجهها عدة مرات ومن ثم رفعت رأسها ونظرت مرة أخرى لنفسها في المرآة وقالت:

-يبدو أن وحدتك وعيشك بمفردك جعلك تفقدين عقلك، حب . . . ال حب ال . . . لا، حب ماذا . . . ؟ كل ما في الأمر أرغب في المساعدة وكفى .

ها هي تنظر لعينها في المرآة ومن ثم قالت لنفسها في غضب وهي ترمي الماء على صورة انعكاسها :

-لِمَ انظر لعيني هكذا . . . !

ومن ثم همت بالخروج وقالت بغضب:

-يبدو اني جننت بالفعل، لقد جننت .

جلست على كرسيها الهزاز وهي تنظر للحديقة وقررت أن تطلب من روبوت أن يحضر لها الفطور .

الفطور أمامها ، ولكنها اكتشفت انها لا تشتهي أن تأكل شيء .

سألت نفسها :

-هل أقدم على التجربة الآن . . . !

تنفست الصعداء وقالت:

-آووه، أنا متعبة حقًا ، ولكن أريد أن أرتاح من هذا الحمل الذي عليَّ .

هيا ، هيا يا فريدة، من طبعك دائمًا الاقدام والمواجهة وعدم الخوف، تفاءلي يا فريدة تفاءلي .

ومن ثم كتبت نفس تاريخ الامس ولكنها زادت يوم وحددت نفس الوقت بعد منتصف الليل، ومن ثم صارت أمام رانيا من جديد ، ولكن هذه المرة كانت رانيا مستعدة لهذا اللقاء .

نظرت لها رانيا وابتسمت لها بابتسامتها التي اعتادت فريدة عليها التي تبعث الأمل في قلبها من جديد .

قالت لها رانيا بلهفة:

-ها قد أتيتِ يا فريدة أنا انتظركِ منذ ساعة .

هنا ابتسمت فريدة لها برفق ومن ثم قالت لها بصوت هادئ:

-طمئنيني يا رانيا . . . !

-وصلت لشيخ اسمه الشيخ منصور كل الناس يتكلمون عن بركته ولا يتقاضى أجر أبدًا .

-يا رانيا هل تكلمتِ معه في ما حكيته لكِ . . . ؟

أومأت رانيا برأسها مؤكدة ومن ثم سحبت فريدة كي تجلس وأردفت:

-طبعًا حكيت له وهو مستعد أن يأتي معي في أي وقت ولكن يجب أن أؤكد عليه قبلها بيوم من أجل أن يعتذر لل . . .

هنا قاطعتها فريدة وهي تضرب رأسها بكف يدها :

-آووووه، كيف تاهت عن بالي . . . ؟

نظرت لها رانيا بتعجب محاولة أن تفهم وأردفت:

-ماذا تقصدين يا فريدة . . . ؟

التقطت فريدة أنفاسها وقد رسمت على ملامحها مشاعر مختلطة بالحزن والغضب:

-أنا أريد أن أنقذ فارس ولكن اليوم الذي قابلته به في شهر نوفمبر عام ٢٠١٩ بينما نحن الآن عام ٢٠٢١ .

قالت لها رانيا مطمئنة إياها :

-وما المشكلة يا فريدة . . . ! ان الأمر بسيط سوف أذهب أنا والشيخ منصور معكِ عن طريق الجهاز الخاص بكِ وننقذه سويًا .

قالت لها فريدة بأسى والدمع بدأ يلمع في عينها :

-رانيا ، ان جهازي خاص بي أنا يكفي لشخص واحد للنقل عبر الزمن، ان المعدات الملحقة به خاصة بفرد واحد .

قالت لها رانيا محاولة أن تجد حل:

-يمكنكِ أن تعودي لزمنكِ وتجلبي جهازين .

قالت لها فريدة بنفاد صبر وقد خانها دمع عينها هذه المرة:

-يا رانيا ، يا رانيا افهمي، هذا الجهاز صممه لي صديق والدي، لا يوجد منه إلا نسخة واحدة لي أنا فقط .

هنا نظرت لها رانيا بلهفة وترغب أن تتكلم، ومن ثم مسحت فريدة دمع عينها وقالت بعصبية اختلطت بالحزن بسبب اليأس:

-اعرف ما تريدين قوله، تريدين أن اطلب من دكتور جون أن يصنع لي جهازين .

هنا التمعت عين رانيا بالدمع وأومأت برأسها أي نعم ولكن في نفس الوقت اجهشت فريدة في البكاء:

-ان هذا سيأخذ وقت، وأنتِ لا تعلمين كم أنا متعبة لا استطيع أن أنام بسبب كثرة التفكير وإن نمت من شدة التعب استيقظ والتعب قد أكل روحي، لن استطيع أن اتحمل هذا التعب أكثر من ذلك، أريد أن أنقذ فارس كي ارتاح، الله جعلني أبدأ هذا الأمر من أجل أن أساعده أكيد ، ليس مجرد تجربة وانتهى الأمر .

هنا اقتربت منها رانيا وأخذت تربت على كتفها وتهمس لها :

-لا تقلقي أنا بجانبكِ وسوف نصل لحل سويًا .

هنا مسحت فريدة دمعها وقالت بيأس:

-تعرفين ما هو الحل يا رانيا . . . ؟

نظرت لها رانيا بجنو ولين وسألتها :

-ما هو الحل يا فريدة . . . !

نظرت فريدة للأرض وأردفت:

-الحل أن أنسى الأمر برمته، ولكن ضميري يأنبني، انه لأمر . . .

هنا التمعت فكرة في عقل رانيا وقامت بسحب وجه فريدة كي يكون مواجه لها

وأردفت لها بلهفة وابتسامة:

-لا، بل بالفعل هناك حل .

نظرت فريدة بتعجب وقد جف الأمل من روحها وتسألت:

-وما هو يا رانيا . . . ؟

-غدًا سوف تأتي لي نهارًا بعد الظهر وأنا سأكون في انتظارك أمام بيتي وسوف نذهب للشيخ منصور .

هنا سألتها فريدة بتعجب:

-ولكن كيف سوف . . . ؟

قاطعتها رانيا وقالت بثقة وبنفس الابتسامة:

-أنتِ طلبتِ مني المساعدة، كل ما عليكِ أن تثقي بي وكفى .

هيا لنرتاح الآن لكي نستعد لمغامرة الغد .

ومن ثم ودعتها وعادت فريدة مرة أخرى لبيتها ، طبعًا لم تستغل كل وقت المغامرة هذه المرة، لذا فضولها جعلها لا تتحمل وقررت أن تكتب الموعد الجديد وتكمل التجربة اليوم .

ها هي بالفعل فريدة قابلت رانيا وذهبتا إلى الشيخ منصور سويًا .

فريدة كانت تتوقع أن البيت سيكون قديم ومتهالك وبه الكثير من البخور مثل بيت الساحرة التي ذهب إليها فتحي وعليا ، ولكن البيت كان بيت عادي يدل على أن صاحبه من الطبقة المتوسطة حينها .

رحب بهم الشيخ منصور الرجل الخمسيني الاسمر ذا الابتسامة المريحة للنفس، وطلب منهما أن يرتاحا ، وبمجرد أن جلست فريدة همست مسرعة في الكلام:

-أنا يا شيخ . . .

هنا قاطعها الشيخ بضحكة سمحة:

-اعرف يا بنيتي كل شيء ، لقد حكت لي رانيا كل شيء ، وجودك أمامي الآن كي أشرح لكِ ما عليكِ فعله .

نظرت فريدة بتعجب لرانيا وللشيخ منصور ومن ثم أردفت:

-أنا . . . ماذا عليَّ أن أفعل . . . ؟

قهقه الشيخ وقال:

-مهلكِ يا بنيتي، سوف أشرح لكِ كل شيء ولكن أريدكِ قوية، ولا يهزك ما سوف ترينه فيما بعد .

أومأت فريدة وبدأ حزن عينيها يتحول إلى نظرة جد .

هنا قال لها الشيخ منصور بتشجيع:

-هذه هي فريدة القوية، فلنبدأ .

هنا نظرت لها رانيا بتشجيع وابتسمت لها وهي تمسك يدها محفزة إياها ، وحينها بدأ الشيخ في الكلام:

-الأمر بسيط يا بنيتي ولكن يحتاج شجاعة وثبات، لا تنسي يا بنيتي لا الجن ولا عفريت الجن ولا عفريت الانس قوي مثل الانسان، نحن الاسمى والأقوى، ان الجسد المادي أقوى من ترددات الجسد الاثيري، لا يخدعنك هول المظهر .

هنا رجع اليأس يدخل قلب فريدة وأردفت:

-ولكن أنا في هذه التجربة مجرد جسد أثيري، لأن جسدي في المستقبل و . . .

هنا ترددت الشيخ ولكن في نفس اللحظة قال لها بنفس الابتسامة كي يطمئنها :

-أي نعم ليس معكِ جسدكِ المادي ولكن معكِ القوي، معكِ الله، وما خاب من استعان فقط بالله .

شعرت فريدة بالخزي وقالت:

-ولكني غير ملتزمة ولا أعرف . . .

قاطعها الشيخ وأردف موضحًا :

-كلنا مقصرين يا بنيتي ومهما نفعل نحن مقصرين في حق الله، أنا جهزت لكِ تسجيل سوف يساعدك في التخلص من قوة الشر على هذا الجهاز، ومعكِ هذه الورقة اقرئي منها أثناء تشغيل التسجيل على هذا الجهاز .

استجمعت فريدة قواها وبدأت ملامح اليأس تزول عن وجهها ولكن مازال التوتر يتلألأ في عينها وأردفت:

-هل هذا ما عليَّ فعله . . . ؟

تنفس الشيخ منصور الصعداء وابتسم لها :

-ربي يهديكِ يا فريدة، أرجوكِ لا داعي للتسرع أو التوتر، وللعلم أنا لم أكمل كلامي .

حاولت فريدة أن تتمالك أعصابها وهدأت ومن ثم أصغت جيدًا لصوت الشيخ منصور الرخيم .

سوف تعودين بالزمن وتقابلين فارس عندما توقف وحكى لكِ حكايته، وذلك قبل أن يذهب للسجن أو للمصحة، احكي له ما رأيته وما توصلتِ إليه ومن ثم ابدئا في الحفر في البيت الذي وجدتِ به فارس لإخراج بقايا عليا .

هنا نظرتا كل من رانيا وفريدة بتعجب وسألت فريدة:

-لِمَ . . . هذا البيت . . . ؟ !

وضح لها الشيخ منصور بهدوء:

-ألا تتذكرين أن فتحي قد قتل عليا في أرض دمنهور التي كانت حينها منطقة هادئة قليلة السكان تقريبًا . . . !

رسمت دهشة أكبر على ملامح فريدة وقالت:

-لم يأتي في بالي هذا الأمر و . . .

ولكن جال سؤال في بال فريدة وقالت:

-ولكن كيف تم بناء هذا البيت ولم يجدو العمال جثة عليا . . . ؟ وأين سأحفر بالتحديد . . . ؟

-كل هذا يمكنك التأكد منه من خلال جهازك وتري ما حدث . . . ولكن المهم الآن أن تخرجا بقايا الجثة وتبدأن في حرقها مع تشغيل هذا التسجيل وترتيد ما في الورقة، ومهما حدث أمامكِ لا تتراجعي، لا تخافي، ولا تستسلمي .

نظرت له فريدة بتردد وسألته:

-وهل تظن أني سأنجح في هذا الأمر في التخلص من الروح الشريرة . . . ؟

أنا أظن أن هذا الأمر يحتاج لشخص مثلك .

نظر لها الشيخ منصور وابتسم وقال مطمئنًا إياها :

-وما أنا يا فريدة . . . ! ما أنا إلا شخص مثلك، أجاهد نفسي كي أكون صالحًا وسخرت نفسي لمساعدة غيري، وأنتِ كذلك يمكنكِ أنت تكوني مثلي، نيتكِ الطيبة في مساعدة الغير ستمكنكِ من النجاح، وللتخلص من الروح الشريرة لا تحتاج

قوة بنيان ولا رجل دين، كل ما في الأمر والمهم هو القلب الصادق المؤمن حقًا بقوة الله وحده وكفى .

طول ما أنت قلبك مؤمن بالكلمة التي تقولينها ، وما دام قلبك مؤمن ومتمسك بقوة القوي الذي تستعينين به فلن يخزيكِ الله أبدًا ، طول ما عقلك مدرك بأنه ما دام استعان بخالقه وخالق من أمامه من الجن والأنس وأن الخالق قادر على الانتصار عليه فسوف ينتصر عليه بالفعل .

هنا أشار الشيخ منصور على قلبه وعلى وجهه ابتسامة تبعث الأمان في النفس وأردف برفق:

-ما دام هذا لديكِ نقي وسليم ولم يظلم أبدًا ودائمًا تفكرين في غيرك وكفى ومتوكل على المولى فسوف ينصركِ الله يا بنيتي .

رسمت فريدة ابتسامة وبدأت لمعة التوتر تقل في عينيها ولكن فجأة رجعت من جديد وتنحنحت وقالت بخجل:

-يا شيخ آخر سؤال والله .

ضحك الشيخ منصور وقال لها :

تفضلي يا بنيتي أنا معكِ .

-يعني بالفعل إذا توكلت فقط وأمنت بقوة الكلمة وبالله سوف أتمكن . . . ، يعني لا احتاج رجل دين أكيد . . . ؟ أشعر أنك تطمئنني وكفى .

ابتسم الشيخ منصور وتنفس بعمق وأردف بهدوء :

-ربي يهديكِ يا بنيتي، اسمعيني كي تصدقي كلامي بناءً عن موقف حدث بالفعل مع نبينًا محمد صل الله عليه وسلم .

هنا توقف الشيخ منصور ونظر لكلاهما وقال لهما بابتسامة:

-لقد ذكرت سيرة الرسول أين الصلاة عليه . . . ؟

ضحكتا كل من رانيا وفريدة وقالت رانيا بخجل:

-اعذرني يا شيخ ولكني كنت في حالة تركيز شديد لما سوف تحكيه، أنا بالنسبة لي وجودي أمامك فرصة وأريد أن ينهمر عليَّ من علمك وثقافتك وقصصك .

ابتسم الشيخ منصور وقال بحماسة للعودة للحديث مرة أخرى:

-حسنًا يا بنيتي أين كنا . . . ؟

في نفس واحد رانيا وفريدة:

-النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ضحك الشيخ منصور ومن ثم أكمل حديثه:

-عليه الصلاة والسلام، دعوني أشرح لكما الأمر لقد سحر نبينا محمد و . . .

هنا قاطعته رانيا معتذرة وأردفت:

-اعذرني يا شيخ، ولكن بالفعل هذا الأمر قد حيرني كثيرًا، كيف لنبينا محمد صل الله عليه وسلم المعصوم أن يسحر . . . ! هذا الأمر يقلل من شأنه كثيرًا .

هنا فريدة كانت تنظر لرانيا باستغراب ولكن سرعان ما قطع صوت الشيخ منصور شرودها وأردف:

-افهم يا بنيتي ما يجول في خاطرك . . .

هنا اكملت رانيا بصوت متردد :

-أنا أحب نبينا محمد كثيرًا وأحب التعمق في أمور الدين ولكن أحيانًا تجول في خاطري تساؤلات لا أجد لها رد ولا مبرر .

ابتسم الشيخ منصور وقال بثقة:

-بل يوجد مبرر مقنع يا بنيتي، فلتسمعي لي جيدًا .

سوف احكي لكما المفيد وباختصار، ذكر عن السيدة عائشة رضى الله عنها في حديث ذكرت به ما معناه أن النبي محمد صل الله عليه وسلم . . .

هنا همستا كل من رانيا وفريدة بالصلاة على النبي، فابتسم لهما الشيخ منصور وأكمل كلامه:

كان يخيل له انه يأتي أهله ولا يأتيهن، المقصود بهذا التعبير أن النبي محمد كان يخيل له أو يظن أنه جامع أهله ولكنه لم يجامعهم قط، يوجد بعض العلماء الذين أوضحوا أن هذه الحالة كان يشعر بها فقط النبي محمد مع السيدة عائشة التي ورد عنها الحديث، لأنه لم يذكر من أي واحدة أخرى من أمهات المؤمنين كلام عن هذا الأمر، ولكن السيدة عائشة استخدمت في حديثها صيغة التعميم لحيائها وخجلها .

يذكر أن كان هناك شخص من اليهود اسمه لبيد بن الأعصم، قام بعمل سحر باستخدام مشط النبي محمد وما به من خصلات شعر النبي المصطفى، وقرر أن يقوم بعمل سحر كي يؤذي النبي محمد في أكثر ما يحب ألا وهي السيدة عائشة .

بعد ما علم النبي محمد من السيدة عائشة بأنه يظن له فقط ولا يجامعها بالفعل، بدأ يتعب وتسأل عن سبب ما به، ولكن من ثم جاء للسيدة عائشة وقال لها : " انه رأى ملكان يذكر انهما جبريل واسرافيل وكان أحدهما عند رأسه والأخر عند رجله، قال أحدهما :

مال الرجل . . . ؟ رد الأخر : " انه مطبوب " .

فرد الأخر : "ومن طبه . . . ؟"

مطبوب يا بنياتي المقصود بها مسحور ، ومن طبه المقصود بها من سحره، فرد الأخر : " لبيد بن الاعصم " أنه قام بهذا السحر على مشط ومشاطة، وسبق وشرحت لكما تلك النقطة، وذكر له مكان السحر انه في جف طلع نخلة ذكر في بئر ذي اروان .

والجف هو شيء أشبه بالكوز الذي يحتوى على لقاح النخل .

وشفاء نبينا محمد كان على يد سيدنا جبريل عندما سأله: هل اشتكيت يا محمد ، قال النبي محمد : "نعم" فقال جبريل: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس، أو عين، أو حاسد ، الله يشفيك، بسم الله أرقيك" .

وشفي نبينا محمد ومن ثم ذهب إلى البئر واستخرج السحر كان السحر معقود بشعره أحد عشر عقدة فنزلت المعوذتين أحدى عشر اية (أي سورتي الفلق والناس) وتخلص النبي محمد من هذا الأذى وعاد كما كان .

هنا قاطعته فريدة وقالت له باستغراب:

-ها أنت قلت أن النبي محمد سيدنا جبريل هو من رقاه أو خلصه من الأذى الذي عليه .

-لا يا بنيتي بل انه علمه كيف يتخلص من الأذي، جبريل ما هو وحي يعلم النبي محمد ما لا يعلمه، كي يعلمنا نبينا ما لا نعلمه كذلك .

الله يا بنيتي جعل النبي محمد يسحر لحكمة، كي يكون قدوة لنا في كل شيء ويعلمنا كل شيء .

وفكرة ان السحر ينقص من شأن النبي محمد ويشكك بعض الناس في صدق نبوته، لأن البعض يذكر ويقول" وكيف لي أن أصدق شخص يخيل له . . . ؟ يمكن انه كان يخيل له جبريل وما يوحى اليه .

وطبعًا هذا الكلام غير صحيح، لأن صدق الكلام الذي ورد عن النبي محمد مثبت بالمعجزات .

ثانيًا هذا السحر أصاب نبينا محمد بعد ما هاجر النبي محمد للمدينة وبعد ما ثبت مكانة الدين الاسلامي، أي ليس في بداية الأمر كي نتشكك في صدق نبوته .

وما السحر إلا نوع من العلل التي يصاب بها الجسم، والنبي محمد كان يمرض مثلنا . . . الذي يقول: "كيف للنبي المعصوم أن يسحر . . . ؟"

النبي معصوم فقط في نبوته وفي الوحي، معصوم من الشياطين كي لا يمنعوه من تبليغ رسالته .

بينما غير ذلك كان النبي محمد كان يبكي ويتألم ويمرض مثلنا تمامًا .

عصمة الله للنبي محمد من الشياطين كي يمنعه من أن يصيبه كيدهم .

اصابة نبينا محمد صل الله عليه وسلم بالسحر مثلما اصاب في مرة من المرات بالسم، عندما قدمت إليه امرأة يهودية كتف شاه وهذا الجزء المحبب للنبي محمد ، قدمت له كتف الشاه المسموم، ولكن بعد أن تذوقه واختلط السم في ريقه سمع النبي محمد أن لحم الشاه يخبره انه مسموم .

فأخرج النبي محمد ما بفمه وحذر من معه من الأكل ولكن بعد ذلك مرض أحدهم ومات، طبعًا فكرة أن يسم النبي محمد هذا من مكر الشيطان كي لا يكمل دعوته .

وبالرغم من دخول السم لهاته أي حلقه لم يمت النبي محمد من السم، بل جعله الله يكمل رسالته تمامًا ، وعندما أكمل الرسالة مرض النبي محمد وظهرت عليه أعراض السم وحينها خيره الله أن يستمر في الحياة أم يختار الرفيق الأعلى، والنبي محمد اختار الرفيق الأعلى لأنه أكمل رسالته فلم يختر الدنيا قط .

عصم الله النبي محمد من الشيطان ومن أذى الأنس والجن إلى النهاية، عصمه أي ما معناه انه لا يجعلهم يتمكنون منه، أو ينهوا حياته بالقتل قبل اكمال الرسالة كما حدث مع الكثير من الرسل.

ولكن هذا لا ينكر أن النبي محمد تعرض للأذي الكثير من الناس ومن الشيطان ولكن لم ينجح أحد في التمكن منه، على سبيل المثال...

عندما كانت تضع أم جميل الشوك والنار في طريقه وجاره اليهودي يضع القمامة أمام بيته وأحد المشركين عندما رمى أحشاء شاه على ظهر النبي محمد وهو عاكف في الصلاة أمام الكعبة وعندما قام أحدهم بخنقه أثناء صلاته...

وغير ذلك عندما طرد من الطائف وهرب منهم بعدما اجتمع كل من بها بضربه بالحجارة وسبه وغير ذلك الكثير عندما اجتمعت كل قبائل مكة لقتله، فكرة أن النبي محمد يتعرض للأذى هذا شيء طبيعي لأن من الطبيعي أن يتعرضوا الانبياء للأذى لأنهم يكونوا قدوة لنا في تحمل الأذى والصبر...

الضرب والإهانة والمرض السحر الذي تعرض له النبي محمد لا يقلل من قدره ونبوته بل يدل على عظمته ويدل بالفعل أن الله معه حتى اكمل رسالته .

وكما قلت لكما أن النبي محمد طبيعي يتعرض للأذى من الناس ومن الشياطين على سبيل المثال، كان الشيطان يحاول في مرة أن يلهي النبي محمد في صلاته، فقام النبي محمد برفع يده كأنه يقبض شيء في الهواء، بعد الانتهاء من الصلاة سألوه الصحابة فقال لهم أنه رأى الشيطان وكان يريد أن يظهره ويقيده في ساريه ولكن نبينا محمد قال انه لم يرغب في فعل ذلك لأن نبي الله سليمان طلب من الله أن يكون له ملك لا ينبغي لأحد من بعده .

هنا تسألت رانيا بتعجب:

-بصراحة يا شيخ أنا لا أفهم، يعني كيف نبينا محمد رأى الشيطان، ولم يتمكن من أن يعلم أنه مسحور أو أن هناك من يمكر به . . . !

-الحكاية يا بنتي وما بها أن الله يريد أن يثبت لنا أن النبي محمد مثلنا لا يفرق عنا شيء سوى أن الله فضله عنا باصطفائه وأنه مميز عنا بالوحي . . .

يعني بمنتهى البساطة النبي محمد ظل أربعين سنة شخص صالح عادي .

ولكن الله ميزه بالوحي، يعني ما كان يورد عن النبي محمد غير نابع منه بل من الوحي فقط، وقد انقطع عنه الوحي ستة اشهر فلم يستطع النبي محمد أن يقول كلمة . . .

كل ما في الأمر الله هو المتحكم في هبات النبي محمد ، متى يظهر له الجن ومتى يخفيهم عنه، متى يجعل الرسول يؤذى من الناس ومتى ينصر عليهم، الفكرة التي يجب أن نؤمن بها أن الله وحده هو المتحكم في حياتنا حتى النبي محمد ، وما نراه شر لنا أو أذى في حق بنبينا محمد ما هو إلا لحكمة، وفكرة سحر النبي محمد حدثت كي يثبت لنا أن السحر حق، والتخلص منه بسيط كذلك، اتمنى أن تكونا فهمتماني .

نظرت له رانيا بتفهم وقالت له وهي تهز رأسها :

-بالفعل لقد بدأت الصورة تتضح لي يا شيخ .

نظر الشيخ لفريدة وسألها :

-هل مستعدة الآن يا فريدة . . . ؟

هزت فريدة رأسها بثقه وابتسامة:

-أكيد ، بعون الله سوف اتمكن وأنجح بإيماني بالله وبصدق رسوله .

-وفقكِ الله يا بنيتي .

هنا همت فريدة واقفةً، فقامت رانيا بجوارها وعانقتها بلهفة وهي تربت على ظهرها :

-متأكدة أنكِ سوف تنجحين .

ومن ثم اخرجتها من حضنها ونظرت لها بابتسامه:

-ولكن يجب عليكِ أن تعودي لي من جديد ، وتحكي لي كل شيء .

ابتسمت لها فريدة وقالت لها :

-أكيد يا صديقتي المؤلفة . . .

ومن ثم التفتت مرة أخرى للشيخ منصور وقالت بابتسامة امتنان:

-أشكرك كثيرًا على كلامك ونصائحك لي، أتمنى أن لا تكون اخر مرة .

وقف الشيخ منصور وابتسم وأردف:

-البيت بيتك يا بنيتي، أنا معكِ وقتما تشائين .

قبل أن تخرج فريدة من التجربة قامت بتشغيل التسجيلات بسرعة قصوى كي يتم تخزينة في فيديو التجربة كي يكون معها عندما تعود مرة أخرى لواقعها ، ومن ثم فتحت الورقة ونظرت لها كي يتم حفظها كذلك ومن ثم ودعتهما فريدة وعادت مرة أخرى إلى واقعها .

جلست فريدة قليلًا لكي تفكر ، وبعد قليل فتحت شرفة غرفتها ، تنفست بعمق وهي مغلقة العينين والراحة بدأت تعود إليها من جديد .

ولكن بمجرد أن فتحت عينيها فزعت ورجعت للوراء ، كان أمامها جسم هائم في الهواء ، لكن سرعان ما التقطت أنفاسها وقالت بغضب مكتوم:

-كدت أموت فزعًا يا ليندا .

دخلت ليندا ووقفت في الشرفة بجوار فريدة وقالت لها بلوم:

-هذا جزائي لأني أحبك وقلقة عليكِ .

هنا تركتها فريدة ودخلت الغرفة فلحقتها ليندا وسألتها :

-ماذا بكِ يا فريدة . . . ؟ أنتِ تغيرتِ كثيرًا هذه الفترة ، قولي لي ما بكِ . . . !

نظرت لها فريدة بابتسامة مصتنعة:

-لا تقلقي يا صديقتي كل ما في الأمر أني متعبة بعض الشيء ويوم أو يومين وسأعود كما اعتدتي عليَّ .

نظرت لها ليندا وقالت لها بلهفة:

-إذن ما رأيك أن نخرج سويًا اليوم كي تتخلصي من تعبكِ . . . ؟

نظرت لها فريدة نظرة تبعث بداخلها الأمان وكي تنهي الحديث في نفس الوقت:

-ليندا ، أرجوكِ لا تضغطي عليَّ، صدقيني أحتاج بعض الراحة فقط، اعطي لي يومين بالكثير، وإن لم أعد كما كنت فلتفعلي بي ما تشائين .

حل صمت ليندا ، ولم تعد تعرف ماذا تقول . . . ! لأنها تعلم صديقتها جيدًا وتعلم أن فريدة تخبئ عنها شيء .

قالت لها فريدة وهي تنظر لها بابتسامة:

-اتفقنا . . . !

أومأت ليندا برأسها وقالت بيأس:

-اتفقنا ، ولكن حينها ستقولين لي ما تخبئينه عني .

-حسنًا ، اتفقنا .

رحلت ليندا وطارت بجذائها النفاث وهنا وقفت فريدة أمام المرآة وسألت نفسها :

-ها يا فريدة ! هل ستقومين بالتجربة النهائية بالوقت المتبقي من تجربة اليوم . . . ؟

لا، لا، أخاف الوقت لا يسعفني على انهائها ، نحتاج وقت للحفر والمواجهة ولا أدري كم نحتاج من الوقت . . . !

وأظن أن يكون معي الكثير من الوقت أفضل بكثير من أن يكون الوقت قليل .

جلست فريدة على الكرسي الموجود أمام المرآة وأمسكت رأسها ، وأردفت:

-أووه، أريد أن أنهي هذا الأمر حالًا . . .

رفعت رأسها أمام المرآة وقالت:

-لا ، بل سوف انتظر لمنتصف الليل أي بداية يوم جديد وأبدأ تجربة جديدة بوقت كامل .

***

الفصل العاشر

المواجهة

استغلت فريدة الوقت حتى منتصف الليل في حفظ الآيات والأذكار التي كتبها لها الشيخ منصور، وقامت بنقل التسجيلات على هاتفها كي تقوم بتشغيلها .

وها هي الساعة صارت الثانية عشر بعد منتصف الليل، تأهبت فريدة لبداية المغامرة ووقفت أمام مرآتها وترفع شعرها وتتنفس الصعداء وتحفز نفسها ولكن وهي تنظر لنفسها فجأة تذكرت شيء، تذكرت أن ترتدي سلسلة أمها التي تحمل لفظ الجلالة الله لأنها قامت بخلعها، ارتدت السلسلة وتوكلت على الله وبدأت التجربة الأخيرة.

قررت أن تعود بالزمن لكي تتأكد بالفعل من تاريخ هذا البيت بنفسها، فذهبت للحظة التي قتل فيها فتحي عليا، وها هي تمر السنين بالجهاز سريعًا لكي ترى كل ما حدث.

في سنة 2004 بدأ فتحي بناء البيت للعائلة التي اشترت الأرض، برغم مرور السنين فتحي لم يجازف بحفر وعمل أساس للبيت ولكن أمر العمال بالبناء فوق الأرض بحجة أن الأرض طينية، بل طلب منهم أن يقوموا بإضافة عدة طبقات من الردم فوق الأرض قبل البناء، ونفذ العمال ما قاله لهم.

قاموا ببناء بيت ذا طابقين، لقد تعب العمال في بناء هذا البيت لقد استمر بنائه عدة أشهر، كان العمال يقومون ببناء جزء يأتون في اليوم التالي يجيدون أنه ليس كما تركوه بالأمس، لقد خاف البعض وترددوا وأصبحوا لا يأتون وهذا اخر عملية البناء أكثر، بسبب خوف العمال من القدوم لهذا البيت.

تم الانتهاء من البيت بأعجوبة وها قد جاءت العائلة لكي يسكنوا في هذا البيت، حياتهم به كانت بخير لمدة أسبوع واحد فقط، ولكن بعد أسبوع بدأت الأم تشتكي لزوجها أنها تسمع من يطرق كثيرًا على الباب بالرغم أنها لم تقم بتكوين علاقات مع الجيران، ان المنطقة صارت بها بيوت أكثر مما كانت عليها من قبل، انكر زوجها وقال لها أن هذا بفعل الرياح، وازدادت كوابيس الأم وكل يوم تقوم مفزوعة مما تراه أثناء

نومها ، ترى امرأة تقول لها أن ترحل من البيت إلا الموت، ولكن زوجها رفض وقال لها كيف سيترك البيت الذي دفع به كل ما يملك ويرحل منه بسبب كوابيس، وصارحها أنه كذلك يرى كوابيس ولكن لن يترك البيت أبدًا .

وفي يوم خرجت الأم ليلًا كي تشرب، فمرت أمام غرفة أولادها ذا الست والخمس أعوام وسمعت ضحكاتهما فقررت أن تدخل عليهما كي تراهما ، ولكنهما كانا نائمين في سبات عميق، وبمجرد أن أغلقت الباب والتفتت وهي تتمتم بأنها يخيل لها ، رأت امرأة وجهها متحلل البعض والبعض لا ، وذات جلد متعفن، مشعثه الشعر وصرخت في وجهها :

-ارحلي من هنا . . .

هنا أغمضت عينها وصرخت صرخة ففزع كل من في البيت، هنا الطفلين في الغرفة استيقظا وصارا يصرخان أمي أمي . . .

وهنا الأب خرج من غرفته كي يرى زوجته، وأخذها وفتح باب غرفة الأطفال ودخل هو وزوجته .

أخذ زوجته في حضنه وهم الولدين في احتضان أبيهما وصارا يبكيان على بكاء أمهما . . .

والزوج لا يفعل شيء سوى أنه يمسح على شعر زوجته كي يهدأ من حالها ، وبعد أن

كفت الزوجة عن البكاء مسحت دموعها باندفاع وقالت لزوجها وهي تمسك به:

-دعنا نرحل من هنا أرجوك، لن أستطيع أن أعيش هنا بعد الذي رأيته . . .

أخرجها زوجها من حضنه وقال لها بتوتر وغضب:

-ماذا بيدي أن أفعل . . . ؟ ليس لدي حل سوى العيش هنا .

سوف أخذ أولادي وأرحل من هنا ، سأذهب للعيش مع أهلي .

ازداد غضب زوجها وقال لها :

-يعني يكون لنا بيت وتريدين أن نكون عالة على غيرنا . . . !

بكت مرة أخرى وقالت:

-عالة عالة على الأقل أعيش في أمان .

اقترب منها زوجها وقال لها وهو يقوم بسحبها كي تقف ومن ثم لمس وجهها برفق:

-دعينا نشغل قرآن في البيت كي يبعد عنا هذه الكوابيس والهلوسة، سنتغلب على كل ذلك ولكن فكرة الرحيل ممنوع.

نظرت له زوجته بيأس ومن ثم التفتت لأولادها وأعادت كل منهما لسريره وقبلتهما وطمأنتهما، وبالفعل قامت بتشغيل الراديو في التسجيل الخاص بها، وبدأت تطمئن بسماع القرآن في الراديو، ولكن هذه الراحة لم تدم كثيرًا، لأن الراديو قد انفجر تمامًا.

هنا قامت مفزوعة وتمسكت بزوجها الذي أخذ يهدئها ويوضح لها أنه أمر عادي.

ولكنها بدأت في البكاء وهي تترجاه أن يرحلوا، ومن ثم وهي تنظر لزوجها لمحت المرآة يكتب عليها بالدم "الانتقام سيبدأ".

هنا صرخت سلمى لعاصم وهي تؤشر بيدها المرتجفة تجاه المرآة:

-انظر يا عاصم انظر التحذير.

هنا التفت عاصم وهو ممسك بيدها وقال والدهشة قد رسمت على وجهه:

-لا يوجد شيء يا سلمى يا حبيبتي، يجب أن ترتاحي اهدئي.

ولكن سلمى صارت في حالة هيستريا وقامت من مكانها ووقفت أمام المرآة وقامت بلمس الدم بعنف كي تري زوجها ، ولكن زوجها هم من السرير وضربها كف كي تفق من هذه الحالة ومن ثم أمسك يدها وقال لها بغضب كي تهدأ :

-اهدئي، ماذا تفعلين لقد جرحتِ نفسك . . . !

هنا بدأت سلمى في التقاط أنفاسها ونظرت له وقالت بهدوء كي توضح له وهي تبكي:

-لم أجرح نفسي، انه الدم الموجود على المرآة .

امسك عاصم يدها وجعلها ترى الجرح .

هنا دهشت سلمى وقالت وهي تذرف الدمع:

-لكن صدقني كان هناك تحذير أقسم لك .

ومن ثم فاقت من شرودها وحزنها وسألته وهو يأخذها للسرير:

-ولكن كيف جرحت . . . ؟

قام عاصم بإحضار مطهر من الحمام وشاش كي يعالج لها الجرح، ورد عليها وهو يتحرك:

-ألا ترين أن هناك كسر في المرآة، حدث أثناء نقلها لهذا البيت . . . ! !

همست سلمى وهي تتألم من المطهر الذي سقط على جرحها :

-آه، كان يوم أسود يوم ما نقلنا إلى هنا .

هنا سمعا صوت أذان الفجر، ومن ثم همس لها عاصم وهو يقوم بربط الشاش على جرحها ومن ثم هم واقفًا مقبلًا رأسها :

-لا تقلقي يا حبيبتي، كل شيء سيكون بخير بإذن الله .

ومن ثم جعل سلمى تتمدد على السرير ونام بجوارها .

هنا قامت سلمى مرة أخرى:

-لو تكرر موقف اخر أرجوك دعني أعود لأهلي في أسوان أنا والأولاد .

هنا قام عاصم بغضب وقال:

–سلمى، منذ قليل لم أرغب أن أوضح أمام الأولاد ها ، أنتِ تفهمين جيدًا أننا لن نستطيع أن نعود مرة أخرى ولن نرى أهلنا .

أنتِ تعلمين جيدًا أنا فعلت المستحيل كي نبدأ بداية جديدة بهويات جديدة بعد الذي فعلناه .

ترددت سلمى وقالت:

–ولكن أمام القانون أنت الذي قتلت وسرقت مديرك الذي ظن أنك صديقه المقرب وأمن لك وأدخلك بيته وقال لك كل أسراره .

فتح عاصم علبة السجائر وأشعل سيجارة وقال بحنق:

–الدنيا غير عادلة يا سلمى، هو يكبرني بعامين فقط وهو صاحب الشركة بالرغم أن الأفكار يستمدها مني .

هنا قالت سلمى بندم:

–آه يا رب لَمَ طمعنا ، أنت كنت مساعد مدير ، لَمَ نظرنا لحال غيرنا ، ها نحن ذا لم نهنئ قط بالمال .

-هذا ما حدث يا سلمى، أرجوكِ لا تذكري لي هذا الموضوع مرة أخرى، وفكرة الرجوع ممنوع، لأنك إن عدتِ سيصلون لي من خلالك، بدأنا مع بعض فلنكمل سويًا .

ولا أنتِ معي في الحلوة والمرة لا . . . !

نظرت له سلمى بحسرة ويأس وأردفت:

-معك .

ومن ثم تنفست بحسرة أكثر وأخذت تمدد جسدها على السرير ونظرت للسقف، وأكملت تمتمتها :

-معك يا عاصم للأبد .

في اليوم التالي كان الوضع هادئ نهارًا كالعادة، قررت سلمى ألا تشغل بالها بالكوابيس والهلوسة التي تراها من أجل أن تعيش في سلام مع عائلتها .

في يوم طارق وسالم طلبا منها أن يصعدا للسطح كي يلعبا لأنها ترفض أن يلعبان في الشارع، فسمحت لهما بساعة ومن ثم نزلا .

وبعد ساعة قلقت عليهما وقررت أن تخرج تنادي عليهما فنظر لها سالم الصغير وطلب منها المزيد من الوقت، وافقت بمجرد أن رأت ضحكة ابنها أمامها .

بعد ساعة أخرى وهي مشغولة في تحضير الغداء لأن زوجها في الطريق سمعت صوت شيء سقط من علٍ، وتوازى مع صوت السقطة صوت صراخ طارق .

تركت ما في يدها وهمت مسرعةً وفي ثوان وصلت للسطح، حينها كان طارق ينظر لأسفل وبمجرد أن سمعت صوت أمه التفت لها وهو يبكي واقترب منها وقال لها :

-لست أنا من فعل ذلك أقسم لكِ .

هنا جرت سلمى تجاه السور رأت ابنها الصغير غارق في دمه .

هنا لم تسمع لبكاء ابنها ولا لدفاعه عن نفسه، همت مسرعة في النزول .

وها هي تحتضن ابنها الذي سقط على صخرة حادة أمام البيت، هنا بدأت تصرخ وهي تضع رأسه في حضنها وتمسك يده بيدها الغارقة في الدم وتقبلها وتضعها على وجهها وهي مجهشه في البكاء ، وطارق جلس بجوارها وهو يبكي معها ، ولكن فجأة توقفت سلمى عن البكاء وسألت طارق بغضب مكتوم:

-لِمَ فعلت ذلك بأخيك لِمَ . . . ؟

-أقسم لكِ يا أمي، لم أفعل ذلك، بل جواد هو من فعل ذلك .

هنا نظرت له أمه بدهشة وسألته والدموع تنهمر من عينها :

-من هو جواد . . . ! ؟

-طفل أصغر من سالم بقليل كان يأتي للعب معنا منذ أن أتينا لهذا البيت .

حتى في اليوم الذي فتحتي علينا الباب في الليل كان هو من يلعب معنا ، وهو الذي اخبرنا أنكِ قادمة فتصنعنا النوم .

أخذته في حضنها وقالت له بندم وهي تبكي:

-لِمَ لم تقل لي هذا يا طارق . . . ! ؟ لِمَ . . . ؟

-جواد قال لنا ألا نقول لكِ لأنك ستمنعيننا من اللعب معه . .

أخذت جثة ابنها ولم ينتبه أحد للحادث حتى، المنطقة هادئة جدًا والناس كلهم في بيتوهم وفي حالهم تمامًا وخاصة أن الوقت اقترب على المغرب وهذا وقت عدم تواجدهم بالفعل .

صعدت لشقتها كي تتصل بزوجها وتقول له ما حدث وهي مجهشة في البكاء وهي تتجه ناحية المطبخ كي تغلق على الطعام الذي تركته .

ولكن قبل أن تغلق الغاز، شعرت بوخز في ظهرها .

فألتفتت مسرعة مفزوعة باكية، رأت ابنها طارق محمر العينين وممسك بسكين ويبتسم لها ، هنا تراجعت بظهرها ناحية موقد الغاز وهي توشر له بيدها ألا يقترب منها ، ولكنه بدأ يقترب منها ببطئ وعلى وجهه تلك الابتسامة التي زرعت في قلبها الفزع منه، ولكن سرعان ما قطع خوفها اصطدامها بطنجرة الطعام الذي سقط على جسمها جعلها تصرخ بشدة وفقدت تركيزها مع طارق، استغل طارق لحظة انحنائها عندما سقط عليها الحساء الساخن، فقام بطعنها في ظهرها ، فسقطت غارقة في دمها ، هنا اقترب طارق وقام بفتح باقي الغاز، وقام بغلق كل منافذ الهواء في البيت، ومن ثم عاد يجلس بجانب أمه وجثة أخيه .

بعد نصف ساعة وصل عاصم البيت، بعد أن استغرب من الدم الموجود أمام بيته، وبمجرد أن دخل نادى على زوجته ولكن لا يوجد رد ، قرر الدخول غرفته كي يغير

ملابسه، وبعد أن غير ملابسه قرر أن يشعل سيجارة وهو ينادي مرة أخرى وهو متعجب من هدوئها هي والاولاد .

ولكن تفكيره لم يدم كثيرًا ، لأن في ذات اللحظة حدث انفجار كبير في البيت، جعل البيت يرتجف تمامًا فأنكسر ما به من أبواب ونوافذ وامسكت به النيران، وبعد صوت الانفجار تجمع الجيران عند البيت واتصلوا بسيارة المطافئ كي تطفئ هذه النيران ولكن لم تتمكن من اطفاء النيران إلا بصعوبة، ولم يجدوا أي جثث من يسكنون البيت، وبعد هذا الحادث ظل هذا البيت مهجور .

اكتفت فريدة بهذا القدر وقالت في قرارة نفسها :

-ان الحرام لا يدوم أبدًا والله لا يرضى بالظلم، ولكن ما ذنب الأطفال . . . ! أووووه، أكيد للرب حكمة في كل ذلك .

من ثم قررت أن تعود للحظة الذي كانت فيها مع فارس وخاصة عند اللحظة الذي طلب منها المساعدة .

ها هي فريدة أمام فارس وتقول له بثقة:

-طبعًا سوف أساعدك يا فارس، لقد تخلى العالم كله عنك، ولكن لن اتخلى عنك أبدًا يا فارس .

طلبت فريدة أن ينتظر بضع دقائق، ذهبت لبيت جدها والكل نيام وأحضرت أدوات تساعدها على الحفر فأسين وجاروفين حفر .

طبعًا دخلت البيت كطيف وعندما نزلت أكملت التمويه على الأشياء التي تحملها كذلك، أول ما وصلت البيت تعجب فارس لما رآه معها، سألها بتعجب:

-ما هذا يا عجيبة . . . !

-لا تسألني كثيرًا فقط تعالى ورائي .

هنا نظر لها فارس بضجر وأردف:

-مكتوب عليَّ ألا أفهم شيء في حياتي .

شعرت فريدة بأسف تجاهه واعتذرت له وأردفت موضحة:

-الموضوع طويل يا فارس، وليس لدي وقت، أريد أن أنهي هذا الأمر ومن ثم سوف أفهمك كل شيء .

ولكن كي تفهم سوف ننزل للطابق الأول، وفي الغرفة الموازية لهذه الغرفة سوف نبدأ بتكسير الأرضية والحفر . . .

ازداد تعجب فارس وتسأل:

-لماذا يا عجيبة فهميني . . . ! ؟

-كي نخرج بقايا جثة ونقوم بحرقها كي تتخلص من الأذى الذي لحق بك .

-لا أفهم شيء .

-أرجوك، هذا ليس وقت للفهم، أريدك أن تثق بي أني سوف أساعدك وكفى . . .

اقترب منها فارس ونظر لها بحنو:

-أثق بكِ يا عجيبة .

ابتسمت له فريدة ومن ثم أخذا الأدوات ونزلا وهمت فريدة بمسك فأسها كي تساعد في التكسير ولكن فارس طلب منها أن ترتاح وهو سوف يتكفل بالقيام بكل شيء لأنه معتاد على هذا، ولكن فريدة رفضت وأعلنت الرغبة في البدء حتى ولو المساعدة بالقليل خوفاً من ضياع الوقت .

وبعد أن بدءا في الحفر ارتجف البيت رجفة قوية اسقطتهم أرضاً .

فقام فارس وساعد فريدة في القيام من مكانها ولكن سرعان ما لمست فريدة خاتمها

وقامت بتشغيل القرآن والرقية والأذكار التي سجلها الشيخ منصور .

هنا سألها فارس متعجبًا :

-ما الذي حدث يا عجيبة . . . ؟

همت فريدة بإمساك الجاروف الاخر وقالت له مسرعة:

-هيا يا فارس أكمل معي بسرعة أرجوك .

ها هو فارس بكل ما أوتي من قوة

يحفر والرجفة تزداد أكثر .

فارس يعيد تسأله بعد أن تمكن الرعب منه:

-ما الذي يحدث يا عجيبة أفهميني . . . !

ردت عليه فريدة وهي تلهث من شدة الحفر:

-ردد مع القرآن يا فارس، ردد ما تسمعه أرجوك .

بدءا في ترديت القرآن وها هما قد وصلا لبقايا الجثة، وبمجرد أن هم فارس برفعها كما طلبت منه فريدة . . . سقطا أرضاً من قوة الاهتزاز، فسقطت الجثة على فارس فرماها مسرعًا عنه وقام مفزوعًا ، قامت فريدة مسرعةً وأخذت الخشب والقماش الذي احضرته من الشقة التي كان بها فارس، ورمتهما على الجثة، ومن ثم التفتت نحو فارس واليأس قد رسم على وجهها وأردفت:

-نسيت أن أجلب قداحة .

نظر لها فارس في حيرة وأردف:

-وماذا سنفعل الآن . . . ؟

هنا تذكرت فريدة وقالت لفارس:

-أنت قلت لي أنك قبل أن تأتي هاربًا إلى هذا البيت لقد قابلت جواد قبل أن تقتله، كان جواد يدخن . . . !

هز فارس رأسه أي نعم، فطلبت منه أن يبحث في جيبه، وبالفعل لقد وجدها .

أخذتها منه واعطته ظهرها وهمت بإشعال الجثة، ولكن سرعان ما تلقت ضربة قوية من الخلف اسقطتها أرضًا بعد ان اصطدمت في الجدار الذي أمامها . . .

هنا التفتت فريدة ورأت فارس قد احمرت عيناه وقال متهكمًا :

-ها قد حفرتِ قبركِ بنفسك يا فريدة أو أقول لكِ مثل أخي الأخرق يا عجيبة، استعدِ لنهايتكِ .

تمالكت فريدة قواها وقامت وهي تقول بغضب:

-بل نهايتك أنت يا أيها الشيطان .

هنا بدأت فريدة بجعل الصوت أعلى من خاتمها وبدأت تردد القرآن بحزم وهي تقترب منه، هنا صار جسد فارس يرتفع في الهواء وتعالت الضحكات التهكمية على فريدة، ولكن فريدة لم تعبأ بتهكمه ولم تخف من ارتفاعه في الهواء .

وأخذت تردد بكل يقين الآيات، ولكن فجأة خرج من الأرض أشباح، شبح عليا وسلمى وعاصم والولدين الصغيرين، من ثم احاطوا بها .

هنا فريدة اوشكت على الصراخ فزعًا من قبح أشكالهم . . .

ولكنها تذكرت الشيخ منصور بأن عليها ألا تتراجع، لأنها إذا تراجعت أو خافت سوف يتمكنوا منها ، ولكنها بسرعة ارتفعت في الهواء وأخرجت من جيبها قارورة مياه صغيرة، وبدأت برشها على كل من في الغرفة وهي تردد رقية طرد الشيطان، وبالفعل بدأت الاشباح في الصراخ والاحتراق الذاتي إلى حد الاختفاء .

وبمجرد ما قطرات الماء المقروء عليه القرآن والرقية الشرعية التي قامت فريدة بتحضيره في أثناء انتظارها وقت التجربة، بمجرد أن سقط على وجه فارس صرخ بقوة وبدأ وجهه في التأكل .

ومع قوة الصرخة تحرك بسرعة وامسك فريدة وقام بضربها في جدار الغرفة، فسقطت من علٍ تتأوه من اثر السقطة، ومن ثم رفعها فارس من شعرها ويرفعها في الهواء ويقول لها متهكمًا :

-تظنين أنكِ ذكية يا فريدة . . . ! أنا من تركتكِ لكي تصلي لهذه النقطة والآن سيبدأ العقاب .

ومسك يدها التي ترتدي بها خاتم هاتفها ، بدأت تخرج من عينه شعاع أحمر حارق بدأت فريدة تشعر بحرارته قبل أن يصل ليدها .

كانت فريدة برغم آلامها تنظر له بتحدٍ وقبل أن يكمل كلامه، فعلت في الجهاز خاصية الطيف، فأنحلت قبضة جسد فارس الذي تلبسه جواد .

في خلال ثوانٍ كانت فريدة كانت طيف ولكن تلك الثوانِ كانت كفيلة أن تدمر الأشعة خاتمها واحتراق اصبعها ، ولكنها لم يكن لها وقت تتألم به .

طارت في الهواء كطيف أمامه بغضب وهي تخرج من تحت ملابسها سلسلة لفظ الجلالة الله وامسكتها وقالت له بجزم:

-لقد تمكنت من اسكات صوت خاتمي، ولكنك لن تتمكن من اسكاتي أنا .

هنا هم بالهجوم عليها ، ولكنها اختفت تمامًا فأرتطم جسد فارس المادي في الجدار .

فقالت له وهي ما زالت رافعة لفظ الجلالة الله في وجهه:

-اترك جسد فارس يا جواد، وهيا واجهني جسد اثيري مقابل جسد اثيري. . .

اخرج فارس من هذا القتال.

هنا ضحك جواد متهكمًا وقال وعينيه تشتاط نارًا:

-نهايتي تعني نهاية فارس.

-ان لم تخرج منه يا جواد سوف اخرجك أنا، وبدأت بقراءة القرآن مع تقريب

السلسلة تجاه فارس.

هنا بدأ فارس في تشنجات على الأرض، وجواد بداخله يصرخ بصوت اجش

ويقول:

-لن أخرج منه، وان خرجت ستكون نهايته.

بدأت فريدة تستغل تشنج حركته أرضًا وبدأت ترش على جسده ما تبقى من الماء،

بدأت الحروق تبرز على جسد فارس، بل وقطرات الماء بدأت تأكل ملابسه أي كأنها

نار ولكنها برغم بكائها وخوفها على فارس أكملت ذكرها، وهنا بدأت الجسد في

التشنج أكثر والارتفاع بشكل أفقي في الهواء.

وتكرر الصوت الأجش من بعد الصراخ:

-اتركيني، حرريني وسوف أترك فارس يعيش في سلام ولن اؤذيكِ أبدًا .

قررت فريدة ألا تثق في ابن ابليس ذا، واكملت ترتيلها للآيات .

هنا اشتد الصراخ أكثر وأكثر وارتجف البيت من قوة الصوت، ولكن فريدة ظلت متماسكة عندما بدأت ترى الدخان يتصاعد من جسد فارس .

علمت حينها أنها أوشكت على التمكن منه، بدأت فريدة في تكرار الاذكار بصوت أعلى، وهنا سمعت صوت جواد:

-سوف تندمين على فعلتكِ .

ولم يكمل كلامه لأنه صرخ صرخته الأخيرة، في تلك الثانية سقط فارس من علٍ . . .

وهنا كانت الصدمة .

***

الفصل الحادي عشر

النهاية

في نفس اللحظة التي تمكنت فيها فريدة من التمكن من جواد سقط فارس في غمضة عين . . .

ولكنها لم تكن مجرد سقطة عادية، سقط فارس على الفأس الذي كان يحفر به . . .

طعن فارس بالفأس بقرب من قلبه، هنا سقطت فريدة بجواره صارخة وهي تضع يدها على صدره الملطخ بالدم، حاول فارس أن يفتح عينيه وقال بصعوبة بالغة:

-أشكركِ على ما فعلته من أجلي يا عجيبة .

اتمنى لو أراكِ في الحياة الاخي . . .

لم يكمل كلامه ومات، مات وعينيه تنظر لعيني فريدة . . .

هنا صرخت فريدة وهي تبكي بحرقة:

-أرجوك لا تتركني يا فارس، لقد فعلت المستحيل كي تكون معي، لمَ يا رب لمَ . . . ؟

مالت فريدة على صدر فارس وبدأت تبكي بقوة وهي ممسكة به، رافضة فكرة رحيله عنها .

جلست فريدة بجوار فارس تبكي ومن ثم شرد ذهنها إلى أن تحولت الجثة إلى مجرد رماد، من ثم أخذت الرماد كما طلب منها الشيخ منصور ونقلت نفسها للإسكندرية وقامت برميه في البحر، ما زالت تبكي وبدأت تشكي للبحر حالها وعلى حظها العاثر لأنها إذا تعلقت بشيء تخسره .

الآن فريدة تنظر للبحر وتسأل ماذا عليها أن تفعل . . . !

قررت أن تعود للحظة التي ودعت فيها رانيا والشيخ منصور كي تحكي لهما ما حدث .

وها هي تقف أمامهما وقالت لهما باكيةً:

-لقد فعلت كل شيء كما قلت لي وتخلصت من جواد ورميت الرماد، ولكن فارس لقد مات، أنا السبب في موته، أنا السبب .

وبكت بكاء هيستيري وسقطت أرضاً ، جلست رانيا بجوارها وأخذتها في حضنها وأخذت تنظر للشيخ منصور وهي تربت عليها .

تكلم حينها الشيخ منصور مهوناً عليها :

-يا بنيتي الموت لا يوجد أحد يمكن أن يكون السبب به، الموت مقدر ومكتوب لنا في يوم سوف نموت فيه، مهما حاولنا تغير مصير الموت سوف يقع الموت .

يعني ان لم يمت فارس أمام عينيكِ، لكان مات بمفرده ، أو مات في المستشفى وكله في نفس اليوم .

مسحت فريدة عينها وقالت للشيخ موضحة:

-ولكن عندما ذهبت للمستشفى نهاراً عندما نقل إليها ، كان مازال على قيد الحياة .

-ولكنكِ قلتِ انه كان يتعرض لنوبات هناك .

قد تختلف طريقة الموت يا فريدة، يمكن جواد كان يرغب في عذاب فارس قبل موته . . .

ولكنكِ كما قلتِ تمكنتِ من جواد فأراد أن ينتقم من فارس سريعًا قبل فوات الأوان . . .

أنتِ تعلمين أن هناك أرواح تظل معلقة في هذه الحياة رغبة في الانتقام ومن ثم ترحل .

بكت فريدة وقالت بيأس:

-وما فائدة كل ما مررت به . . . ؟ ما حكمة الله في كل هذا . . . ؟ مادام جواد كان يرغب في الانتقام من فارس ويرحل عن هذا العالم.

-الله يا بنيتي كل شيء يفعله لحكمة، جواد لم يكن مجرد روح عادية، أكيد لم يكن سيكتفي بالانتقام من فارس وكفى، بل كان سيظل في الحياة ويشيع فيها الفساد، وهذا ما شاهدتيه بنفسك، لا تعترضي على قدر الله يا بنيتي، أنتِ فعلتِ ما عليكِ وسوف تري حكمة الله فيما بعد .

بعد أن تمالكت فريدة نفسها ومسحت دمعها ، ودعتهما ، وقررت أن تعود بالزمن ورأت ما حدث لفارس في حياته لو كانت هي لم تظهر له من الأساس .

بالفعل رأت فارس يتعرض للتعذيب تحت يد جواد ، ها هو يقيده، ويحرق في جسده، ويسلخ جلده عن جسمه وهو على قيد الحياة، ومن ثم بدأ في تقطيع أجزاء جسمه،

وكل ما اغمى على فارس ينتظر كي يفق من جديد ويستمر في تعذيبه إلى أن مات فارس من شدة الألم والعذاب .

هنا فريدة خرجت من البيت وسألت نفسها بندم:

-آه كيف لم يأتي في بالي أن أرى مصير فارس . . . !

لا تندمي يا فريدة، كل شيء كان لحكمة، قدر الله ما شاء فعل، على الأقل مات فارس موتة أكثر رحمة مما مات عليها ، ويمكن بالفعل لقد خلصت العالم من شر جواد ابن لوسيفر ، ممن ثم مسحت فريدة دمعها الذي صارت غير قادرة على التحكم به .

قررت أن ترى ما كان مصير هذا البيت بعد موت فارس .

ها هي تمر بالزمن سريعًا لأنها لا ترى أحداث مهمة، رأت أبيها مراد وأمها قررا أن يعرفا حقيقة هذا البيت، لأن مراد قرر أن يشتريه ان عرف له صاحب ويقوم بإعادة بناءه، وبمجرد أن دخل مراد البيت رأى شبح امرأة غاضبه ومعها ولديها الاثنين وقالت له غاضبة:

-اخرج من بيتي . . .

هنا التفت مراد وأخذ وتين من يدها وقال لها بتوتر:

-ماذا حدث يا مراد . . . ! نحن ما زلنا لم نصعد الدرج حتى، لا تقول لي انك خائف، أنت قلت لي أنك لا تؤمن بهذه التخاريف.

استمر في سحبها إلى أن خرجا دون ان ينطق بكلمة وقال لها:

-كل ما في الأمر اني غيرت رأيي وسنعيش في القاهرة.

-ولكنك قلت لي اننا سنعيش هنا من أجل أهلي وأهلك . . . !

-وتين هذا قراري، أرجو عدم فتح الموضوع مرة أخرى.

ومن ثم ظل البيت مهجور . . .

ولكن فريدة ظلت تفكر ، هذا ما حدث قبل أن أغير الأحداث وتخلصي من الأرواح الساكنة في البيت . . .

هذا معناه إن عدت بالزمن بعد تغيري فيه، هذا يدل على أن أبي وأمي سيذهبان للبيت وأبي لن يرى تلك الاشباح ويمكن أن يعيد بناء البيت.

ولا أدري ما يمكن أن يحدث ان غيرت جزء كهذا من حياتي . . .

أوه، ماذا عليَّ أن أفعل الآن . . . ؟

قررت فريدة أن تكون في البيت في اليوم الذي سوف يأتي فيه أبيها وأمها . . .

وعندما دخلا الاثنان، قامت فريدة بطلق شعرها وغطت به وجهها وطارت في الهواء كطيف وقالت لهما محذرة صارخة أن يخرجا من البيت .

وبالفعل لقد صرخت وتين من خوفها فأحتضنها مراد وخرجا بسرعة، وقررا سويًا إلغاء فكرة هذا البيت تمامًا .

هنا ارتاحت فريدة أنها اطمئنت أنها لم تغير شيء في حياة والديها . . .

من ثم قررت أخيرًا العودة إلى جثة فارس تنظر له بحسرة باكية وتسأل:

-ماذا سأفعل بجثتك يا فارس . . . ! هل سأدفنك هنا . . . ! أم ماذا عليَّ أن أفعل . . . !

قررت فريدة العودة لبيت فارس في شبرا، وبالفعل رأت أمه رحاب تعيش بمفردها في شقتها .

قامت الأم مفزوعة من نومها، صارخةً:

-فارس . . . أين أنت يا ولدي . . . !

همت الخادمة على صوت رحاب ودخلت الغرفة وأعطتها كوب ماء ودواءها المهدأ، من ثم قامت رحاب بلم شعرها الحريري الذي اختلط به الكثير من الشيب .

ها هي تنادي بحسرة:

-آه أين أنت يا فتحي . . . ! وأين أنت يا فارس . . . ؟

بدأت الخادمة تربت عليها ، هنا قررت فريدة أن تخرج وتطرق باب شقتها وتخبرها بمكان ابنها ، وبالفعل دخلت فريدة وقالت لها على مكان فارس .

ولكن بمجرد أن بدأت رحاب تسألها بلهفة غير مصدقة:

-ابني فارس، أنتِ تعرفين فارس حقًا . . . ! كيف عرفتِ مكاني وكيف عرفتِ مكانه . . . ؟

هنا ظلت فريدة ساكتة لا ترد، فكانت كلما سكتت سألت رحاب المزيد من الاسئلة .

فجأة قررت فريدة أن ترحل دون أن ترد لأن عينها بدأت تبكي على لهفة أم فارس .

وبمجرد أن خرجت وأغلقت الباب وراءها .

حاولت رحاب أن تلحق بها وتفتح الباب، ولكنها لم تجدها قط .

طبعًا اتصلت رحاب بشرطي تعرفه معرفة شخصية وابلغته على مكان فارس .

وبالفعل عثرت الشرطة على جثته وتم نقله للمستشفى في القاهرة .

هنا اتصل بها الشرطي واخبرها بمكان ابنها .

وتم اللقاء بعد غياب دام لتسع سنوات .

قررت أن تدفنه في حديقة بيتها الموجود في السادس من اكتوبر .

وقررت أن تستقر هناك، هي وابنها فارس . . .

اغلب وقتها تقضيه في الحديقة أمام قبر ابنها ، الذي تحكي معه طول الوقت وكأنه يسمعها .

***

عادت فريدة إلى حياتها مرة أخرى . . .

هنا وقفت أمام مرآتها وشرعت في البكاء على فراق فارس، وهناك صوت بداخلها يقول لها :

-لِمَ تبكين على فارس لهذا الحد ، حتى وان كان ظل على قيد الحياة لكان في الوقت الحالي رجل تخطى ٣٨ عامًا ويمكن ان يكون لغيرك . . .

هنا نظرت للمرآة وقالت بندم:

-على الأقل سيكون على قيد الحياة .

هنا بدأت تشعر أن قدماها لا تستطيع أن تحملها فقررت أن ترمي نفسها على السرير، وهنا لم تشعر بشيء سوى في صباح اليوم التالي، سمعت من يطرق على شرفة غرفتها ، فقامت مفزوعة بسبب قوة الطرق .

فتحت عينيها رأت ليندا واقفة غاضبة، فهمت بفتح الشرفة فدخلت ليندا وسألتها بلهفة:

-لِمَ ها تفك مغلق يا فريدة . . . ؟

هنا نظرت ليندا ليد فريدة وقالت صارخة بدهشة:

-ماذا حدث ليدكِ . . . ؟

عادت فريدة للسرير وتمددت وقالت بتعب:

-حادث بسيط، لا تشغلي بالكِ .

قررت ليندا أن تهتم بفريدة وأن تقضي معها اسبوع حتى تتحسن حال رفيقتها .

وبعد ذلك عادت فريدة لدراستها ولأصدقائها ، ولكن مع شرود كثير في أغلب الأحيان .

***

تمر السنين وها هي فريدة وليندا قد تخرجتا ، وتوماس قد قرر أن يسافر أمريكا بعد أن يأس من محاولاته في اقناع فريدة، لذا قرر أن يبعد ويعتزل ما يؤذي قلبه ما دام لا يستطيع الحصول عليه .

بالفعل ان لم يكن بإمكانك شراء قطعة الحلوى فلا تظل واقف أمامها ، لأن هذا سيزيد الأمر سوءًا .

قامت فريدة بافتتاح عيادة للعلاج النفسي هي وليندا ، باختلاف مواعيد الدوام .

كانت فريدة تحب عملها جدًا، لأنها تشعر بلذة رهيبة عندما تتمكن من تخلص مرضاها من عقدهم النفسية.

وفي يوم بعد أن اكملت دوامها الليلي وقررت أن تغلق العيادة.

وهي تقوم بوضع الرقم السري على مقبض الباب، هنا شعرت بإن هناك صوت خطوات تأتي من خلفها، التفتت مسرعة فرأت شيء جعل ضربات قلبها المتسارعة تتسارع أكثر، ولكن مع سماعها للصوت بدأت تلتقط انفاسها:

-هل يوجد أحد بداخل العيادة، كنت أرغب في استشارة سريعة.

ظلت فريدة مذهولة مما تراه عيناها، تنظر من رجله لرأسه، هو، أنه هو فارس، نفس الطول العرض العضلات، الشعر الناعم الطويل ولكنه قام برفعه لأعلى، نفس اللحية، ولكن الفرق العين لونها رمادي اختلط بالأخضر.

ولكن سرعان ما فاقت من شرودها وقالت:

-لقد انتهى الدوام و...

هنا ازاح الشاب نظره هنا وقال معتذرًا:

-آوه، حسنًا ، شكرًا لكِ .

وهما بالنزول ولكن فريدة اوقفته وقالت له بلهفة:

-ولكن يمكنك أن تسألني ما تريد أنا الطبيبة التي أعمل هنا .

نظر لها وارتسمت على وجهه ابتسامة وسألها :

-اسألك هنا . . . !

توترت فريدة وقالت له ضاحكة:

- كما تشاء، ان كنت ترغب في دخول العيادة لا أمانع .

ابتسم وقال لها :

-سأكون سعيد ان دخلت العيادة، ولكن سأكون أسعد ان قبلتِ دعوتِ في

احتساء القهوة .

لم تتردد فريدة ووافقت وهي في قمة سعادتها . . .

ارتسمت السعادة على ملامحه عندما وافقت فريدة .

نزلت فريدة معه وهي تخطف نظرات له وتقول في قرارة نفسها :

-انه هو، هو بالضبط .

نظر لها نظرة تعجب ولكن سرعان ما ابتسم، هنا اكملت فريدة تساؤلاتها لنفسها :

-اوه يا حمقاء كيف توافقين على الخروج معه بهذه السهولة . . . ؟ ولكن كيف لي أن أرفض هذه الفرصة بعد غياب قد طال أكثر من ثمان سنوات .

أحقًا هو . . . ؟ أووه كيف يكون هو . . . ! إذا كان على قيد الحياة لكان عمره تجاوز ٤٦ عامًا .

هنا وصلا أمام باب العمارة فقطع شرودها صوته وهو يفتح باب سيارته لها :

-هل يمكن أن تتفضلي يا . . . !

-فريدة، فريدة يا . . . !

-زين . . . اسمي زين مصطفى .

دخلت فريدة السيارة وهي تبتسم ومن ثم جلس هو في مقعده فبدأت فريدة الكلام:

-إذن أنت عربي . . . !

-أوه، وأنتِ عربية كذلك .

-نعم، أنا مصرية .

-وأنا فلسطيني .

هنا شردت فريدة وقالت لنفسها :

-ليس هو يا فريدة، ولكن الشبه بينهما رهيب .

هنا قرر زين أن يكسر حاجز الصمت ويعرف عن نفسه:

-أنا مهندس ديكور، عمري ٢٦ .

هنا دهشت فريدة وقررت أن تسأله:

-إذا ما برجك . . . ؟

-أنا برج العقرب لقد ولدت يوم ١١-١١-٢٠١٩

هنا بدأت فريدة عينها تزرف الدمع لأن هذا هو اليوم الذي مات به فارس .

تعجب زين وقال لها محاولة تغيير الوضع ممازحًا :

-لم أكن أعرف أن برج العقرب بهذا السوء، يمكنكِ أن تعتبريني جوزاء ان احببتِ.

ولكن سرعان ما ارتسمت الضحكة على وجه فريدة ومسحت دمعها وهي تقول:

-لا أرجوك هذا أسوء.

أخذا يتكلمان سويًا ويضحكان إلى أن وصلا مقهى راقٍ جدًا، جلس زين أمامها سارح في ملامحها، فقررت فريدة بعد أن ابتسمت له ان تسأله:

-ها، قل لي يا زين ما هي استشارتك التي كنت ترغب في معرفة حلها . . . ؟

ضحك زين ضحكة هادئة كشفت عن أسنانه الناصعة المتساوية وأردف:

-لم يعد هناك اي استفسار بخصوص أي شيء، لقد حلت المشكلة.

هنا ضحكت فريدة ونظرت له بتعجب وتسألت:

-لا، بل قل لي ماذا كنت تريد أن تعرف . . . ؟

-لا شيء، كل ما في الأمر الكوابيس تراودني، كل ما أفكر أن أرتبط

في ذات الليلة أحلم بتلك الشابة التي قررت أن أوافق على الارتباط بها أراها بشكل قبيح، فبمجرد أن استيقظ أشعر أن قلبي غير مرتاح لها فأقرر الانفصال قبل البدء في الارتباط من الأساس.

-هل يمكن أن أعرف هل هن من يبدأن في خطوة الارتباط أم أنت. . . ! وكم مرة تكرر هذا الأمر معك.

-هذا الأمر تكرر معي ست مرات، ستة هن من أصروا أن أرتبط، ومع الاصرار أقرر أن أعطي فرصة، خاصة أنهن لم يكن في أي منهن أي عيب، ولكن قلبي حقًا لم ينجذب إلهين، ولكن عدد المعجبات بي اللاتي ليس لديهن الجراءة على الاصرار والمواجهة فهن عددهن لا استطيع ذكره.

ابتسمت فريدة وهي ترفع حاجبيها وأردفت:

-الآن تأكدت أنك عربي.

ضحك زين وقال لها مؤكدًا:

-اقسم لكِ هذا ما حدث، فكان استفساري ما هو سبب رفضي الكامن بداخلي للارتباط، لمَ لا أنجذب لأي امرأة وإذا فكرت أرى تلك الكوابيس التي تجعلني أغلق الموضوع تمامًا، أرجو ألا تقولي لي بسبب الخوف من تحمل المسؤولية.

أنا شخصية جادة جدًا وأتحمل المسؤولية، أوه هل تفهمين قصدي. . . !

هنا هزت فريدة رأسها مؤكدة:

-طبعًا أفهمك جيدًا ولكن أحب أن أسمع منك أكثر.

تحولت ملامح الجد من على وجه زين لابتسامة:

--لا يوجد ما أحكيه، يبدو أن علاجي كان رؤيتكِ فقط.

ضحكت فريدة وقالت له:

-فلننتظر للغد ونرى نتيجة رؤيتي، وفي حالة عدم جدواها سنبدأ في جلساتنا.

***

في اليوم التالي اتصل بها زين وطلب منها أن يتقابلا ضروري، تقابلا في نفس المقهى بعد انتهاء دوامها، نظر لها زين من بعد صمت طوال الطريق وقال لها:

-لقد رأيتكِ في منامي بالأمس .

-وكيف كنت . . . ؟

كنتِ ترتدين فستان وردي وجئتكِ أنا على حصاني البني الذي أملكه بالفعل،

وأخذتك خلفي وكنا سعداء .

ابتسمت فريدة وأردفت:

-أوه ان هذا اشبه بالخيال .

-يعني لقائي بكِ كذلك كان خيال، كنت عائدً من عملي رأت لافتة عيادتك المضيئة

فقررت أن أصعد وأريح عقلي .

صعدت كي أريح عقلي من التفكير ولكن لقد ارتاح قلبي كذلك .

***

في بداية الأمر فريدة لم تكن تتخيل أن ترى فارس أو شخص يشبهه إلى هذا الحد ،

بدأت تسأل نفسها ، هل تناسخ الأرواح حق ! هل بالفعل عندما يموت المرء يعود من

جديد للحياة، ولكن التناسخ يكون تناسخ روح فقط لا القلب والقالب .

استغفرت ربها عن هذه الفكرة الغير مذكورة في ديننا ، وقررت أن تحمد الرب على هذه النعمة، هي تعلم جيدًا أن يوجد لكل منا أربع وأربعين شبيه هكذا يقولون، ولكنها متأكدة أنها لولا المغامرة التي فعلتها مع فارس لما كانت تعلقت به هو ولا حتى بزين، سبحان الرب المدبر في اختيار أقدارنا . . .

***

ها هي الأيام تمر بل الشهور إلى أن مرت سنة، ها هو زين يغلق المكالمة مع فريدة بعد أن اتفق معها أن يسافرا إلى مصر صباح الغد كي يتقدم ويتعرف على والدتها .

ها هي فريدة تستيقظ من نومها ومن ثم خلعت سلسلة لفظ الله قبل دخولها الحمام كي تتأهب لسفرها .

وبعد أن خرجت فريدة من الحمام وهي ترتدي روب الاستحمام، رأت شيء جعلها تشعر برعب ودهشة.

لقد رأت زين جالس على سريرها . . .

قالت له بدهشة واستعجاب:

-كيف دخلت إلى هنا يا زين . . . ؟

اقترب منها زين وعلى وجهه ابتسامة زرعت الرعب في قلب فريدة وهي تتراجع للوراء، ها هو يهمس لها بصوت أشبه بالفحيح:

-انه روبوت قلت له ان لي موعد مسبق معكِ، وهو سبق شاهدني معكِ، لذا لم أجد مشكلة.

هنا سمعت فريدة صوت خاتمها وبمجرد أن لمست الحجر الخاص به انبثقت الشاشة التي تظهر اسم زين.

هنا نظرت له وقالت في قرارة نفسها وهي ترجع للوراء:

-إن كان زين هو المتصل . . . من الذي أمامي . . . ؟

هنا سمعت فريدة صوت قهقه تبعها صوت أجش:

-ألم أقل لكِ لنا لقاء اخر . . . ؟

هنا برزت على رقبته علامة شعله، ينها فريدة صرخت عندما علمت صاحبها .

وهنا انقض عليها و . . . . . .

النهاية

اقلب الصفحة ضروري هناك كلمة من المؤلفة

تعليق المؤلفة

هل تظنون اني أقوم بكتابة رواية ذات نهاية مفتوحة . . . ؟

حاشا وكلا، كم امقت هذه النهايات يا أصدقاء، انها تؤلم قلبي .

ان هذه رواية فريدة فكيف لها أن تموت وهي من سردت لي كل التفاصيل . . .

دعوني أكمل لكم . . .

ها هي فريدة تستيقظ على صوت هاتفها ، هنا تقوم مفزوعة تحاول التقاط أنفاسها .

حمدت الرب أنه مجرد كابوس ليس له أي علاقة بالواقع .

ما زالت فريدة تعاني من كوابيس ولكن برغم ذلك لا تأخذ مهدئات . . .

معروفة طباخ السم لا يذوقه، أو كما يقولون بالمصري باب النجار مخلع .

دكتور السمنة في بعض الأحيان سمين، ودكتور الأسنان أسنانه غير مرتبه . . .

ودكتور العيون يرتدي نظارة . . . والدكتور النفسي مريض ن . . . لا لن أكمل فريدة

سوف تحزن مما سأقوله . . . دعوني أكمل لكم .

ها هي ترد على زين وتقول له بصوت منهك:

-سأكون على استعداد على الموعد .

***

ها هي فريدة في مصر وتمت خطبتها ، ولا غنى عن زياراتها لي سواء في الواقع أو في رحلاتها التي للعلم لم تنتهي عند فارس، بل قامت بمغامرات أخرى، ولكن سيتم ذكرها في عمل اخر . . .

***

في النهاية نختم سويًا بالدعاء الذي تعلمته

من شيخي الجليل الدكتور يسري جبر:

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا

إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَ

اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ

كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُونَ.

***

لا تنسوني من دعواتكم لي أخوتي بالتوفيق

ولكم بالمثل.

والدعاء بالرحمة والمغفرة لوالدي البروفيسور

رمضان عبد الله هو وجميع أموات المسلمين.

***

أعمال أخرى لبنت البروفيسور

نركسوس (رواية نفسية اجتماعية)

بروفينيا (رواية فانتازيا اجتماعية)

لاقيت الفضفضة- كيمياء السعادة (كتاب تنمية ذاتية وخواطر دينية)

جد ولعب وجرح وحب (ديوان بالفصحى والعامية)

طيف أروما (رواية رعب ورومانسية)

البروفيسور- الخلاصة لفهم الوجه الحقيقي للحياة (كتاب تنمية ذاتية وقصائد شعرية)

المهدي المنتظر (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج1 فارس وجواد (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج2 الحناس (رواية رعب ونفسية)

60 قانون لامتلاك السعادة وتجاوز صعوبات الحياة move on (كتاب تنمية ذاتية)

كتاب "تعلم تفسير الأحلام مع بنت البروفيسور"

كتاب "تعلم فن كتابة السيناريو مع بنت البروفيسور"

كتاب "خواطر منتصف الليل"

كتاب "رحلة ال 90 يوم" للتعافي والتحرر من الإدمان

كتاب "تعرف على اسرار التاروت مع بنت البروفيسور"

كتاب "رسائل الملائكة"

كتاب (اسوياء نفسيًا)

رواية الخليفة ج3 من أولاد لوسيفر

***

تمت بحمد اللہ

٦-٦-٢٠٢٢

رانیا رمضان

بنت البروفیسور